العرب
مجلة شهرية تعنى بتراث العرب الفكري
صاحبها ورئيس تحريرها حمد الجاسر

الاشتراك السنوي
١٠٠ ريال للأفراد و ٢٠٠ ريال لغيرهم
الإعلانات: يتفق عليها مع الإدارة
ثمن الجزء: ١٧ ريالاً

العنوان
حي الورود - شارع محمد الجاسر - هاتف ٤٦٦١٢٢٣
ص.ب ١٣٧ - الرمز البريدي ١١٤١١
الرياض - المملكة العربية السعودية

ج ٩، ١٠ س ٢٤ الربيعان ١٤١٠هـ - تشرين: ١، ٢ (أكتوبر/نوفمبر) ١٩٨٩م

عبد الله بن عَمْرو بن أبي صُبْح المزَني

[في الجلسة الثالثة المنعقدة في صباح يوم الاربعاء ٢٣ رجب ١٤٠٩هـ (١ آذار ١٩٨٩م) للدورة الخامسة والخمسين للمؤتمر السنوي لمجمع اللغة العربية في القاهرة ألقى الأستاذ الشيخ عبدالعزيز الرفاعي - عضو المجمع - بحثاً ممتعاً عن الشاعر عبدالله بن عَمْرِو بن أبي صُبْحٍ المُزَني ، كان مثار الاعجاب والتعليق أثناء الاجتماع من المعنيين بالدراسات الأدبية ولعل من المناسب إيراد طرف من محضر تلك الجلسة حول ذالك البحث بعد إيراده كاملاً] :

١ - أخباره :

هذا شاعر من شعراء القرن الثاني الهجري ، قلما عُنِيَتْ به المصادر الأولى ، أو ترجمه المترجمون ، بالرغم مما يتميز به شعره من طلاوة ، حتى كتاب « الأغاني » الضخم ، الذي استقصى الكثير من الأخبار والأشعار ، لم يرد فيه ذكر هذا الشاعر ، أو أي خبر عنه ، مع أننا نجد أبا الفرج مؤلف الكتاب ، ينقل الكثير الكثير عن الزبير بن بكار - والزبير هو المصدر الأول لأشعار هذا الشاعر - ولكنه لا ينقل إلى « الأغاني » شيئاً من خبره ولا شعره .

والزبير بن بكار (ت ٢٥٦هـ = ٨٧٠م) ، يكاد يكون المصدرَ الوحيدَ الذي نقل إلينا طائفة من شعر هذا الشاعر ، في القسم الذي طبع من كتابه عن أنساب قريش . . أعني كتاب « جمهرة نسب قريش » الجزء الأول ، الذي حققه الأستاذ محمود محمد شاكر ، ولم يصدر بعد الجزء الأول شيء .

وحينما أقول (يكاد) فإنما أعني أنني عدا ما ذكرت لم أقف - حسب اطلاعي الضئيل - على شيء من شعره في كتاب مطبوع إلا في « التعليقات والنوادر » لأبي

علي هارون بن زكريا الهجري ، المتوفى حوالي سنة ٣٠٠هـ = ٩١٢[1]م، وَإلاَّ قطعة واحدة من أربعة أبيات ، جاءت في كتاب « الورقة » ، نقلها صاحب « الفهرست »، وسيأتي الكلام عنها بعد قليل .

أما ماورد لدى كل من الخطيب البغدادي (ت ٤٦٣هـ) في « تاريخ بغداد » وابن عساكر في « تاريخ دمشق » ، من شعر ، فهو ينتهي بروايته إلى الزبير بن بكار .

ولم أقف على من ترجم له ترجمة مستقلة من قُدَامى المؤرخين ، إلا النَّدِيمَ أو ابن النديم في « الفهرست » .

وقد دل على « الفهرست » الأستاذ محمود محمد شاكر في هامش ٦٧ و ٦٨ من كتاب « جمهرة نسب قريش » الجزء الأول ، في الفقرة (١١٩) .

وبالرجوع إلى « الفهرست » طبعة (رضا ـ تجدد) وجدته قد ترجم له في (فصحاء الأعراب) ، وجاءت ترجمته في ص (٥٥) وهذا نصها : (ابن أبي صُبْح ، عبدالله بن عمرو بن أبي صبح المازني ، أعرابي بدوي ، نزل بغداد ، وبها مات . كان شاعراً فصيحاً ، أخذ عنه العلماء ، وله مع الفَقْعَسيِّ أخبار طريفة . قال دِعْبِلُ : حضر الفقعسي داراً فيها وليمة ، وحضرها ابن أبي صبح الأعرابي ، فازدحما على الباب ، فغلب ابن أبي صبح ، ودخل قبل محمد وقال :

أَلا لَيْت أَنَّكِ أُمَّ عَمْرٍو شَهِدتِّ مُقَاوِمِي كَيْ تَعذُرِيْنِي
وَدَفْعِي مَنْكِبَ الأَسَدِيِّ عَنِّي على عَجَلٍ بنَاجِيَةٍ زَبُونِ
بِمَنْزِلَةٍ كأن الأُسْدَ فِيهَا رَمَتْنِي بالحَواجِبِ والعُيُونِ
وَكُنتُ إذا سمِعْتُ بِحق خَصْمٍ مَنَعتُ الخصْمَ أن يَتَقَدَّمُونِي

أما خصمه الفقعسي ، الذي زاحمه على باب الوليمة ، فقد ترجم له أيضاً صاحب « الفهرست » قبله مباشرة ، ويبدو أنهما يزدحمان حتى على باب « الفهرست » للترجمة ، ولكن الفقعسي كان هذه المرة هو الغالب ، فقد تقدمه في الترتيب ، وهذا نَصُّ ما أورده صاحب « الفهرست » أيضاً :

(الفقعسي ، واسمه محمد بن عبدالملك الأسدي ، راوية بني أسد ، وصاحب مآثرها وأخبارها ، وكان شاعراً ، أدرك المنصور ومَنْ بعده ، وعنه أخذ العلماء مآثر بني أسد ، فمن شعره يمدح الفضل بن ربيع :

النَّـاسُ مُخْتَلِفُـون في أحـوالهم وابْنُ الرَّبيع عَلى طَرِيقٍ وَاحِـدِ

وله من الكتب المصنفة كتاب « مآثر بني أسد وأشعارها »[٢]) .

ولكننا نجد ابن الجراح ، محمد بن داوود المتوفى سنة ٢٩٦هـ = ٩٠٩هـ ذكر ابن أبي صبح في كتابه « الورقة » ص ١٤ ، حينما ترجم لخصمه : محمد بن عبدالملك الفقعسي الأسدي ، سالف الذكر في ص ١٣ ، (ورُبَّ ضارَّةٍ نافعة) قال ما نصه : (قال ابن أبي خيثمة : قال دِعْبل : حضر محمد بن عبدالملك الفقعسي داراً فيها وليمة وحضرها ابن أبي صبيح الأعرابي ، وكان بدوياً نزل بغداد ، ومات بها ، وكان شاعراً مُجيداً ، فازدحما على باب الدار ، فغلب ابن أبي صبيح ، ودخل قبل محمد ، فقال ابن أبي صبيح : ـ ثم أورد الأبيات الأربعة التي سلف ذكرها ـ . .

ونحن نرى تشابه النصين عند ابن الجراح وابن النديم ، ماعدا بعض الاختلاف ، فرواية ابن الجراح تقول : إنه كان شاعراً مُجيداً ، ويقول ابن النديم : كان شاعراً فصيحاً . وهو عند ابن الجراح ابن أبي صُبَيْح ، بضم الصاد وبعدها باء فياء تصغير صُبْح ، ولكنه عند ابن النديم ابن أبي صُبح بصاد ثم باء فحاء ، وهو يقول في تعريفه (المازني) نسبة إلى (مازن) وابن الجراح لم ينسبه إلى قبيلة .

وابن الجراح كان أسبق وأقدم ، وقد نقل ابن النديم من كتابه « الورقة » الشيء الكثير . . وربما اعتمد عليه في نقل هذا النص مع شيء من التغيير . . وكلاهما ينقل الشعر عن (دِعْبل) ، وهو دِعبل بن علي بن رزين الخزاعي (١٤٨ ـ ٢٤٦هـ = ٧٦٥ ـ ٨٦٠م) الشاعر المعروف ، له كتاب « طبقات الشعراء »[٣]، وربما كان هو مصدر هذه النصوص .

ولكن لا يفوتنا ان ابن الجراح ، يقول في بداية نصه : (قال ابن أبي خيثمة) . . وابن أبي خيثمة هو أحمد بن زهير (١٨٥ ـ ٢٧٩هـ = ٨٠١ ـ ٨٩٢م)، وهو من أبرز تلامذة المصعب بن عبدالله بن مصعب الزُّبَيري ، صاحب كتاب « نسب قريش » ، وأحد كبار الرواة للأخبار والأشعار ، وعليه اعتمد ابن أخيه الزبير بن بكار ، في كتابه « نسب قريش » ، أو « جمهرة نسب قريش » . . وهذا يقودنا إلى السند الزبيري . . ولا يبعد أن يكون كتاب « جمهرة قريش » ، هو مرجع هؤلاء الذين نقلوا أخبار ابن أبي صبح أو على الأقل طرفاً من أخباره ـ بيد أنني لا أستطيع الجزم ما دام جزء كبير من هذا الكتاب لم ينشر بعد ، غير ما هو مفقود منه لم يعثر عليه حتى الآن .

على أنه وقد تطرق الحديث إلى كتاب « الفهرست » وما أورده من تعريف عن ابن أبي صبح ـ مهما كان ضئيلاً ـ فلا أود أن أتجاوزه دون أن أذكر أنه قال عنه في باب (الفن الثاني ـ من المقالة الرابعة ـ ص ١٨٧ ـ من طبعة تجدد : (ابن أبي صُبح مقلّ) ، وسواء أنقل هذا من كتاب « الورقة » لابن الجراح أم لم ينقله ، فهو يعطينا معلومة انتهى إليها علمه ، وهي أن هذا الشاعر مقل . . فهل كان مقلاً حَقًّا ؟ هذا ما أرجو أن أعود إليه بالحديث فيما بعد إن شاء الله .

المصدر الأقدم ـ إذنْ ـ الذي نجد فيه ذكر ابن أبي صُبح هو كتاب « جمهرة نسب قريش » ، ولكنه ليس المصدر الوحيد ، فهناك مصدر آخر هو كتاب « التعليقات والنوادر » لأبي علي هارون بن زكريا الهجري ، المتوفى نحو سنة ٣٠٠هـ = ٩١٢م ، أي أنه كان معاصراً لابن الجراح[٤].

وقبل أن أتعرض بالتفصيل ، لما جاء في هذين المصدرين . . أودُّ أن أقف قليلاً عند ما جاء من اختلاف في اسم الشاعر ونسبته . . فهل هو ابن أبي صُبح ؟ أو ابن أبي صُبَيْح كما جاء عند ابن الجراح ؟ وهل هو من مازن ؟ كما قال صاحب « الفهرست » وتابعه على ذلك الأستاذ (سزكين) في « تاريخ التراث العربي » ؟

أقول هو عند الزبير بن بكار في « جمهرته » وعند (الهجري) في « تعليقاته » وهما أسبق وأقدم (ابن أبي صُبح) أي بدون تصغير ، كما هو عندهما مُزَنِيٌّ

لا مازني . . وبين النسبتين فرق ، كما هو معلوم . . وبعض كتب الأنساب تذكر اسم (عبدالله بن عمرو المُزني) في النسبة إلى مُزَيْنة . . كما هو عند السمعاني (ت ٥٦٢هـ) ، ولا أستطيع أن أجزم أيقصد هذا الشاعر ، أو علما آخر . ؟ ذلك أن شاعرنا اشتهر بلقب (ابن أبي صبح) يلازم اسمه . . ومهما يكن الأمر فهو ليس مازنيًا وقد يكون الخطأ في « الفهرست » تحريفاً من الناسخ .

وقد جاء في شعر هذا الشاعر ما يجزم بأنه من مُزَينة ، وهو قوله يمدح مصعب ابن عبدالله بن مصعب بن ثابت الزبيري :

إنِّي لأحبس نَفْسي وهْي صَادية عَنْ مُصْعب، ولقد بانَتْ لي الطُّرق
رَعْوى عليهِ كَما أرعى عَلى هَرِمٍ قبلي زُهيرٌ وفينا ذَالك الخُلقُ

وزُهير الذي يعنيه هو زهير بن أبي سُلمى ، وهو شاعر مُزني : بل هو يصرح بمزينة في قوله مادحاً مُصْعَبا :

لَسارت إليه مِدْحة مُزَنِيَّةٌ يَلذُّ بها في المنْشِدين نَشِيد

ولا ينبغي أن يفوتني عندما أعزو معظم ما انتهى إلينا من شعره إلى رواية الزبير ابن بكار ، أن أذكر أن هذا يروي الكثير مما ورد في كتابه « جمهرة نسب قريش » عن عمه مصعب بن عبدالله بن مصعب الزبيري ، وهذا كان صديقاً حميماً للشاعر ، وطالما امتدحه الشاعر ، وسيأتي من الشواهد ما يدل على ذالك ، على أنه مما يلفت النظر حقاً أن مصعباً لم يشر إطلاقاً إلى اسم صديقه الشاعر في كتابه « نسب قريش » ، وذالك لأن منهجه فيه كان إيرادَ الأنساب فحسب ، متجنباً الأخبار والأشعار ، وكأنما كان يدخرها لكتاب آخر ، أو كأنه ادخرها لابن أخيه ـ أعني الزبير بن بكار ـ الذي كان مولعاً بالاستطراد الأدبي ، فذكر أخباراً وأشعاراً كثيرة إلى جوار الأنساب ، وحسنا فعل ، فقد أصبح كتابه وثيقة تاريخية مهمة ، ومما يؤسف له أن لا يصدر منه إلا قسم واحد فحسب ، وأن يظل باقيه مطويًا حتى الآن . .

وغني عن القول أنَّ بعض القدامى قد أكثروا منه النقول ، ومنهم على سبيل

المثال ابن عساكر المتوفى سنة ٥٧١هـ ، في كتابه « تاريخ دمشق » .

قال صاحب « الفهرست » ص ١٨٧ : (إنه مقل) . أي في شعره ، ولكن النصوص التي رأيتها فيما نشر من « جمهرة نسب قريش » تدل على خصب انتاجه وشاعريته . . وهي جزء من شعره لا كله ، وربما كان في سائر الكتاب مما لم ينشر بعد ، أو فيما لم يصل إلينا من مخطوطته نصوص أخرى ، فإن الزبير بن بكار كان حَفيًّا به ، لصلته الوثيقة بآل الزبير ، فهو كثير المدح لهم ، والثناءِ عليهم ، وفيما وقفت عليه من نصوص « الجمهرة » ما يدل على أن الشاعر طرق باب الأرجوزة ، وإن لم يورد من أرجوزته إلا أبياتاً معدودة .

وفي محاولة لِاسْتِقْرَاءِ شيء عن حياته وأسرته ، فيما اطلعت عليه من شعره ، وجدت بعض الإشارات التي نستطيع أن ندرك منها المعلومات التالية :

١ ــ أن له أبناء يفخر بهم ، كما يفخر بأجداده وأسرته أو عصبته :

أَبِي الضَّيْمَ لي قَلب ذَكيٌّ وصارمٌ ... وأَنْف حَمِيٌّ قدْ أَبى الذُّلَّ والخَذْلاَ
وأَبْناء صدق ماجِدون، وأُسرَةٌ ... مَصاليتُ، كانُوا لا بطَاءً وَلا نُكْلاَ[٥]

٢ ــ انه ذكر في شعره اسم (شميسة)، وهو في أغلب الظن اسم زوجته ، وذلك في قصيدة كافِيَّة طويلة ، والشاهد في مطلعها :

قَالتْ (شُمَيْسَة)، إذ قامَتْ تُوَدِّعُني ... والدَّمْع يَجْري عَلى الخدَّيْن أَسْلاَكا
لاَيُلْهِيَنَّكَ عَنَّا، بَعْدَ فُرْقَتِنَا ... بُعْدُ المزَارِ، وإِنْ صَاحَبْتَ أَمْلاَكا

وهو يُكَنِّيها بأُمِّ عَمْروٍ، إِذْ تردُ بعد البيتين تَتِمَّة الحِوار:

فقُلْت: لَو كُنت أَنْساكم يومًا نَسيتُكُم ... إِذْ قال لِيْ مُصْعب: لَوْ شِئْتَ أَجْزاكا
خَطَّانِ في شِبْر قِرْطاسٍ يطيرُ به ... مِنَّا جَرِيٌّ، وتَمْضي. فقلتُ: كلاكا
لاَبُدَّ مِن نظْرةٍ أَشْفي بِهَا كَمدي ... مِنْ أُمِّ عَمْرٍو، قَليلاً ثم أَلْقَاكا[٦]

فعمرو على ما يبدو ابنه من (شُميسة)، ويؤيد ذالك أن مناقضه أبا مُدْرِكٍ ،

حَاتِم بن مُدرك السُّلمي[٧] قال يخاطبه وقد انعقد بينهما صُلْحٌ في مسجد رسول الله ﷺ :

دعَاني أبو عَمْرٍو إلى الله دعْوَةً أَصَاب بِهَا ما في فُؤادِي ولا يَدْرِي
إِلَى حَلَقٍ مِنْ خَيرِ منْ وطيءَ الحصَا وَفِي رَوْضَةٍ بَيْنَ الأَسَاطِين والقَبْرِ
فتُبنا وأَشْهَدنا الزُّبير، وإن نَعُدْ بِنَقْضٍ فَمَا منْ تَوْبةٍ آخر الدَّهْرِ[٨]

فقد كنّاه الشاعر هنا . . بأبي عمرو . .

ونعلم من نَصّ آخر ورد في « جمهرة نسب قريش » ١/٢١١ ، أن له ابنا اسمه (عَديٌّ) ، وهذا هو النص :

(أنشدني عَدِيُّ بنُ عبدالله بن عَمْرو بن أبي صُبح المزني لأبيه، يمدح مصعبَ ابن عبدالله بن مصعب ، حين أَجمع المسير إلى اليمن ، ليعاده مصعبا أن يَطَّلِعَ أَهْله ثم يأتيه بصنعاء فقال :

تقولُ ابنةُ الزَّيْديِّ : أَصبَحْتَ وَافِداً عَـلَى مَلِكٍ أَيَّ المُلُوكِ تُـرِيـد؟

ـ إلى آخر القصيدة ـ

أقول : ولعل المراد بابنة الزَّيْدِيِّ هنا هو (شُميسة)[٩].

ولا يُعين ماوقفتُ عليه من النصوص والأخبار على تعيين زمن مولده ، ولا موضع ميلاده ، ولا مَنَازِلِهِ ، ولا تاريخ وفاته ، ولكنها تفيدنا مما ذكره عن ممدوحيه الذين سنجد أسماءهم في النصوص التي سَأُوْرِدُهَا ـ إن شاء الله ـ ما يجعلنا نقول إنه من شعراءِ القرن الثاني من الهجرة ، وإنه كان يقصد الزبيريِّيْنْ بمدائحه في المدينة المنورة وصنعاء ، وإنه كان صديقاً حميماً لمصعب بن عبدالله بن مصعب ، وإنه لَحق به في صنعاء عندما ولَّى هارونُ الرشيد أباه ـ عبدالله بن مصعب ـ إمارة اليمن ، حيث احتفى الأب والابن به ، ونزل ضيفاً في دار الإمارة ، وقد بلغ من حفاوة مصعب به أنه كاد أن يحمله معه إلى صنعاء ، لولا أن الشاعر استمهله ريثما يصل إلى أهله فيزورهم ويودعهم ، وذلك ما صرح به

في قصيدتَيْه : (قالتْ شُمَيْسَة) و(تقول ابنةُ الزيديِّ) . . وهذا يدل على أن أسرته لم تكن تقيم في المدينة ، وأن منازله تحتاج إلى عَدَّاءٍ أو جَرِيٍّ أو نَجَّابٍ :

إذ قال لي مصعب لوشئتَ أجزاك ، خطان في شِبْر قرطاس ، يطير به منا جَرِيٌّ ، ونمضي . .؟ قلت : كلا . . لابُدَّ مِنْ نظرة أشفى بها كمدي ، من أم عمرو . .

وهو ـ فيما تدل عليه نصوصُه الشعرية ـ شديد الالتزام للزبيريِّيْن ، وليس لمصعب وأبيه فقط ، بل لغيرهم أيضاً ممن سترد أسماؤهم في أشعاره ، وهذا مُنَاقِضُهُ حاتَمُ بنُ مدركٍ يقول له :

وتُنـذِرُنـا آلُ الـزُّبَـيْرِ، كـأَنَّنَـا طُلِبْنَا بجُرْمٍ ، أو حَمَلْنَا لَهُم ذَحْلا

وهذه النصوص تدل على أن شاعرنا كان أعرابياً مُتَبَدِّيًا ، وأن دياره قريبة من المدينة المنورة ، يسهل على العَدَّاءِ أن يصل إليها على قدميه ، فهو إذن يسكن حوالي المدينة المنورة ، مما يدل على أنه من مُزَيْنَةَ .

وبالرغم من أن إحساساً يُخَامِرُني ـ مما رأيت من طلاقة الشاعر ، وانصرافِهِ للمديح ، خاصَّةً لمن عاش في كنفه من الزُّبيريِّيْن ، ودخوله أحياناً في بعض المعارك الشعرية ، وتَطَرُّقِهِ إلى شيء من الغزل ـ أن شعره كان كثيراً جدًّا ، ولكن لم يصل إلينا منه إلا هذا القدر المتداول .

أما وقد أوردتُّ ما وسعني الوقوف عليه من معلوماتٍ عن هذا الشاعر ، فقد حان أن أنتقل إلى الجزء الثاني من المقال ، وهو إيراد ما عثرتُ عليه من شعره في المصادر القليلة التي أُتيحَ لي الاطلاع عليها ، ولعل من الباحثين من يستطيع أن يضيف إليها نصوصاً جديدة ، خدمة لتراثنا الشعري والأدبي .

٢ ــ أشعـاره :

البـــاء

١ ــ قال يمدح أبا بكر بن عبدالله بن مصعب الزبيري :

لَعمرُك إنَّ المُنْتَمي بابْن مُصْعبٍ لَـمُعْتَدِلٌ المجرَاةِ، جَزْلُ المَواهِبِ
وإنَّ امرَأً بينْ الزُّبَيْرِ إذ انْتُضِـيْ وبَيْنَ أبي بَكْرٍ لَمحضُ المضَارِبِ

البيتان في « جمهرة نسب قريش »، للزبير بن بكار ، الجزء الأول ، شرح الأستاذ محمود شاكر وتحقيقه ، ص ١٤٢ .

المعنى : أن من كان عبدالله بن مصعب أباه ، فهو على طريق مستقيمة ، أجزل الله له المواهب ، كيف وقد جاء من جَدَّيْن عظيمين هما الزبير بن العوام ، جدّه من جهة آبائهِ، وأبو بكر الصدِّيق جدُّ عبدالله بن الزبير لأمه ، فهو ابن أسماء بنت أبي بكر ، ذاتِ النِّطَاقَيْنِ .

٢ ــ قال يمدح مصعب بن عبدالله بن مصعب الزبيري :

إذَا شئْتَ يومًا أنْ تَرَى وَجْه سَابِقٍ بَعِيد المدَى فَانْظُرْ إلَى وَجْه مُصْعَبِ
تَـرَى وجْـه بَسَّـام أَغَـرَّ كـأَنَّمـا تفرّجَ تاجُ المُلْكِ عَنْ ضَوْءِ كَوْكَبِ
فتًى هَمُّه أن يَشْتَري الحمْدَ بالنَّدَى فَقَدْ ذَهَبَتْ أَخْبَارُهُ كُـلَّ مَذْهَبِ
مُفِيـدٌ ومِتْـلَافٌ كَـأَنَّ نَـوَالَـهُ عَلَيْنـا نِجَاءُ العـارِضِ المتَنَصِّبِ

المصدر : ١/٢١٣ من «جمهرة نسب قريش»، وقد جاءت الأبيات أيضاً في «تاريخ دمشق» لابن عساكر ، المجلد السادس عشر من المخطوطة ص ٥٥٠ . وفيه البيت الأخير : (بحار) بدلاً من (نِجاءٍ) . والنِّجاءُ : جمع نَجْوٍ ، وهو السحاب أولَ ما ينشأ ، والعارض : السحاب المطل يعترض الأفق ، كما جاءت الأبيات في ج ١٣/١١٣ من «تاريخ بغداد». وفيه في البيت الأخير، (المتصبب) بدلاً عن (المتنصب) .

الـدال

١ ــ قال يمدح عبدَالله بن مُصْعب الزبيري ، وابنه أبا بكر :

أكرم بذي شَرفٍ ألْفَى مَكَارمَهُ ... فوقَ الثريَّا فعلًّى فوقَ ماوجَـدَا
ذَاكَ ابن مُصْعبٍ الموفي بذمَّتـه ... أعْطَى الجزيلَ، وأوْفى كُلَّ ماوَعدَا
منْ فِتْيَة صبرُوا في كُلِّ نائبَـةٍ ... حتَّى نَفَوْا عنْهُم ما عابَ فَانْتَقِدَا
بِيْضٍ بهَالِيْلُ سيمَا المُلْك شَامِلُهم ... لَا يَسأَل الناسُ عنهم: من هُمُ أبدَا
إن أمْتَدحكُم فقدْ جَلَّت صَنائِعكُم ... مَجْرَى المدِيح وَقَد رَاخَيْتُم الأمَدَا
قَد رِشْتُمُوني، فهذَا رِيْشُكُمْ خَضِلٌ ... بَـاد عليَّ، وقـد أنعمتُمُ رَغَـدَا
إن الحـواريّ والصـدِّيق وابنَهُـما ... وابْنَ الرَّباب، بَنَوْا بُنْيَانَكُم صُعَدَا
ثم الأميْرَانِ شدَّا عَقد عُرْوتكُمْ ... ولَا سَبيلَ إلى حَلِّ الَّذي عَقَدَا
نِعْم الأمـيران بكَّـارٌ وَوَالـدُهُ ... مَا أشرفَ الوالدَ المَيْمُون والولَدَا
المـالِئَـان بعَـدْل الله قَبْـضَتُـهُ ... والمصْلحانِ، بإذْنِ الله ما فَسَدَا
والحَـافِظَان لمـا أوصَى الإله بِـهِ ... مِنْ حقٍّ ذي الحقِّ إنْ غَابَا وإنْ شَهِدَا
والصَّادران مَعًا عَنْ كُلِّ مَا تَرَكَا ... والـوَارِدَان جَميعًا كـلَّ مَـا وَرَدَا
والـطَّاعِنان صُـدُوْرَ الخيْل مُقْبلةً ... والضَّاربَانِ إذَا غَاب القَنَا قِصَدَا
أُعزِزْ بِمَنْ كَانَ عبـدُالله ناصِـرَهُ ... وَمَنْ يكُون أبُو بكْرٍ لَهُ عُضَدَا

المصدر ١/١٤١ و١٤٢ من « جمهرة نسب قريش » للزبير بن بكار .

٢ ــ وقال يرثي عبدالله ومحمدا ابنَيْ مصعب بن ثابت :

قُـلْ لِلأمـير جَـزَاهُ الله عـارِفَـةً ... وأهل وُدِّي جَميعًا من بني أسدِ
إنِّي نَذَرْتُ إن الرَّحمن سَلَّمنِـي ... حَتَّى أقُوم صحيحًا غيرَ ذِي أودِ
مَـشْيًـا بـحقِّـكُـمُ حـتَّى أُؤَدِّيـهُ ... هل يُبْرِدَنْ ذَاكَ من حرٍّ عَلَى كَبِدي
أوْ يُنْشِرَنْ ذاكَ عبدالله لي أبَدًا ... أو يُنْشرَنْ لي أخَاهُ آخر الأبَدِ
إنْ يَشْمَتِ اليوْم حُسَّادي بِمَوْتِهِمَا ... فقدْ يَمُوتُونَ قبلَ اليوْمِ مِنْ حَسَدِي
وَقَـد أرَانـا وعبـدالله يَحْمِلُنَـا ... كَحَامل الغَيْث بينَ الغَوْرِ والنُّجُدِ
فَأن جزعْت فمِثْلُ الشرِّ أجزعَني ... وإنْ صبرْتُ فأدنَى لِيْ إلى الرَّشَدِ

وإنْ شكَرْت فَقَدْ أَبْقى الإلهُ لَنَا خَلائِقاً من بَنِيه ثُبَّتَ العَمَدِ
إنْ يُعْقب الله يومًا مِنْ مُصِيْبتِهِ فَبِالأَمِيْر، وإلَّا لجَّ بي كَمَدِي

المصدر: ١/١٥٢ و١٥٣ من « جمهرة نسب قريش ». والمقصود ببني أسد هنا : أسد بن عبدالعزى جد الزبيريِّيْن : والأبيات على ما يبدو موجهةٌ للأمير أبي بكر بن عبدالله بن مصعب ، الذي خلف أباه في إمارة المدينة المنورة ، وهو المعروف ببكَّار .

٣ ــ قال يمدح مصعب بن عبدالله بن مصعب ، حين أجمع المسير إلى اليمن ليعاده مصعباً أن يطلع أهله ثم يأتيه بصنعاء :

تَقُولُ ابنة الزَّيْديّ: أصبحْت وافداً على مَلِكٍ أيَّ المُلُوكِ تُرِيدُ؟
فقلت لها: مُستوردٌ حَوْضَ مُصْعَبٍ فقالت: وأنَّى والمسيرُ بعيدُ؟
فَقُلْت لَهَا: لَوْ كُنْت في سِجْن عَارِمٍ بِدِمْبَاطَ، قَدْ شُدَّت عليَّ قُيُودُ
لَسَارتْ إلَيْه مِدْحةٌ مُزَنيَّةٌ يلَذُّبها في المُنْشِدِيْن نَشِيدُ
أَرَى الناسَ فَاضُوا ثُمَّ غَاضُوا وَمُصْعَب على العَهْدِ يَغْطي بَحْرُهُ ويَزِيدُ
إذَا صدرَتْ بالحَمْدِ عَنْ حَوْضِ مُصْعَبٍ وَفُودٌ، وحلَّتْ بعْدَ ذَاكَ وفُودُ
تَهَلَّلَ فيَّاضُ النَّدى عَاجلُ القِرَى إذا انهَلَّ وهْنًا قِطْقِطٌ وجَلِيْدُ
أَقُولُ لُمْغْتَاظٍ عليَّ كأَنَّما بلَبَّتِهِ حَامي السِّنَانِ حَدِيْدُ:
تَبَرَّدْ بعَيْبي في الخَلاءِ فَإنَّهُ نَفَى العَيْبَ عَنِّي مَشْهدٌ وجُدُودُ
وبَغْرَةُ أَمْلاكٍ تَنَجَّيتُ نَوْءَهَا فَأَسْقِيتُهَا والحَاسِدُونَ شُهُودُ
تَعَلَّقْتِ الحسَّاد مِنْهَا زَمَانَةٌ فَلَم يَبْقَ إلَّا أَنْ يَمُوتَ حَسُودُ

المصدر: «جمهرة نسب قريش» ١/٢١١ و٢١٢ ، وقد رواها الزبير بن بكار عن عدي بن عبدالله بن عمرو بن أبي صبح المزني ، ابن الشاعر . وقد نقلها ابن عساكر في «تاريخ دمشق» ١٦/٥٥٢ ـ المخطوط .

وفي البيت الرابع إشارة صريحة إلى قومه (مزينة) ، ويغطي في البيت السادس معناها يزيد ، ومعنى قِطْقِط في السابع : صِغَار البَرَد . والبغرة : في البيت العَّاشر معناها الدفعة الشديدة من المطر .

الـــراء

قال يمدح مصعبَ بن عبدالله :

فَما عَيْشُنَا إلاَّ الـرَّبيعُ ومُصْعَبٌ ... يَـدُورُ عَلَيْنَـا مُصْعَبٌ ويَـدُورُ
وفي مُصْعَبٍ إنْ غَبَّنَا القَطْرُ والنَّدَى ... لَـنَـا وَرَقٌ مُغْـرَورِقٌ وشَـكِـيرُ
مَتَى مايَرَى الرَّاؤونَ غُرَّةَ مُصْعَبٍ ... يُـنِـيرُ بهـا إشْرَاقُـهُ، فَـيُـنِـيْرُ
يَـرْوَا مَلِكًا كَـالبَـدْرِ أَمَّـا فِنَـاؤُهُ ... فَـرَحْبٌ، وأَمَّـا قَـدْرُهُ فَكَبِـيْرُ
لَـهُ نِعمٌ مَنْ عَـدَّ قصَّر دُوْنَها ... وَلَيْسَ بِهَـا عَـمَّا يُـرِيْـدُ قُصُـورُ
عَدَدْنَا فَـأَكثَرْنـا ومَدَّتْ فـأَكْثَرَتْ ... فَـقُلْنَـا كَـثِـيرٌ طيِّبٌ، وكَثِـيرُ
لَعَمْرِي لَئِن عَدَّدتُ نَعْماءَ مُصْعَبٍ ... لأَشـكُـرَهَـا إنِّي إذًا لَشَـكُـورُ

المصدر: «جمهرة نسب قريش» ١/٢١٢ ، ونقلها ابن عساكر في المجلد السادس عشر/ المخطوط ص ٥٤٩ ، كما نقل خبرها الوارد في «الجمهرة» ونصه : (حدثنا الزبير بن بكار ، وكان أبو غَزِيَّة محمد بن موسى الأنصاري كثيراً ما يجلسُ إليَّ ، فجلس إليَّ ليْلةً بين المغرب والعشاء الآخرة ، في مسجد رسول الله ﷺ ، وهو إذ ذاك قاض ، فتحدثنا إلى أن ذكرنا الشعر ، فقال : ابن أبي صبح المزني أشعر الناس ، حيث يقول لعمِّك) ثم ذكر الأبيات .

أقول: وترجمة محمد بن موسى في «أخبار القضاة» ١/٥٧ مات سنة ٢٠٧ . وفي هامش ص/٢١٢ من «جمهرة نسب قريش» ذكر المحقق بعض مصادر ترجمته .

ومعنى (الشَّكِير) في البيت الثاني: الورق الصغير يتلُو الورق الكبير في النُّمو .

الصـــاد

وقال :

أبى قَلْبـه مِنْهنَّ أن يَتَـخلَّصـا ... وَقَدْ مَحَّ سِرْبَال الشَّباب وقُلِّصَا
رَمَـيْنَ وأَرماهُنَّ في كُـلِّ مَوْطِنٍ ... فَأَحْذَيْنهُ نَبْلَ الخَبَـال، وأشخصا
إذَا شِئْن أن يُؤْطينه حَبْلُ عَاثِرٍ ... لِيَصْطدْنَ مِنْه فُرْصةً مَرَّ أفرصا
تَلَبَّسْنَ أَبْـرادًا وأَبْـرَزْنَ أَوْجُهـاً ... حِسَاناً، وأَظْهَرْنَ الجَمَانَ المخَرَّصَا

وفَتِّرْن حُوراً إنْ دَعَتْ قَلْب تَائِبٍ أَجَابَ، وإنْ نَصْنَصْنَ قَلْباً تَنَصْنَصَا
سَقَى الله مِنْ نَوْء الثُّرَيَّا ظَعَائِناً تَيَمَّمْنَ نَجداً، واخْتَصَرْنَ المَرَخَّصَا
ظَعَائِن مِمَّن سَارَ فاحْتَلَّ (رَابِغًا) وَ (وَدَّانَ) أَيَّامَ الجلاَءِ، فَالاخْمَصَا
أَقَمْنَ بِهِ حَتَّى أَتَى الصَّيْفُ قادِمًا وَقَضَّوْا لُبَانَاتِ الرَّبِيْعَ فَأَشْخَصَا

المصدر: «التعليقات والنوادر» لأبي علي الهجري (٤٠٨) مصورة مخطوطة المكتب الآسيوي في (كلكته) ، أطلعني على محل الشاهد أستاذي الشيخ حمد الجاسر ـ جزاه الله خيراً ـ وخطها غير جلي ، وقد استعنت ببعض الأصدقاء على حل رموزها ، وتركت محل كلمة بياضاً لعدم وضوحها ، وذالك في البيت الثالث .

[العرب : أقرب قراءة لصورتها ما وضع في محل البياض] .

الألفاظ الغريبة :

١ ــ مح : بلى ، قلّص : تقلص .
٢ ــ أحذينه : أعطينه ، وأشخص : جاء في هامش الأصل : اشحص بحاء غير معجمة : طلع سهمه عن القصد . وأشحص وأشوى واحد . انتهى .
والمقصود أن سهامهن أصابته وأخطأ سهمه فلم يصبهن . .
٤ ــ المخرصا : أي الذي ازدان بالخرصان ، وهي حلق الذهب والفضة أو ما يماثلها .
٥ ــ المرخص : طريق بقرب (٠٠٠) كلمة غير واضحة .
٦ ــ أشخص (في البيت الأخير): ارتحل .

الفـــاء

قال يمدح عبدالله بن مصعب وابنيْه : أبا بكر ومصعبا :

يَا أَيُّها الرَّجلُ المُهْدي الغنَاء لَهُ مِنْ كُلِّ شِعْبٍ يُدَاني ثُمَّ يخْتلِفُ
دَعْ عَنْكَ لَيْلى، فَما لَيْلَى بجَازِيَةٍ لاَ تجهَلَنَّ ولاَ يَلْجَجْ بِكَ الكَلَفُ

وَاذْكُر بِأَحسن قَولٍ أَنْت قائِلُهُ ... آلَ الزُّبَيْر، فَقَدْ أَعْطَوا وَقَدْ عَطَفُوا
وقَدْ سقوْكَ بسجْلٍ مِنْ سجَالِهُمُ ... حَتَّى رَوِيْتَ، وقَدْ زَادُوا وقد لَطُفُوا
وَقَدْ كَفَاكَ نَـدَاهُمْ نَوْءَ غَيْـرِهِمُ ... فَلاَ تَعُولُ عَلَى الغَرْفِ الَّذي غَرَفُوا
قَدْ كانَ لي في أبي بَكْرٍ وَوالِده ... ومُصْعَبٍ ذي النَّدى مِنْ تالِدٍ خَلَفُ
وَالثَّـابِتيُّـون قَـوْمٌ في وِدَادِهِمُ ... غُنْمُ الحياةِ، وَفي أَحْقادِهِمْ تَلَفُ
اللاَّحِظُونَ بِنُور الله إنْ غَضِبُوا ... وَالشَّامِلُونَ بِيُمْنٍ حَيْثُما انْصـرَفُوا
وَالفَـارِطُونَ فـلا تُوبَى حِيَـاضُهُمُ ... بِـالوَارِدِيْن، وَإِنْ ذُوَّادُهَـا قَصَفُوا
إنَّ ابنَ مصعبٍ المَيْمُونُ طَائِـرُهُ ... ثَبَّى عَلَى خَيْرِ مَا سَدَّى لَهُ السَّلَفُ
لا يُدْرِكُ النَّاسُ في المجرَاةِ غايَتَهُ ... وَلَوْ تَعالَوْا ، وَلَوْ خَبُّوا ولَوْ خَنَفُوا
تَمشي المُلُوكُ عَـلَى أَذْيَال لأُمَتِـهِ ... إنْ سارَ سَارُوا وَإِنْ أَوْمَا قِفُوا، وَقَفُوا
يَا ابْنَ الزُّبَيْر لقَدْ فرَّجتَ مِنْ كُرَبِي ... ورَفَّلْتني لَـكَ الفَيْضَاتُ والتُّحَفُ
وقد جَبرتَ جَنَاحي بعْد رِقّتِـهِ ... حَتَّى انْتَهَضْتُ، وحَتَّى مَسَّني التَّرَفُ
وَقَـد تَخَلَّصْتَني من بَيْنِ مَـأْسَدَةٍ ... أَذَلَّني لَهُمُ السُّلْطانُ والصُّحُـفُ
أَدْرَكْتَني بَعْـدَمـا دارتْ عُقَـابُهُمُ ... وَقَدْ بَلَلْتُ لَهَا رَأْسي وقَدْ وَحَفُوا

المصدر : « جمهرة نسب قريش » ١٤٠/١ وينظر أيضاً ١٢٢/١ .

ومعنى البيت التاسع أنهم يتقدمون قومهم ، وقوله لا تُوبى حياضهم : أي لا تنقطع من الماء ، وقصفوا : تزاحموا .

وفي البيت العاشر : ثبّى : اقتفى ، وسدى : خلّف .

وفي البيت الحادي عشر أراد الشاعر أن الناس لو جاروه لما استطاعوا اللحاق به مهما استعملوا من أنواع العَدْو .

وفي البيت الثالث عشر : أراد في الشطر الثاني : أنك جعلتني أرفل في فيضك وتحفك .

وفي البيت الأخير يقول : أدركتني بعد أن تهيأت لاستقبال الحالقة ، وبللت

رأسي لحلق لمتي ، وهو نوع من التعزير كان يخضع له المغلوب والأسير ، ومعنى وحَفُوا : أسرعوا .

القـــــاف

١ ــ وقال يمدح أبا بكر بن عبدالله بن مصعب من أرجوزة يقول فيها :

يَا بَكْرُ أَدْعُوكَ وَفِيًّا صَادِقاَ

ثم قال فيها :

وَقَـدْ رأَيْنَـا الْـحلَقَ المصَـالِقَـا وهْي تُسَـامي تُرْسِـلُ الشَّقاشِقَـا
إنْ نَـظَرْتْ يومـاً إلَيْـه بَـاسِقـاً أَوْ كَـرَّ فِيها نـاظراً أو نَـاطقاً
أَلْقَتْ عَلَى الأَرْضِ لَهُ العَنَافِقَا

المصدر : « جمهرة نسب قريش » ١/١٨٥ .

المعنى : الحلَق : جمع حَلَقَة . المصالق : ذات الضجيج . تسامى : تتعالى . الشقاشق : الهدير . العنفقة : الشعر تحت الشفة السفى : أي أن حلقات الرجال التي تهدر بضجيجهم ، إذا جاءها فنظر أو نطق أبدت خضوعها واستمعت إليه .

٢ ــ وقال يمدح مصعب بن عبدالله :

وَقَـدْ عَلِمْتُ، أَلاَ وَاللّهُ يَعْلَمُهُ مَا قُلْتُ زُوراً وَلاَ مِنْ شِيْمَتِي المَلَقُ
إني لأَحْبِسُ نَفْسِي، وهْي صَادِيَةٌ عَنْ مُصْعَبٍ، وَلَقَدْ بَانَتْ لِيَ الطُّرُقُ
رَعْوَى عَلَيهِ كَمَا أَرْعَى عَلَى هَرِمٍ قَبْلِي زُهَيْرٌ، وفِيْنَـا ذالِكَ الخُلُقُ
مَدْحُ الكِرَامِ وسَعْيٌ في مَسَرَّتِهِمْ ثُمَّ الغِنى، ويَدُ المَمْدُوحِ تَنْدَفِقُ

المصدر : « جمهرة نسب قريش » ١/٢٠٧ « تاريخ دمشق » ١٦/٥٤٩ مخطوط .

المعنى : الرعوَى : الرعاية والإشفاق ، وهو يشير في البيت الثالث إلى أن زهير ابن أبي سلمى ، وهو مزني مثله ، كان يشفق على ممدوحه هرم بن سنان . ذكر محقق « الجمهرة » الأستاذ محمود محمد شاكر في الهامش نقلاً عن « الأغاني »

١٠/٣٠٥ أنَّ هرِماً كان قد حلف أن لا يمدحه زهير إلا أعطاه ، ولا يسأله إلا أعطاه ، ولا يسلم عليه إلا أعطاه ، فاستحى زهير مما كان يقبل منه ، فكان إذا رآه في ملإٍ قال : عِمُوا صباحا غير هرم ، وخيركم استثنيت .

وفي البيت إشارة إلى كونه من مزينة ، ولعله يقصد بالغنى في البيت الأخير التعفف .

٣ ــ وقال يمدحه أيضاً :

إذَا رَفَعت أحراسُهُ السَّيْر واسْتَوَى ... عَلَى ظَهْرٍ مَصْفُوفٍ عَلَيْهِ النَّمارِقُ
بَدَا مَلِكٌ في صُوْرَةِ البَدْرِ طَالِعاً ... فَيَالَكَ حُسْناً زَيَّنَتْهُ الخَلاَئِقُ
خَلاَئِقُ أَحْرَارِ المُلُوكِ ونُورُهَا ... يَلُوحُ عليه نَظْمُهَا المتَنَاسِقُ
فتًى لم تَفُتْهُ خُطَّةٌ، تَجمَعُ التُّقَى ... إلى المَجْدِ إلاَّ ضمَّهَا فَهُوَ رَائِقُ
فَنَحْنُ بِحَمْدِ الله في فَضْلِ مُصْعبٍ ... لَنَا صَابِحٌ مِنْ ذِي نَداهُ وغَابِقُ
سَتَبْلُغُ عَنِّي مُصْعباً ـ غَيْرَ باعِدٍ ـ ... مَدَائِحُ تَذْرُوْهَا الرِّيَاحُ الزَّوَاعِقُ
جزاءً بآلاَءٍ له إنْ شَكَرْتُهَا ... شَكَرتُ عَظِيماً لَمْ تَصِفْهُ المَنَاطِقُ
ألَمْ تُلفِنِي ذَا خَلَّةٍ فَاصْطَنَعْتَنِي ... وأَطْلَقْتَ مَالِي، وهْوَ في الرَّهْنِ غَالِقُ
وأنقذتْنِي مِنْ لُجَّةِ الدَّيْن بَعْدَما ... غَرِقْتُ، وَغَاشِي لُجَّة الدَّيْنِ غَارِقُ
وأَغْنَيْتَنِي عَمَّنْ سِوَاكَ وأَنْبَتَتْ ... رِيَاحُكَ رِيْشِي والنِّجَاءُ الدَّوافِقُ
وأَسْبَلْتَ إسْبَالَ الرَّبيعِ وأخْصَبَتْ ... رِيَاضُك للْجَادِيْن ، والله رَازِقُ
فأُقْسِمُ لاَ أُحْصِي الَّذِي فِيكَ مَادِحٌ ... بِمَدْحٍ ، ولٰكنِّي جَزُوفٌ مُخارِقُ
وَلاَ ضنَّ نُصْحاً عَنْك بالغَيْب مُؤْمِنٌ ... تَقِيٌّ، وَلاَ عَادَاكَ إلاَّ مُنَافِقُ
ولا خفتُ إلاَّ الكَاشِحِينَ مُلِمَّةً ... عَلَيْكَ، ولٰكنِّي بِذِي العَرْشِ وَاثِقُ

المصدر : « جمهرة نسب قريش » ١/٢٠٩ ، ٢١٠ ، وهي في مخطوطة « تاريخ دمشق » لابن عساكر ١٦/٥٥١ و٥٥٢ . وقدم وأخر في البيتين الأخيرين .

وفي البيت التاسع إشارة إلى أن ممدوحه فكَّ الرهن الذي كان فيه ماله ، ولعل هذا يفسر لنا قوله في القصيدة الفائية التي سلفت حينما قال :

وَقَدْ تَخَلَّصْتَني منْ بينَ مَأْسَدةٍ أذَلَّني لَهُم السُّلْطَانُ والصُّحُفُ
أَدْرَكْتَني بَعْدَما دارَتْ عُقَابُهمُ وَقَدْ بَلَلْتُ لَهَا رَأْسي وَقَدْ وَحَفُوْا

الكـــاف

١ ــ قال يمدح مصعب بن عبدالله :

قَالتْ (شُمَيْسَةُ) إذْ قَامَتْ تُودِّعُني والدَّمْعُ يَجري عَلَى الخدَّيْنِ أَسْلاَكَا
لاَ يُلْهِيَنَّك عنَّا ـ بَعْدَ فُرْقَتِنَا ـ بُعْدُ المزَارِ، وَإِنْ صَاحبْتَ أَمْلاكَا
فَقُلْتُ: لَوْ كُنْتَ أَنْسَاكُمُ يَوْماً نَسِيْتُكُمُ إذْ قَالَ لِي مُصْعَبٌ لوْ شِئْتَ أَجزاكَا
خَطَّانِ في شِبْرِ قِرْطَاسٍ يَطِيرُ بِهِ مِنَّا جَرِيٌّ وَنُمْضي، قُلْتُ: كَلاَّكَا
لابُدَّ مِنْ نَظْرَةٍ أَشْفي بها كَمَدِي مِنْ أُمِّ عَمْرٍو، قَلِيلاً، ثُمَّ أَلْقَاكَا
دَعْ عَنْكَ ما فَاتَ، واكْسُ الرَّحْل مُعْترفاً أَعْطَاكَهُ مُصْعَبٌ أَيامَ أَلْفَاكَا
عَارٍ جَنَاحُك قَدْ حُصَّتْ قَوَادِمُهُ قَدْ عَضَّكَ الدَّهْرُ عَضَّاتٍ فَأَدْمَاكَا
يَاذَا النَّدى، لَيْس لي في غَيْرِكُمْ وَطَرٌ أَغنَيْتَني بِالْغِنَى، والله أَغْنَاكَا
إنْ أَمْتَدِحْكُمْ، فَخيرُ القَوْلِ مَدْحُكُمُ وَقَدْ تُنَالُ بِغَيْرِ المدْحِ جَدْوَاكَا
يَا أَوْسَعَ النَّاسِ فَضْلاً بَعْدَ وَالِدِهِ إنْ تُعْطِ خيراً فإنَّ الله أَعْطَاكَا
مَجداً تَطَأْطَأَ عَنْهُ كُلُّ ذِي شَرَفٍ فَيَمْنَعُ النَّاسَ أَنْ يَجرُوا بِمَجراكَا
مَدَّ ابنُ أسمَاءَ كَفَّيْهِ بِمَكْرُمَةٍ وابنُ الرَّبَابِ فقَالاَ: مُصْعَبٌ هَاكَا
أَنْتَ ابْنُنا، مَا اجْتَمَعْنَا قَطُّ في رجُلٍ فَيَسْتَطِيعُ لَهُ السَّاعُونَ إِدْرَاكَا
ثُمَّ الأَمِيرُ أَدامَ الله صَالِحَهُ نِعْمَ المُبَوَّا بحمْدِ الله بَوَّاكَا
رَقَّاكَ في المجْدِ حَتَّى نِلْتَ ذِرْوَتَهُ فَمَنْ بَغَاكَ محلَّ النَّجْمِ وَافَاكَا

المصدر : « جمهرة نسب قريش » ١/٢٠٨ و ٢٠٩ ، ومخطوطةُ « تاريخ دمشق » لابن عساكر ١٦/٥٤٩ و ٥٥٠ . وفيه البيت الثالث بدون (فقلت) وهي هنا زائدة ، وبها يختل الوزن . وفي الخامس (كبدى) محل (كمدى) .

وقد ذكر الزبير بن بكار قصة هذه الأبيات ، بعد إيرادها ، فقال : (حدثني عبدالله بن عَمْرو بن أبي صبح المزني قال : لما استُعْمِل عبدالله بن مصعب على اليمن ، قال لي مصعب بن عبدالله : امْضِ معنا إلى صنعاء . فقلت : لم أُعْلِم أهلي ذالك . فقال : ترسل رسولاً ونكتب معه بحاجتك ، وتمضي معنا وتُكْفَاهُمْ . فقلت : لا بدَّ لي من مطالعتهم ، ثم ألحقكم ، وهو حين قلت هذه القصيدة . ثم قدمت عليهم صنعاء ، فأنزلني عبدالله بن مصعب معه في دار الإمارة ، وأجرى علي خمسين ديناراً في كل شهر ، وأكرمني ، ثم غَرِضْتُ (قلقت) فشكوت ذالك إليه ، واستأذنته في الانصراف ، فأذن لي وأعطاني خمس مئة دينار ، وكساني كسوة فاخرة من عَصب اليمن ، وأمرني فدخلت على نجائبه ، فأخذت منها نجيباً مهريًّا ، فانصرفت سالماً غانماً إلى أهلي). أهـ .

الـــــــلام

١ ــ قال يمدح أبا بكر بن عبدالله :

كَأَنْ لم تريْ غبَّ ارتحالي وغَيبَتي ... وَعَرْف أبي بَكْرٍ بسَجْل عَلَى سَجْلِ
مَدحتُ أبا بَكْرٍ فما خابَ عندهُ ... مَدِيحي، ومَا أَلْفَيْتُهُ عَنْهُ ذَا شُغْلِ
وَمـا كَذَّبَتْني سُنَّحُ الطَّيْرِ دُوْنَـهُ ... وما كذبَتْ رُؤْيَايَ إذ نِمْتُ بالرَّمْلِ
أَنَخْتُ فلمَّا مِلْتُ في نَشْوَةِ الكَرَى ... رَأَيْتُ عليَّ الرِّيشَ أخضرَ كالبَقْلِ
وأَبْصَرْتُني أَسْمُو إلَى البَدْرِ طَالعاً ... وأَعْقِدُ في أَسْبَابِ أَحْبُلِهِ حَبْلي
وأَغْرِفُ مِنْ فَيْضِ الفُرَاتِ وأَكْتَفي ... مِنَ النِّيل عَبَّاباً فَأَسْقي بِهِ نَخْلي
فَقُلْت لِأَصْحَابي: جَرَتْ طَيْرُ أَسْعُدٍ ... لَكُم فَوْتَ أَعْنَاقِ الغُرَيْرِيَّةِ الفُتْلِ
وَرُؤْيَاكَ أَخْذَ الكفِّ بالكَفِّ بَشَّرتْ ... بِيَومِ نَدًى مِنْ ذِي نَدًى وَاسِعِ الفَضْلِ
مَتَى تَهْبِطُوا أَرْضَ الزُّبَيْرِيِّ تُعْتِقُوا ... خِشَاشَ المَطَايَا، مِنْ سَآمٍ ومِنْ هَزْلِ
أَثَابَكَ عنَّا اللهُ حُسْنَ ثَوَابِه ... بِعَدْلِكَ في الأَحْكَامِ والخُلُقِ الجَزْلِ
خَلَفْتَ لَنا الصِّدِّيق تَهدي كهَدْيِهِ ... وَهَدْي الزُّبَيْرِ حَذْوَكَ النَّعْلَ بالنَّعْلِ
وسِرْت إلَينَا وَالبِلَادُ كَأَنَّها ... لِمَا غَبَّ مِنْ أَدْوَائِهَا مِرْجَلٌ يَغْلي
فَدَاوَيْتَها حَتَّى إذَا ما شَفَيْتَهَا ... مِنَ الدَّاءِ والتامَتْ جَمِيْعاً عَلَى العَدْلِ

وَطِئْتَ عَلَى سِيسَائِهَا فَكَأَنَّمَا ... رَسَا (وَرِقَانٌ) فوقَها وَقُرَى (تُبْلِ)
فَأَصْبَحْتُ يَا ابْنَ الخَيْرِ تُنمى إلى العلى ... عَلَى حَنَقِ الأَعْدَاءِ والحَدَقِ الشُّهْلِ
وإنّ أَمِيرَ المؤْمِنِيْنَ لَعَارِفٌ ... غَنَاءَكَ عَنْهُ فِي البَلَاءِ الَّذي تُبْلِي
وَإِنِّي لَمُثْنٍ بِالَّذي قَدْ فَعَلْتُمُ ... بَنِي ثَابِتٍ فِي النَّاسِ مَا اشْتَدَّ لي عَقْلي
وَإِنِّي لأَدْعُوكُمْ إِذَا جَلَّ حَادِثٌ ... مِنَ الدَّهْرِ أَو ضَاقَتْ بِنا عُرْوة الحَبْلِ
وأَعْلَمُ لولا الزُّهْرُ مِنْ آلِ ثَابِتٍ ... لَمَرَّتْ ببعْضِ القَوْمِ خَفَّاقَةُ الرِّجْلِ
وَلكِنَّهُم جَادُوا وَسَادُوا وأَنْعَمُوا ... وقَادُوا وَرَدُّوا بالنَّدى طِيْرَةَ الجَهْلِ
ومَاحُوا ورَاحُوا بِالنَّدَى حِيْنَ لم تَرُحْ ... بِدِرَّتِها أُمُّ عَوَانٌ عَلَى طِفْلِ

المصدر : « جمهرة نسب قريش وأخبارها » - ١٦٦/١ - .

وكانت بينه وبين أبي مُدرك ، حاتم بن مدرك الحبشي من بني الحارث ، سُلميٌّ ، ملاحاة شعرية . وقد جاء في كتاب « التعليقات والنوادر » لأبي علي هارون بن زكريا الهجَري ، أنشدني شيخ من جبلة الفُرع[١٠] لأبي مُدْرِكٍ ، يردُّ على عبدالله بن أبي صبح المزني :

أَلا أيُّها الغَادي اتَّقِ الله واحْتَمِلْ ... لَنَا حَاجَةً لا تَسْتَبِينُ لها ثِقْلَا
تبلغُ يعقُوبَ بن يَحْيى رسَالَةً ... وعَمْراً وشِبْلاً أُوْدِعُ الله لي شِبْلَا
وَحَيٌّ بني لُقْمَانَ فَالحيُّ جِيْرَةٌ ... وَتَقْرا عَلَيْهِمْ من تَحيَّتِنَا مِثْلَا
وكُلُّ بني عَيْشِ الكرَامِ فإنَّهُم ... صَدِيقٌ وجِيرَانٌ أَرَى لَهُم فَضْلَا
إِذَا جِئْتَهُم من مَخْدَعِ الغَيْبِ سَاعَةً ... لِأَنْظُرَ مَاهُم لَم أَجِدْ لَهُم دَغْلَا
وقُلْ بعدَ هذا كُلِّه: إنَّ حاتمًا ... يَقُولُ لَكُمْ: قُولُوا لِصَاحِبِكُمْ: مَهْلَا
وَقُولُوا لَهُ: مَا بَال عَقْلِكَ ناشِئاً ... وَجَهْلُكَ لَمَّا عُدتَّ ذَا شَيْبَةٍ كَهْلَا
كأَنَّكَ لَم تَقْرأ مِنَ الوَحْي سُوْرَةً ... بِأَرْضٍ ، ولَمْ تَسْمَعْ بِهَا سَاعَةً تُتْلَى
إِذَا ما التَقَينا عدَّما كانَ ما بَيْنَنَا ... مِنَ الحِلْفِ والإِسْلَامِ واجْتَنَبَ الجَهْلَا
وَإِنْ غِبْتُ عَنْهُ سَاعَةً قِيْلَ: يَفْتَرِي ... عَلَيَّ، فَلَا أَدْرِي أَأَشْتِمه أَمْ لَا؟
أم اعرضُ عَنْ عَوْرَاتِه فهوَ جَاهِلٌ ... فَيَكْفُرَ إِحْسَاني، ويَحْسَبَهُ ذُلَّا

أم اشْتِمُ جِيراني فَأُصْبِحَ مِثْلَهُ ... أَعُوْذُ بِرَبِّي، أَنْ أَكُونَ لَهُ مِثْلا
وَإِنِّي لأَسْتَحْيِيْ منَ القَوْمِ أَنْ أُرَى ... جَبَاناً جهولاً لا حَلِيمًا ولا نكْلا
أَوَانْ يعلَمَ الأقوامُ أنِّي كالَّذِي ... يَكُونُ عَلَى مَعْرُوفِهِ أَبَداً قُفْلا
فَما زِلْتَ تَغْشَانا بِسَبِّك ظالِمًا ... وَنصفَحُ حتَّى ما تظنُّ لَنَا عَقْلا
وتُنْذِرنَا آل الزُبَيْرِ كَأَنَّنا ... طُلِبْنَا بجرْمٍ أَوْ حَمَلْنا لَهم ذَحْلا
وتَقْتَحِمُ الأَنْسابَ مِنْ دُوَن خِنْدِفٍ ... كَأَنَّك تُعْطِي دُوْنَهم باليَدِ السُفْلَى
كأَنَّكَ لم تَعْلم أَبًا لَكَ دُونَهُ ... بَلَى، قَدْ عَلِمْنَا أَنَّ فِي خِنْدفٍ فَضْلا
وأَنَّ قُرَيْشًا خَيْرُ من وَطِيءَ الحَصَى ... وأَنْعَمَهُ فرْعًا وأَكْرَمَهُ أَصْلا
فإن كُنتُمُ إخوانَهُ فَابْنُ عَمِّهِ ... حَبِيْبٌ قَرِيبُ الدَّارِ مُسْتَوْجِبٌ وَصْلا
كَرِيمٌ فلم يَبْسُطْ يَداً بِعَداوةٍ ... إِلَيْهِم وَلَم يَبْعثْ بِهَا لَهُم رِجْلا
فلا تَطرَحَنَّا أَنْ سَقوكَ عَلَى الظَّمَا ... مَعَ النَّاسِ يومًا مِنْ سجالِهِمُ سَجْلا
فَمَا هيَ إلَّا نقْمةٌ تُبْتَلَى بِهَا ... كَمَا كُنْتَ بالأُولى الَّتي قَبْلها تُبْلَى
فَلَيْتَ لَنَا عَدْلاً فيحكُمَ بَيْنَنَا ... وَأَهْوَنُ بِمَّا بَيْنَنَا يبتغي عَدْلا
لَه رَبَذِيٌّ مِنْ قُرى قَطَرِيَّةٍ ... شَدِيدٌ جَديدٌ مُدْمَجٌ مُحكمٌ فَتْلا
فَيَنْظُرَ أسوانَا إذا كان عَائباً ... لِصَاحِبِهِ عيْبًا، وأَقْبَحُهُ فِعْلا
وَأَشْبهَنَا وَجْهًا إذا كانَ بَيْنَنَا ... بِوجْهِ الظَّلُومِ ثُمَّ يوجِعُه غَسْلا
ويَشْهَدُنا آلُ الزُبير وهَاشِمٌ ... وَآلُ أبي بكْرٍ مجالسَ لا تُقْلَى
ويُجلسُ ذَلْفَاءَ المليحَةَ عِنْدَنَا ... وجُملاً فإنَّ الله مَلَّح لِيْ جُمْلا
هِجَانَانِ قالَ الله: كُونَا فكَانَتَا ... كَمَا قَال: لا تدرُون أيُّهُما أَحْلَى
وَذَلفاءُ من غَير التِمَاسٍ لِعَيْبِهَا ... بِغَور، فلم تَسْكُنْ دِمَاثاً وَلا سَهْلا
وَليستْ كأخرَى بالبياضِ فأُعْطيتْ ... بياضًا ولَحْماً مايراً وشَوًى خَذْلا
مَلا العَيْنَ، ريًّا الحجْلِ يَلْعَبُ سِمْطُهَا ... كَأَنَّ بِعَيْنَيْهَا ولم تكتحلْ كُحلا
فَلا يَرفعُ الجلَّادُ عَنْهُ سِيَاطَهُ ... بِمَحْضِرِهِمْ حتَّى يقُولُوا لَهُ: بَسْلا
وحتَّى يرَى آلُ الزُبير وهاشِمٌ ... وآلُ أبي بكرٍ عُقُوبَتَهُ مَثْلا
ويُقْدَرُ للمظْلُومِ أنْ يُجمِعَا لَهُ ... ويُجلَدُ أسْواطاً أشدُّهما بُخلا

٢ ــ فأجابه عبد الله بن أبي صبح المُزَنيُّ :

ألا حَيِّيَا الذِّلْفَا ألا حيَّيَا جُمْلا ... وقُولاَ: تَغَنَّى حاتمٌ بِكُمَا جَهْلاَ
لِكَيْما تَظُنَّا اليوم أنَّهُ فَارِغٌ ... وأُقْسِمُ إنِّي قَدْ مَلأْتُهُ بي شُغْلاَ
وَفضَّلَكُمْ يا جُمْلُ كَيْما لَعَلَّني ... أَرُوحُ مَغِيظًا قد حَمَلْتُ لَكُم ذَحْلاَ
وأَنْتِ من أن تَشْفي بنا كَحمامَةٍ ... بِمكةَ يَقْرُو سِرْبُهَا حَرَمًا سَهْلاَ
سقَى الله ذَلْفاءَ الرَّبيْعَ وتِرْبَهَا ... وجُمْلاً فَأَسْقَى الله من صَيَّفِ سَجْلاَ
سَقَى كُلَّ منجادِ المحلَّةِ والنَّوَى ... أَناة... ضا تَمْلأُ القُلْبَ والحِجْلاَ
إذا بَرَزَتْ بينَ القطِينْ وأَبْرَزَتْ ... جَميلَ المحيَّا لاَ كَئِيباً ولا جَبْلاَ
رأَيْتَ إلَيْهَا البيضَ مِيْلاً كأَنَّما ... أُمِرْنَ بأَنْ يَرْعَيْنَها الحدَقَ النُّجلاَ
أَ... مَهْلاً فإنَك قُلْتَ لي: مهلاً ... وَإنْ قُلْتَ قَوْلاً فانتبِلْ نُبلاً جَزْلاَ
إلَيكَ فإنِّي غَافِرٌ لَكَ مَا مَضَى ... من الذنب إلاَّ أن تُحمِّلَنَا ثِقْلاَ
وتُلْقي عَلَيْنَا جَانبَيْكَ كِلَيْهِمَا ... وتُشْرِعُ في أَعْرَاضِنَا الجدَّ والهَزْلاَ
وتُعرِضُ دُونَ الجانِبين فَلاَ أَرَى ... لِمثْلِكَ إلاَّ أَنْ أُعرِّضَهُ نكْلاَ
فَإنْ كُنْتَ قد أَبْصرت من بعدِ عَشْوَةٍ ... فَأَهْلاً بِمَا أَحْدَثْتَ مِنْ سِلْمِنَا أَهْلاَ
فَلَسْتَ وَلاَ أَطْغَى بأَوَّلِ عاشِي ... عَشَا، فجعَلْتُ القافِياتِ لَهُ كُحْلاَ
وَمَا إنْ أُحِبُّ الشرَّ مَا لَمْ تَجُرَّهُ ... عليَّ جُناتي أَو أَكُونَ لَهُ نَعْلاَ
بَلَ اصفحُ إجمالاً وأَدْرأُ سُبَّةً ... بِأَحْسَنِ ما تُدْرَى وأَدْمِلُهُ دَمْلاَ
وَأَدفعه حَتَّى إذا حلَّ ساحَتي ... صلَيْتُ بأَذكى حَرِّهِ كُلَّ مَنْ يَصْلَى
أَبَى الضيْمَ لي قَلْبٌ ذكيٌّ وَصَارِمٌ ... وأنفٌ حميٌّ يَأْبَيَا(؟) الذلَّ والخذْلاَ
وأَبْنَاءُ صِدْقٍ مَاجِدُون وأُسْرَةٌ ... مَصَالِيْتُ كَانُوا لاَ بِطَاءً وَلاَ نُكْلاَ
وعَقدي بِحبْلَيْ مُصعَبٍ وابنِ مُصْعَبٍ ... وَحَبْل أبي بكْرٍ برَغْم العُدَى حَبْلاَ
كَأَنَّكَ تشنَا أَنْ فَخرْتُ بخندفٍ ... كَأَنَّكَ لاَ تَرْضَى طَرِيقَتَك المُثْلَى
كَأَنَّك لم تَعْلَمْ أَبًا لَكَ مِثْلَهُ ... وَلاَ وَأَبيكُمْ لا تَكُونُوا لَهُ مِثْلاَ
فَإنْ تَكُ قد أَصْبَحْتَ ثَوْبَان آمِناً ... مُثِلاَ وغرَّتْكَ الأكولةُ والرِّسْلاَ(؟)
فَلا تَأْمَن الأولَى الَّتي قَدْ تَعرقَتْ ... فَقَارَك حتَّى عُدْتَ ذَا شَيْبَةٍ كَهْلاَ

أَلَا يَا لَقَوْمٍ مَنْ يُرَى مِثْلُ حَاتِمٍ ... يَجورُ ويَبْغي بَيْنَنَا حَكَمًا عَدْلَا
وَيَدْعُو لنَا أَن يُرسِلَ الله جَالِداً ... على شَرِّنا رَأْياً ، وأَقْبَحِهِ فِعْلَا
وأَشْبَهَنَا وَجْهاً إذا قيسَ بَيْنَنَا ... بِوَجْهِ الظُلومِ ، ثُم يُوجِعَهُ غَسْلَا
ويَشْهَدُنَا آلُ الزُبير وهاشِمٌ ... وآلُ أبي بَكْرٍ مَجالِسَ لا تُقْلَى
فَقُلْتُ لَهُ (آمينَ آمين) إِنَّما ... دَعَوتَ على الأَرْدى فَبُسْلاً لَهُ بَسْلَا
فَإِنْ شَهِدَتْ آلُ الزُبير وهاشِمٌ ... وآل أبي بَكْرٍ فَقَدْ عَلِمُوا الغَسْلَا
وكُلُّ قُريشٍ يَعْلَمُونَ أُمُورَنَا ... وَحَيْثُ يَظُنُّونَ الدَوَاغِلَ والدَغْلَا
تَمَنَّيْتَ لِلذَّلفاءِ بُخلا لَعَلَها ... تُعاقَبُ، والذَّلْفاءُ خَالِيَةٌ بُخْلَا
وَسَمَّحْتَ جُملاً وهي ظَنِّي بَخِيلَةٌ ... ولكنْ بِمَا قَدْ تَنْطِقُ الكَلِمَ الخَطْلَا

المصدر : «التعليقات والنوادر» ٢/٢٥٤ وما بعدها .

ويلاحظ أن في هاتين القصيدتين ألفاظاً غير مفهومة ، وبعضها ترك محله محقق الكتاب بياضاً ، ويبدو أن المخطوطة كانت غامضة الخط .

الميـــم

١ ــ قال يمدح هاشم بن يحيى بن هاشم بن حمزة :

فَمَنْ سَائلي عَنْ هاشِمٍ : كَيْفَ هاشِمُ؟ ... فإِنَّا وَجَدْنَا هاشِماً خَيْرَ هاشِمِ
وَجَدْنَا فَتًى أفضَتْ إِلَيْهِ جُدُودُهُ ... بِبَنْي المَعَالي، واكْتِسَابِ المَكَارِمِ

المصدر : « جمهرة نسب قريش » ١/٦٧ و ٦٨ وحمزة : هو حمزة بن عبدالله بن الزبير .

٢ ــ وقال يمدح أبا بكر بن عبدالله بن مصعب ، وما تمتع الناس به من أَمْنٍ على عهد ولايته للمدينة المنورة :

أَمْسَى الحِجَازُ أَمِنَتْ أَصْرامُهُ ... وصحَّ نَجدٌ وبَرَا سَقامُهُ
رَقَّعَهُ وقد وَهَتْ أَخْصَامُهُ ... بالعَدْلِ حَتَّى سَكَنَتْ عُرَّامُهُ
ثُمَّتَ جَادتْ بالنَّدَى رِهامُهُ ... فَهْوَ كَغَيْثٍ مُسْبِلٍ غَمَامُهُ

إرْزَامُـهُ بـالـوَبْـلِ وانهزَامُـهُ مَـا قَـالَ فيـه بَصَرٌ يشَـامُـهُ
عَـدْلُ أبي بَكْـرٍ وَلَا إسْـلَامُـهُ وَلَا الحـوَارِيُّ ولا إقـدامُـهُ

المصدر : « جمهرة نسب قريش » ١/١٦٥ .

(١) الأصرام : الفرقة من الناس ينزلون ناحية من الماء .
(٢) الأخصام : زوايا المزادة وجوانبها .
(٣) الرهام : المطرة الصغيرة الدائمة .
(٤) الإرزام : صوت الرعد يصحب الغيث . والانهزام : تشقق السحاب بالماء مع صوت . وقال إذا تفرس فأخطأ ولم يصب .

٣ ــ وقال يمدح مصعب بن عبدالله بن مصعب :

إنَّ الحـوَاريَّ والصِّـدِّيق وابنَهُـمَا دعائِمُ الدِّيْنِ إذْ شُدَّتْ لهُ الدِّعَمُ
وثابتاً ذا النَّدَى والمصْعَبَيْنِ مَعاً وذَا اليمينَـيْنِ، عَبْـدالله بعْـدَهُمُ
شَدُّوا عُرَى مُصْعَبٍ في كُلِّ مَكْرُمَةٍ وَعَلَّمُوهُ مِنَ الخيْرَاتِ ما عَلِمُوا
فَهْـوَ الكـريمُ مُـلَاقَـاةً ومُختـبَراً وابنُ الكِرامِ إذَا مَا حُصِّلَ الكَرَمُ
رَحْبُ الفِنَاءِ، رَخيُّ الباعِ ، مُحْتَمِلٌ للمُضْلِعَاتِ إذَا اشتدَّتْ بِنَا الأزَمُ
لا تُنْكِرُ العُوذُ مِنْهُ أن يُضرَّ بِهَا وَلَا العِشَارُ إذَا أَضْيَافُـهُ قَدِمُـوا
وَلَا يُبَـالِي وَإنْ كَـانَتْ مُمَـانِحَـةً أَنْ يَخْضِبَ السَّيْفَ من أَنْسَائِهِنَّ دمُ
يَاذَا النَّدَى، والَّذي حَجَّ الحجيجُ لَهُ هَلْ بَعْدَ هَذَا عَلَى ذي مِحْنَةٍ قَسَمُ
لَئِنْ نَشَـرتُ ثناءً لا خَفَـاءَ بِهِ لَقَـدْ بَسَطْتَ عَـطَايا مَـالَهَا قِيَمُ
ذُقْنَا الثَّنَاءَ فلمْ نَأْلُ الجزَاءَ بِـهِ وَقَدْ جَهِدْنَا ومَافي نُصْحنَا وَخَمُ
لَنْ يُنْفِدَ القوْلَ مَاأَسْدَيْتَ من حَسَنٍ يَا ابْنَ الحوَاريِّ حَتَّى تَنْفَدَ الكَلِمُ
وَلَا نَـزَالُ بخيْرٍ مَـا بَقِيْتَ لَنَـا تَمَّتْ عَلَيْنَـا بِـكَ الآلَاءُ والنِّعَمُ

المصدر : « جمهرة نسب قريش » ١/٢١٣ و ٢١٤ ، وهي في « تاريخ دمشق » المجلد ١٦/٢٥٢ المخطوط .

النـــون

قال ابن أبي خَيثمة : قال دِعْبل : حضر محمد بن عبدالملك الفقعسيُّ داراً فيها

وليمة ، وحضرها ابنُ أبي صبح الأعرابي ، وكان بدويًّا نزل بغداد ومات بها ، وكان شاعراً مُجيداً ، فازدحما على باب الدَّارِ ، فغلب ابنُ أبي صبح ودخل قبل محمد ، فقال ابنُ أبي صبح :

أَلَا يَـالَيْتَ أَنَّـكِ أُمَّ عَـمْـرٍو شَهِـدتِّ مُقَـاوِمِي كَيْ تَعْـذُرِيْنِي
وَدَفْعي مَـنْكِـبَ الأَسـدِيِّ عَنِّي عَـلَى عَجَـلٍ ، بِنَـاحيةٍ زَبُـونِ
بِمَنْـزِلَـةٍ كَـأَنَّ الأُسْـدَ فِيْهَـا رَمَـتْنِي بـالخَـوَاجِبِ والعُيُـونِ
وَكُنْتُ إِذَا سَمِعْتُ بحَيِّ خَصْمٍ مَنَعْتُ الخصْمَ أَنْ يَتَـقَـدَّمُـونِي

المصدر : كتاب « الورقة » لابن الجراح ١٤ ، و « الفهرست » ٥٥ .

الرياض ـ جمادى الآخرة ١٤٠٩هـ عبدالعزيز الرفاعي

تعليق أعضاء (مجمع اللغة العربية) على البحث :

وهاهو ما دار حول هذا البحث بعد إلقائه ـ كما جاء في محضر الجلسة الثالثة ، من جلسات دورة انعقاد المؤتمر السنوي :

الدكتور ناصر الدين الأسد رئيس الجلسة : والآن نستمع إلى بحث للأستاذ عبدالعزيز أحمد الرفاعي بعنوان (عبدالله بن عَمْرِو بن أبي صُبْحٍ المزني) . وبعد أن تلا سيادته البحث دارت حوله المناقشات الآتية :

الدكتور ناصر الدين الأسد : أستأذن الأستاذ الرفاعي في تصحيح بعض ما جاء ببحثه القيم :

١ ــ الاسم الوارد بالسطر الثالث من أسفل الصفحة الأولى يصحح إلى : (لأبي علي هارون بن زكريا الهجري) .

٢ ــ بيت الشعر الأول الوارد في الصفحة الثانية يصحح على النحو التالي :
ألا يا ليت أنك أم عمرو . . . . . .

٣ ــ ويصحح البيت الأخير ليكون على النحو التالي :
وكنت إذا سمعت بحي خصم . . . . . .

الدكتور شوقي ضيف : أنا أشكر الأستاذ عبدالعزيز الرفاعي على هذه الدراسة القيمة للشاعر عبدالله بن عَمْرِو بن أبي صُبح ، وتحقيقه الدقيق لشعره بعد جمعه جمعاً مُسْتَقْصِياً من كتاب « جمهرة نسب قريش » للزبير بن بكار وغيره من كتب التراث ، وهو أحد فصحاء الأعراب الذين كانوا ينزلون طوال القرن الثاني الهجري الكوفة والبصرة وبغداد ، وكانوا ينشدون اللغويين بعض أشعارهم وبعض أخبار قبائلهم وأشعارها ، وكانوا يمدونهم بأشعار فيها غريب كثير ليدرسوه لطلابهم ، كما كانوا ينشدونهم أشعاراً فيها نَسِيْبٌ وغَزَلٌ رقيق وقد ترجم صاحب « الفهرست » لثلاثين شاعراً منهم ، وقد أهملهم من درسوا الشعر العباسي في القرن الثاني الهجري لانشغالهم بشعراء المدن مثل بَشَّار في البصرة ، وأبي العتاهية في الكوفة ، ومسلم بن الوليد في بغداد . والأستاذ عبدالعزيز الرفاعي مشكور لأنه فتح لنا بدراسته لأحدهم ـ وهو ابن أبي صُبْحٍ ـ باباً كبيراً للعكوف على دراستهم ، ولعل دراسته لابن أبي صبح وتحقيقه لأشعاره لعل ذلك يكون إرهاصا لدراسته طائفة من هؤلاء الشعراء النجديين الفصحاء فيخرجهم بذلك مسلطاً عليهم وعلى أشعارهم كثيراً من الأضواء ، وبذلك تتكامل دراسة تاريخ الشعر العربي في القرن الثاني الهجري . وشكراً .

الدكتور حسين علي محفوظ : أثني على دراسة الأخ الزميل الأستاذ عبدالعزيز الرفاعي ، وأُطْرِي جهده القيم في كتابة سيرة عبدالله بن عمرو بن أبي صبح المزني من شعراء الظلّ ، وجمع ما تفرق من أشعاره وهو عمل طريف مفيد .

والاهتمام بشوارد الآداب ، وتقييد ما شذَّ عن عمود تاريخ الأدب من أشعار وشعراء وأدباء ونتاج . هو أمر مُهِمٌّ جِدًّا لتكميل أحكامنا الأدبية والتقديرية في الأدب والتراث .

أما كتاب « الأغاني » الذي أشار الزميل أنه لم يظفر فيه بشيء من أخبار المزني وأشعاره ، وتَعَجَّبَ من ذالك فإن « الأغاني » لم يصل إلينا كله . وهو عند القدامى من الكتب التي كانوا يتشاءمون منها . ويتطيرون من استكمالها فكانوا يتعمدون أن لا يجمع كاملاً في خزائنهم ؟!

وفي بعض خزائننا في الكاظمية مجلدان على ظهر أحدهما إشارة إلى نحوس كتاب « الأغاني » .

هذا ـ ودِعْبِلٌ الخزَاعيُّ الشاعر الكبير الذي كانت بعض أشعار المزني من رواياته هو من مصادر أعمال المرزباني الأديب المؤرخ الناقد المؤلف المكثر ، صاحب الكتب المفصلة الكبيرة . وكذالك أخوه ، فقد جمعا بين الأدب ورواية الأدب .

ومن الطرائف وأنا من بني أسد أن أشير أنه لولا « الحواجب والعيون » ما قبلتُ أن يدفع المزنيُّ مَنْكِبَ الأَسَدِيِّ صاحبِه ، وهو رَاويةُ بني أسدٍ ، وصاحبُ مآثرها وأخبارها ، محمد بن عبدالملك الفقعسي . ولكن شفعت له « الحواجب والعيون » . وشكراً .

الدكتور أحمد السعيد سليمان : أكرر الشكر للأستاذ عبدالعزيز الرفاعي على الجهد الذي بذله في إعداد هذا البحث ، فالجزء الأول في التراجم ، وقد عانى فيه ما عانى ، والقسم الثاني : في نَصٍّ شعري ، وهذا أيضاً جهد مشكور ، ولاحظت أنه وقف وقفة طويلة أمام كنية الشاعر (أبو عمرو) وأنا أتساءل : هل تكون الكُنَى بأسماء الأبناء فعلاً ؟ نحن نعلم أن الشاعر قال : (لها كنية عمرو ، وليس لها عمرو) ونعلم أن السيدة عائشة ـ رضي الله عنها ـ كانت تكنى بأم عبدالله ، وعبدالله ابن اختها ، فإذا كانت الكنية مشكلةً أراد الأستاذ حَلَّها فليته درس شَيئاً لنفيد منه عن مسألة الكنية . هذه واحدة .

الأخرى مسألة (الظل) التي أشار إليها محاضرنا في بحثه .

وإذا كان الباحث من جزيرة العرب فأتساءل عن عربية كلمة (الظل) هل كلمة الظل كلمة وافدة ترجمت إلينا في اللغة العربية أَلَيْسَ من الممكن أن يقال (الشعراء غير المشاهير) مثلاً . أعتقد أن كلمة الظل وافدة إلينا في هذا المقال ، فالظل عند العرب شيء يدرك ، وأدعو الله أن يظلني وإياك في ظله يوم لا ظل إلا ظله ، وأن تكون عباراتنا كلها من الفصيح ، ومن العربي الصرف الذي لم تَشُبْهُ شائبةٌ من ترجمة أوربية وشكراً لكم .

الأستاذ منير البعلبكي : حلاًّ للخلاف الذي نشب حول العنوان الذي اختاره المؤلف ، والعنوان الذي يقترحه الدكتور أحمد السعيد سليمان ، أقترح أن يكون : (شعراء مغمورون) فالمغمور يقابل : غير المشهور ، ونحن في هذا نتبع خطى القدماء الذين قالوا : (شعراء مغمورون) .

الأستاذ عبدالعزيز أحمد الرفاعي : أشكر السادة الزملاء على ما تفضلوا به من ملاحظات ، وخاصة التصحيحات ، وأود أن أعلق على ملاحظة الأستاذ الدكتور أحمد السعيد سليمان فيما يتعلق بكلمة (الظل) فقد قلت في عنوان البحث (شعراء في الظل) ولم أقل (شعراء الظل) وأعتقد أن هناك فارقاً بين العبارتين ، هذه واحدة . والأخرى أن كلمة (الظل) كلمة عربية فصيحة ولا ضير في استعمالها على ماهو عليه من قبيل الإيجاز . وشكراً .

وكانت الساعة قد جاوزت الواحدة من بعد الظهر عندما أعلن الدكتور الرئيس رفع الجلسة . وكان مما قرر فيها : (شكر الأستاذ عبدالعزيز أحمد الرفاعي على البحث الذي ألقاه ، وشكر السادة الذين عقبوا عليه) .

الحواشي :

(١) العرب: الباحث الكريم عوَّل في تحديد وفاة الهجري على ماورد في كتاب «الاعلام» لأستاذنا خير الدين الزركلي ، الذي استنتج هذا التحديد استنتاجاً ولكن يظهر من نصوص وردت في القطعتين اللتين عُرِفتا حديثاً من كتاب الهجري أنه عاش إلى ما بعد سنة ٣٠٠ ـ فقد روى عن محمد بن عبيدالله بن طاهر بن حيي ـ المحدث ـ بن الحسن بن جعفر ، الملقب بـ (مسلم) وهذا كان يُدبِّرُ أَمْرَ مِصْرَ أيَّام كافُور ـ كما في «جمهرة أنساب العرب» لابن حزم ـ ٥٥ الطبعة الثانية ـ وانظر تفصيلاً عن أحوال مسلم هذا في كتاب «العبر» لابن خلدون ج ٤ ص ٢٣٢ حيث ذكر أنه توفي في السجن سنة ٣٦٥ أما رواية الهجري عنه فنصها: (أنشدني أبو جعفر مسلم ، محمد بن عبيدالله بن طاهر بن يحيي لبدويَّة ترثي أخاها ـ ثم أورد ثلاثة أبيات ـ المخطوطة المصرية (١٤) المطبوعة (٥٥) ـ .

(٢) يبدو أنه محظوظاً أيضاً عند الزركلي ، فقد ترجم له في «الأعلام» ولم يترجم للخصم . . فذهب إلى أن وفاته نحو سنة ٢١٠هـ = ٨٢٥م ، وقال إنه أدرك أيام المنصور العباسي ، ومدح الرشيد والمأمون ، وبعض رجالها ، واعتمد على كتاب « الورقة » لابن الجراح .
«العرب»: وانظر طرفاً من ترجمة الأسدي هذا ومن إشعاره في «العرب» س ١ ص ٩٩٩ إلى ١٠٠٦ وس ٢ ص ٩٥ ـ .

(٣) انظر عنه «تاريخ التراث العربي» لسزكين ج ٤ من المجلد الثاني الخاص بالشعر ، ص ٩٠ وما بعدها ، ←

عُيُـونُ الطائـف

يتردد على أفواه العامة أنه كان على وادي (وَجّ) ما ينوف على تسعين عيناً ، وأن مزارعه كانت متصلة من أعلاه إلى أسفله ، وأن حماة المزارع من الطير إبان الحصاد يسمع بعضهم بعضاً ، ويبالغون في هذه الروايات ، ولكن المشاهد والملموس من طبيعة هذا الوادي لا يعطيان ترجيحاً لهذه الروايات ، لأن العيون التي عليه ، عامرها ودامرها لا تبلغ العشرين عيناً ، فأين يا ترى هذه العيون ؟ ، بل إن جميع العيون في منطقة الطائف ، وفي جميع أوديته لا تبلغ ثلاثين عيناً ، ولكي نحصي عيون الطائف رأيت أن أتحدث عن كل واد على حدة ، ذاكراً ما عليه من عيون ، مبتدياً من أعلاه حتى آخر عين عليه ، إذ كان به أكثر من

→ وهو يقول عن هذا الكتاب : (وهو كتاب كثر النقل عنه) .

(٤) لأستاذنا العلامة الشيخ حمد الجاسر كتاب مطبوع عن الهجري . [العرب : انظر الحاشية رقم (٢) عن وفاة الهجري] .

(٥) «التعليقات والنوادر» لأبي علي الهجري ، تحقيق الدكتور حمود عبدالأمير الحمادي ٢/٢٦٠ .

(٦) الأبيات من قصيدة طويلة وردت في «جمهرة نسب قريش» ١/٢٠٨ وسترد في شعره .

(٧) يبدو أن هذا الشاعر من الأغفال الذين لم تترجمهم المصادر التي بين أيدينا ، يقول الأستاذ محمود محمد شاكر محقق كتاب «جمهرة نسب قريش» ١/١٠٨ في الهامش عند ايراد هذه الأبيات : (لم أجد له ترجمة) ، ويقول محقق كتاب « التعليقات والنوادر » لأبي علي الهجري ٢/٢٥٤ في ذكر بعض مناقضاته لابن أبي صُبح : ورد اسمه في «اللسان» في مادة (نهض) يهجو أبا العيوف ، ولم يرد ما يفصح عنه شيئاً في المصادر الباقية . أقول : لم يذكره الزركلي في « الأعلام » ، ولم أجده لدى سزكين في كتابه « تاريخ التراث العربي » ، المجلد الثاني ـ الجزء الرابع (الشعر) .

(٨) « جمهرة نسب قريش » للزبير بن بكار ، ١/١٠٨ .

(٩) [الزيديون فخذ من بني عمران ، ثم من بني عثمان ، من مُزينة ، ومزينة هي أم عثمان وأوس ابني عمرو بن أُدّ بن طابخة بن الياس بن مضر ، أورد الهجري في «التعليقات والنوادر» ما نصه : لغُزْلان الشامي من ثمامَة بن كعب بن جذيمة بن خُفاف :

خَـلـيـلـيّ صُـبـانـي وَرَحـلـي ونـاقـتـي ... عـلـى فَلَـج الـرَيُّـان ثـم ذَرَانـيـا
فـإن أنـتُـمـا لم تَـفْـعـلا ومـرزْتُـمـا ... عـلـى حـائِطِ الـزيـدي فـاستـودِعـانـيـا
أُسـائِـلُ عن عَمْق وعَن حُسْن حـالـه ... ولـولا ابنـةُ الـزيـدي قـل سُؤَالـيـا

عَمْقُ الزُروعِ : قرب الفُرْع ، وعَمقُ المضيقِ . بيليل : قرب بَدرٍ . وقال : الزيديون من بني عمران ، من مُزينة ثم من بني عثمان] .

(١٠) جبلة والفُرع : موضعان قرب المدينة .

عين ، وقد التزمت في بحثي هذا إيراد المسميات المصطلح عليها في الحجاز الخاصة بالعيون ، فكلمة (الأُمَّيَّةُ) - تعني المنبع ، - و(الخَرَزة) - تعني غرفة التفتيش ، و(الدبل) - يعني المجرى أو القناة ، - و(الوجبة) تعني اثنتي عشر ساعة سقياً من ماء العين ، و(الشحَّاذ) - يعني الدَّبْل الفرعي ، أو الدبل الرافد للدبل الرئيسي ، وهو مايعرف بالأب ، وذالك حفاظاً على لغة مزارعي هذه العيون ولكي لا تلتبس على القارئ إذا ما وجد هذه المسميات في بعض المؤلفات والوثائق القديمة . ولكون وادي (وَجّ) هو وادي الطائف وأكثر الأودية عيوناً حَبَّذْتُ الابتداء بذكره ، وذكر ما عليه من عيون .

وادي (وج)

وادي (وج) يأخذ أعلا مسايله من ديار (الطّلحات) من هُذَيْل ، وديار بني سفيان من ثَقيف ، وديار قريش ، فأعلاه من بلاد (الطلحات) يعرف بوادي المخاضة ، ويظل بهذا الاسم حتى يصل مزارع (الوُهَيْطِ) فيلتقي بوادي شَقَرَا الآتي من اليمين من ديار بني سُفْيان ، وبعد التقائهما وتجاوزهما للوُهَيْط يأتيهما من اليسار وادي الْـمَاوَيْنِ الآتي من حِمَى قُريش ، ومن ثمَّ يُطلق عليه وادي (وَجّ) وقبيل وصوله إلى (الْوَهط) يأتيه من اليسار وادي (الضَّحْياء) وبعد التقائهما يصل الوادي إلى (الْوَهط) جاعِلَهُ عن يمينه ، وفي مضيق هناك حذاء الوهط أُنْشِيءَ سَدٌّ حديث عُرِفَ بسدَ عِكْرِمَة ، وذالك في عهد الملك سعود بن عبدالعزيز سنة ١٣٧٥هـ ، وبعد تجاوزه لمزارع الوهط والْكُدَا يرفده من اليمين ، وادي (صَعْب) وهو وادي أُنْشِيءَ عليه سدٌّ حديث ، ويستمر الوادي في انحداره مخترقاً مدينة الطائف وهو معروف بوادي (وَجٍّ)حتى يتجاوز مزارع (جَبْرَة) وهي تقع على عدوته اليُمْنَى ، يقف أمامها من الشمال جبل - (دَمَه) ومن ثم يطلق عليه وادي (الْعَرْج) فيقوم عليه قرى ومزارع كثيرة ، لكل مزرعة اسم خاصٌّ بها ، من أشهرها زُرَيْقَا والْعُقَيْلَة ، والفرايد ، والعقْرب . وبعد تجاوزه للعقرب يُطْلَقُ عليه وادي الأُخَيْضِر ، فيقع عليه قرى ومزارع كثيرة من أشهرها البستان ، والعوجاء ، والـمُوَيْزرية والثعالِب على صيغة جمع ثعلب - وبعد تجاوزه لمزارع الأُخَيْضِر يأتيه

من اليسار وادي شَرِب ، فَيُكَوِّنانِ وادياً واحداً ، يطلق عليه وادي الْـمَبْعُوث ، ويستمر في انحداره نحو الشمال الشرقي حتى يضمحل في سهل (رُكْبَةَ) لِانْدِيَاحِ الأرض أمامه . هذا هو وادي (وجّ) من أعلاه إلى أسفله بكل إيجاز .

العيون على وادي (وَجّ) :

١ ــ **عين المخاضة** : رأيتُ بوادي المخاضةِ آثارَ دَبْلٍ لعين دامرةً بالقرب من مزرعة حديثةٍ ، لبعض القرشيين ، تقع عن شمالك وأنت منحدر مع الوادي ، لاصقة تلك الآثار بسفح الجبل ، لم يُعْرف لهذه العين اسم ، ولا أين كانت مزرعتها .

٢ ــ **عين شقَرَا** : رأيت بوادي شَقَرَا خَرزاتٍ لدبل عين دامرة ، حاول تتبعها الشيخ عبدالله بن محمد المهنا عندما كان مشرفاً على عمارة عيني الوهَط والوُهَيط إلا أنه تخلّى عنها عندما رأى صعوبة ذالك ، لما تحتاجه من إمكانات لم تكن تحت يده ، وهي عين لم يعرف اسمها ولا أين كانت مزرعتها ، وإنما أطلق عليها هذا الاسم لوقوعها في وادي شَقْرَا .

٣ ــ **عين الوُهَيْط** : الوهيط مزرعة تقع على عدوة الوادي اليسرى ، عند التقاء وادي المخاضة بشقرا ، وأعتقد أنها حائِطا بَرَد اللذَيْن ذكرهما الهمداني في «صفة جزيرة العرب»[1] حيث قال : (ووادي قريب من الطائف ، يقال له برد ، فيه حائطان لزبيدة عظيمان يقال لموضعهما وج) وبَرَدُ ليس وادياً كما ذكر الهمداني ، وإنما هو جبل كبيرٌ أسمر ، يقف خلف الوُهَيْط غرباً عنه ، مشمخراً من الجنوب إلى الشمال ، ليس ببعيد منه ، يرى من أحياء الطائف الجنوبية .

ودبل هذه العين يصعد مع الوادي المخاضة حتى يصل ـ أُمَّيَتَها ، التي تقع أسفل هذا الجبل بوسط الوادي .

ويظهر أنه قد مرت على هذه العين حقبة طويلة وهي دامرة ، لا يعرفها أحد ، ولا يظن ظَانٌّ أن بتلك الناحية عيناً لبعد الزمن على خرابها ، فقد حدثني بعض المعمرين أنها لم تعرف ولم تبعث إلا في عهد أمير مكة المكرمة في أوائل القرن الرابع

عشر الهجري ، الشريف عون الرفيق ، قال : تتابع الحَيَا في سنة من السنين في ذالك العهد ، على تلك الديار ، من جبال ووهاد ، فتعاظمت السيول ، حتى ظلت الأودية تُنْجِلُ والقِلَاتُ تجري ، فنبعت هذه العين من خرزة لها بقرب الوُهَيْط ، وانساحت مع الوادي ، فَأَخْبِرَ عنها الشريف عونُ ، إذ كان مُصَيِّفاً في الطائف ، فاهتم بها وبعثها ، وأصلح دَبْلها ، وعمر مزرعتها ، فظلت تحت يده وأيدي أولاده من بعده ، حتى نزعت الحكومة السعودية ملكيتها لمصلحة مياه الطائف ، وذالك في أوائل التسعينات من القرن الرابع عشر الهجري . وقد قامت الحكومة بإصلاحها ، وتعمير دبلها عمارة متينة من بدايته إلى نهايته ، وهي الآن تُعَدُّ من مصادر مياه مدينة الطائف ، وماؤها يُعَدُّ من أعذبِ المياه في منطقة الطائف ، ولكنها ليست عِدًّا عندما يَشِحُّ السحاب ، ونِصَابُ وَجَبَاتِها أربعون وجبة ، والوجبة ١٢ ساعة كما مر .

٤ ــ **عين الحطَّابة** : وقد يسميها البعض عين الماوين ، لأنها تأتي من ناحية وادي الماوين ، وهذه العين لها مزرعة دامرة ، فوق الوهط ، بالقرب منه ، على يمين الوادي ، تسمى السَّدّ ، لم يبق منها إلا أساسات الجدر مما يلي الوادي ، وبركة العين مما يلي الجبل . وهذه العين كانت مجهولة ، لا يعرفها إلا القليل من معمري تلك الناحية ، حتى قامت الحكومة السعودية بتعمير عين الوهط ، تحت إشراف الشيخ عبدالله بن محمد المهنا ، وكانت خطة التعمير تقضي بِفَرْيِ ٱلأَرْضِ من فوق الدَّبْل ، حتى الوصول إليه ليتمكن العمال والفنيون من العمل دون إعاقة أو مضايقة ، وفي أثناء قيام ـ الحفّارات ـ (الدركترات) ـ بهذه المهمة كسرت دبل عين الحطَّابة فانساح الماء منه ، فتأكد الشيخ المهنا أن هذا الدبل لعين أخرى ، متقاطعة مع عين الوهط من فوقها ، وجعل لها مسقطاً على عين الوهط ، وحاول تتبعها ومعرفة منتهاها وموقع أُمِّيَّتِها ولكن لانشغاله بعين الوهط لم يستطع ذالك ، وظل ماؤها ينساب في عين الوهط مدة طويلة ، شاهدته بعيني ثم نضب ، وأعتقد أنا أَنَّ ذالك ليس من قل ماء ، ولكن من خراب طَرَأَ من جَرَّاء حفر الحفّارات (الدركترات) وعملها في تلك الناحية .

ويظهر أن هذه العين حُفِرت وعمرت بعد عين الوهط ، لكون دبلها متقاطع مع دبل الوهط من فوقه ، وهي الآن من العيون الدامرة .

٥ ــ عين الوهط[٢] : الوهط ضيعةٌ تقع على عدوة الوادي اليمنى ، وهي من أخصب المزارع وأكرمها في تلك الناحية ، كانت جَنَّةً غَنَّاءَ وروضةً يكاد اللسان يعجز عن وصفها لما كانت تحويه من أشجار وغروس وزروع ، تعطي أطيب الفواكه وألذ الخضار . وعينُها من أقدم العيون التي وَجَدتُ لها ذكراً في التاريخ ، فقد ذكرها أبو الفرج الأصفهاني في « الأغاني » في قصة من قصص تأبَّطَ شَرّاً وسطواته[٢] قال : أغار تأبط شَرًّا ومعه ابنُ بَرَّاقٍ الفهمي على بَجِيلة ، فأطْرَدَا لهما نَعماً ، ونذرت بها بَجِيلةُ ، فخرجت في آثرهما فسبقوهما إلى الوهط ، وهو ماء لعمرو بن العاص بالطائف ، فدخلوا لهما قصبة العين ، وجاؤا وقد بلغ العطش منهما إلى العين ، إلى آخر القصة فهذا النص يعلمنا أن هذه العين معروفة منذ العصر الجاهلي ، وأن عمارتها منذ ذالك العهد ، وفي العصر الإسلامي يخبرنا التاريخ أنها آلتْ إلى عمرِو بن العاص ، وأنها كانت في أفضل عمارتها ، وأن مافي الوهط من كَرْمٍ كان يُعْرَشُ له بألف ألف عُودٍ ، وهذا يدلنا على غزارة ماء هذه العين في ذالك الحين ، إذْ أنَّ مثل هذه الكروم في كثرتها لا يسقيها إلاَّ عِدٌّ من الماء ، ولكن في القرون المتأخرة اجتاح هذه العين ما يجتاح مثلها من الخراب والدمار ، حتى تقلصت مزرعتها إلى أقل من العشر ، فقد ذكر العُجَيْمِيُّ في عصره حالة الوهط فقال : وبهذه القرية مزارع كبيرة ، إلا أنها الآن ضعيفة ، وأما بستانها المذكور فلم يبق على معشار ما كان عليه .

وحسبما علمتُ من بعض أشياخنا أنها في أواخر القرن الثاني عشر الهجري آلتْ إلى الجدِّ الشريف سرور بن مساعد آل زَيْد ، أمير مكة في حينه ، فعمرها وأصلح ما طرأ عليها من خراب في دَبْلِها ، وأحيا مزرعتها ، فظلت تحت يده وأيدي عقبه من بعده ، لم يظهر منها إلا القليل ، حتى نزعتْ ملكيتَها الحكومة السعودية لمصلحة مياه الطائف ، فحظيت من الدولة بعناية كبيرة ، وعمرتها عمارة لم يسبق لها مثيل ، إذْ قامت الدولة بنقض دَبْلها القديم ، وأعادت بناءه بناءاً متيناً بالحجر

والأسمنت ، من أوله عند مسجد الوهط إلى نهايته عند أُمَيَّةِ العين ، بوسط الوادي قبالة مزرعة الوُهَيط ، بطول يزيد على خمسة أكيال تقريباً ، وهي عين عِـدٌّ لا يكاد ينضب ماؤها إلا إذا توالت عليها سنون المحل الطويلة ، وتُعَدُّ الآن من مصادر مياه مدينة الطائف . ونصاب وجباتها ستة وثلاثون وجبة ، وأما المزرعة فقد اجتاحها الدمار والخراب لاعتلاءِ مياه السَّدّ لها واغراقها ، وحفر تربتها من قِبَلِ بعض أصحاب المزارع الحديثة ، لإخصاب تربة مزارعهم ، وهكذا أصبحت مزارع الوهط[٣] أثَراً بعد عَيْنٍ .

٦ ــ **عين الـمَثْنَاةَ** : الـمَثْنَاةُ ضيعة كبيرة ، تقع في غربي مدينة الطائف ، على عدوتي الوادي ، من مزرعة الدُّمينة قرب ٱلكَدَا إلى السَّلاَمَةِ ، كان بها عشرات البساتين اليانعة ، الحافلة بشتى أشجار الفاكهة من الخوخ والتفاح والعنب والعُنَّاب والتين والتوت والرمان ، وما إلى ذالك من فواكه الطائف المشهورة ، وقد أصبحت المثناةُ الآن من أحياء الطائف الحديثة ، بعد أن ركبها العمران ، وأما بساتينها فقد يَبِسَتْ بعد أن سُحِبَتِ العينُ لمصلحة مياه الطائف ، وبها بستان يعرف ببستان عَدَّاسٍ ، به مسجد ، يتردد على أفواه العامة أنه المكان الذي تظلل تحت كرمه الرسول ﷺ ، وأتاه فيه عَدَّاسُ مولى عُتْبة وشَيْبَة ابني رَبِيعة ـ رضي الله عنه ـ بِقِطْفِ العنب ، بعد أن ردَّتْه ثقيفُ عليه السلام ذالك الرد القاسي .

وهذه العين لم أجد لها ذكراً فيما اطلعت عليه من مراجع قديمة ، إلا ما ذكره العجيمي ـ وهو من أعْلام القرن الحادي عشر الهجري ـ بأن المثناة موضع ، وفيه بساتين كثيرة ، وأبنية متعددة . وفي القرن الثالث عشر آلتْ هذه العين إلى الشريف غالب بن مساعد آل زيد ، أمير مكة المكرمة في أوائل ذالك القرن ، فتعهدها بالإصلاح والتعمير ، وإحياء ما انْدَثَر من مزارعها حتى غدت جنةً من جنات الأرض ، وظلت من ضمن أوقافه ، تحت أيدي عقبة من بعده ، حتى نزعت ملكيتها الحكومة السعودية ، مع عيني الوهط والوُهيط ، في أوائل التسعينات من القرن الرابع عشر الهجري لمصلحة مياه الطائف . وهي من أقصر العيون طولاً في منطقة الطائف فمشرعتها عند مسجد الكُوعِ المنسوب إلى النبي

ﷺ ، وأميتها حذاء مزارع الكَدَا من الغرب أسفل الحصون[٤] عن يمين الوادي للمنحدر معه ، وهي مسافة لا تتجاوز الكيلين . ويظهر أنها أحدث عمارة من عين السلامة ـ شُبْرَا الآن ـ إذْ أنّ دَبْلها يمر من فوق دَبْل السلامة ، متقاطعاً معه ، هذا ما قاله لي بعض العارفين بهذه العيون ودبولها من أهل المنطقة[٥] . وهي عين عِدٌّ من أشهر عيون الطائف ، ونصاب وجباتها ست وثلاثون وجبة .

٧ ــ **العين الفيصلية** : في الثمانينات من القرن الرابع عشر الهجري وجدتْ (مصلحةُ مياه الطائف) دبْلاً حِذَاء الكَدا ، فتتبعته بالتنظيف والإصلاح ، حتى بلغت أُمَّيته ، فوجدت ماء رَهِيّا ، فأطلقتْ على هذه العين اسم (الفيصلية) نسبة إلى الملك فيصل ـ رحمه الله ـ وقد عارض في ذالك الحين أهالي المثناة ، زاعمين أن هذه العين من روافد عينهم ، ولكن بعد التأكد من أهل الخبرة والعارفين بالعيون وأحوالها ، ظهر أنها عين بذاتها ، لا مِلْكَ لأهل المثناة عليها فاقتنعوا بذالك وهي الآن من مصادر مياه مدينة الطائف .

٨ ــ **عين السلامة** : عَين شُبْرَا ــ هذه العين من أقدم العيون ذكراً في التاريخ ، ذكرها الهمداني بقوله : وفي قبلة الطائف حائِطُ أُمِّ المقتدر ، الذي يدعى سَلَامة ، وهي كذالك بالنسبة للطائف القديم ، وأما اليوم فإن السلامة أصبحت محلة من محلات الطائف الحديثة . وقد مر عليها حينٌ من الدهر كانت فيه أكبر قريةٍ بالطائف ، حتى كانت نُزُلَ أعيان مكة وفضلائها ، ثم لحقها ما يلحق البلاد والعباد من الإدبار ، فخرِبَتْ ، حتى تحول عنها أهلها[٦]، وتهدم شامخ دورها ، وعالي قصورها .

وفي أواخر القرن الثالث عشر الهجري أَحْيَا الشريف عبدالله بن محمد بن عبد المعين بن عون أمير مكة في حينه مزرعةً في شمالي الطائف ، أمام باب الـحَزْم ، أَحَدِ أبواب مدينة الطائف ، وسماها (شُبْرا) على اسم (شبرا القاهرة) ، وأَوْلَى هذه المزرعة جُلَّ اهتمامه ، فأقام فيها القصور والحدائق وجلب لها الغروس والأشجار ، وحفر بها الآبار ، رأى أن عمله لا يكتمل حتى يجلب لهذه المزرعة عيناً ، فساوم أهلَ السلامةِ على عينها ، وكانت مملوكةً لبعض من الأشراف ،

فوافقوه على بيعها ، فاشتراها منهم وعمرها ، وشقَّ لها دَبْلاً من السلامة ، حتى أوصله (شبرا) وجعل عليه من حذاء سور الطائف من الشرق ثلاثَ خرزات مفتوحةٍ ، لسقيا أهل الطائف ، فعرفت من ذالك الحين بعين شبرا ، أو عين الطائف ، ودَبْلُها يصعد مع وادي (وَجٍّ) حتى يتجاوز مزارع المثناة جميعاً ، والدُّمينيَّة ، وعلى محاذاة مزارع الكَدَا من الشرق بطرف الوادي تقف أُمَّيتها بالقرب من أُميَّة الفيصلية هذه بطرف الوادي وتلك فوقها غرباً ناحية الحزم ، لا يفصل بينهما أكثر من مئتي متر تقريباً ، وهي الآن من مصادر مياه الطائف ، ونصاب وجباتها ست وثلاثون وجبة .

وبشبرا قصر شبرا المشهور ، الذي أصبح تحت رعاية ـ (إدارة الآثار بمديرية التعليم بالطائف) ـ وهو من أجمل القصور وأفخمها في مملكتنا المجيدة ، بناه الشريف علي باشا في أوائل العشرينات من القرن الرابع عشر الهجري ، حينما كان أميراً على مكة المكرمة بعد عمه الشريف عون الرفيق . وأما (شبرا المزرعة) فقد شملها العمران ، وأصبحت من أجمل أحياء الطائف ، لما قام فيها من عمائر كبيرة ، وشوارع فسيحة .

٩ ــ عين الْـجَال : الجال ذكره ياقوت[٧] محرفاً بالحاء المهملة ، على أنه من مخاليف الطائف . وهو مزارع كثيرة ، وضَيْعة كبيرة تقع شرقي وادي (وَجّ) بما يقرب من الكيل ، وكان لها خليج مرصوف بالحجارة إلى الوادي عُبِّدَ مكانَه شارِعٌ سمي (شارع الجال) ، وهي الآن تقع شرقي حي القُمْرِيَّة ويحفها من الغرب شارع القُمْرِيَّة الدائري الذي يقع في غربيه سوق الخضار ، الذي أنشأته (البلدية) ثَمَّة ، وهي الآن تُعَدُّ من ضمن مدينة الطائف ، إذ تجاوزها العمران من جميع الجهات ، إلا أنَّ مزارعها لازالت كما هي .

وقرية الجال هي مسقط رأسي ، وملعب طفولتي ، ومجمع أهلي وبني أبي ، إذ أنها من مخلفات الجدِّ الشريف عبدالله بن سرور ، ومن ضمن أوقافه ، التي لازالت تحت أيدي عقبه من بعده حتى الآن . وأما عينها فهي من أطول عيون الطائف ، فَدَبْلُها يقرب حتى يصل الوادي فيتبطَّنُهُ مُصْعِداً معه ، حتى يصل جبلي

(البازِم) فيتفرع منه دَبْلٌ يخترق حارة الشرقية ، يقول أشياخنا : إنه يصل إلى وسط المدينة إلى قرب مسجد الهادي ، وأما الدبل الرئيسي فإنه يستمر في صعوده مع الوادي ، حتى يصل مبنى الهاتف هناك ، فيتفرع منه دَبْلٌ آخر يخترق مزارع (حَوَايَا) قديماً ـ النزهة حديثاً ـ متجهاً جنوباً لا يعرف منتهاه ، ويستمر الرئيسي مع الوادي على طرفه الجنوبي حتى يتجاوز جسر السِّدَاد الآن ، إلى رَكِيْب كان هناك يسمى الزَّغاف ، فتعترض الدبْلَ صفاةٌ تَسُدُّهُ ، وفي أعلاها كُوَّةٌ مثل السَّرب ، يسح منها الماء ، وما خلفها من الدبل لا يعرف منتهاه ، وجميع هذه الدبول الآن ركبها العمران ، واعتلتها الدور ، وأصبح ماءُ العين آسِناً غير نقيٍّ ، لما يتسرب إليه من مياه المجاري ، وهي ليست عِدًّا ، كانت كثيراً ما ينضب ماؤها ويَجِفُّ دَبْلُها ، ونصاب وجباتها ست وثلاثون وجبة .

١٠ ــ **عين القطبية** : القطبية مزرعة تقع على وادي (وَجٍّ) حَدْر الجال ، في غربي مزارع (قَمْلَةَ) وعينها دامرة من قديم ، لحقنا بعض آثار دَبْلِها بطرف مُسِيل (مغيظ الجال) غربي جبيل أسود هناك ، بني على متنه الآن عمارة سكنية ، ويتجه دبلها إلى الغرب ، مخترقاً حَيَّ القُمْرِيَّة الآن حسبما كان ظاهراً من آثار خرزه قبل عمارة تلك الناحية ، ولطول الزمن على خرابها لا يعرف عن دبلها ولا عن أميتها شيء ، وأما المزرعة فلا زالت عامرة ، وتسقى مزروعاتها من آبار خاصة بها ، وقد أصبحت الآن في كنف مدينة الطائف من جميع جهاتها . وهذه العين لم أجد لها ذكراً فيما اطلعت عليه من كتب التاريخ ، ولكن اسمها يغريني بالقول أنها كانت للشيخ القطبي ، أحد علماء مكة في القرن العاشر الهجري ، صاحب «الإعلام بأعلام بيت الله الحرام » و «البرق اليماني» وغيرهما من المؤلفات ، لأن التاريخ يحدثنا بأن الشيخ ـ رحمه الله ـ كان كثير التنزهات في الطائف ، وأنه كان يصطحب معه بعضاً من العلماء والأدباء ، ينفق عليهم ويقوم بكفايتهم ، فغلب على ظني أن اسم هذه المزرعة ما أطلق عليها إلَّا نسبةً إليه .

١١ ــ **عين قملة** : قَمْلَة اسم يطلق على مزرعتين ، تقعان على وادي (وَجٍّ) الجنوبية منهما تقع شرقي القطبية لا يفصل بينهما إلا الهضبة المعروفة بهضبة قَمْلَة ،

وهي لفخذٍ من العِمْرِيَّة العُصَمَة ، يعرفون بالهواشل . وأما قملة الأخرى فهي التي لها العين ، وتقع شمالي مزرعة العُصَمَةِ ، لا يفصل بينهما إلا مجرى السيل الآتي من وادي وج ، وهذه كانت للأشراف آل عون ، ثم خرجت بالبيع إلى محمد صالح كشميري ، من أهالي الطائف ، في أوائل السبعينات من القرن الرابع عشر الهجري ، وهي في ملكه حتى الآن ، وهذه العين ذكرها العجيمي[٨] بقوله : (وبالقرب منها ـ يعني أُمَّ خُبْزٍ ـ موضع يسمى قَمْلة ، كانت فيه عين فانقطعت ، وبه الآن بستان) وهي كما قال العجيمي ، عرفتها دامرة ولكن آثار دبلها ظاهرة ، وحينما اشتراها الكشميري تتبع دبلها ، وأصلح خرابها ، فنزَّتْ مُدَيْدَةً ثم انقطعت .

ودبلها يتبطَّنُ وادي (وَجّ) مُصْعِداً معه ، حتى يتجاوز مزارع الريَّان ثم تقف أميتها هناك ، بطرف الوادي من الغرب ، أمام مدرسة للبنات هناك . ولبعد الزمن على خرابها لم يُعْرَفْ نصاب وجباتها .

١٢ ــ عين شويحط : مزرعة شُوَيْحِط تقع على وادي الحلقة ، ولكن لها خليج وشِرْبٌ من وادي العَرْج ، وعينها من العيون الدامرة قديماً ، حتى بعثها في الخمسينات من القرن الرابع عشر الهجري أصحابها الأشراف ذَوُوْ فوَّاز بن ناصر العبادِلَة ، فأصلحوا خرابها ، وتتبعوا دبلها حتى نهايته ، فجرت مُدَيْدَةً قصيرة ثم نضبتْ وانقطع ماؤها .

ودَبْلُها يصعد مع وادي العَرْج ، حتى يصل حذاء مزارع (زريقاء) فتقف أميتها هناك في قَوْزٍ جنوبي مزرعة النِّعِي[٩] وهي عين (فليس) لم تجر بعد انقطاعها من ذالك التاريخ ، رغم ما جاء من سيول عظام ، وأمطار غزيرة .

١٣ ــ عين العُقَيْلة : العُقَيلَةُ مزرعة تقع على وادي (العَرْج) بالعدوة اليمنى منه ، ولها عين ليست على غرار العيون العُدُود في الدبل والخرز والعُمْقِ في الأرض ، وإنما لها مثل الدبل كمجرى للماء ، من مكان بالوادي ليس بالبعيد ، يَنْجُلُ عندما يجود السحاب ، ويتوالى الحيا ، فينساب الماء مع ذالك المجرى حتى

يصل المزرعة ، وهذا النوع من العيون يسمى في منطقة الطائف (قَرِيْحَة) وهو مسمًّى له حظٌّ من الفصحى .

١٤ ــ **عين العقرب** : على اسم الحشرة السامة ، ضيعة واسعة ، تقع على وادي (العرج) بجاله الأيسر للمنحدر معه ، وهي من أكرم المزارع وأخصبها في تلك الناحية ، يقفُ خلفها من الغرب ضِلْعُ (الصالح) وهو ضلع أسود ، يمتدُّ من الشمال إلى الجنوب ، يقع عنه غرباً وادي شَرِب ، وعينها تفرغ في بركة كبيرة جنوبي المزرعة ، ومنها ينساب الماء إلى المزرعة ، ودبلها يتبطَّنُ الواديَ مُصْعِداً معه ، حتى يصل منتهاه عند أُمَيَّتِها التي يذكر العارفون أنها تقف حذاء مزارع (الفَرايد) بالوادي ، وهي عين ضحضاح ، لا تجري إلا في أعقاب السيول ، وغزير الأمطار ، وملكها الآن (للعثامين) من عدوان ، عَقِب عثمان المضايفي الأمير المشهور .

١٥ ــ **عين أم هيثم** : وتسمى أيضاً العُقَيْرِبَ بالتصغير مزرعة تقع بجوار العَقْرب من الشمال ، وعينها دامرة من القديم ، ولا يعرف اتجاه دَبْلها ، ولا موقع أُمَيَّتها ، حدثني الشيخ سعد بن علي العدواني أن جدَّه عبدالله بن عثمان أراد عمرانها ، ولكنه عندما بدأ في العمل انهجم الدَّبْلُ على من فيه من العمال فقضى عليهم فتشَاءَمَ من عمارتها وتركها ، فهي على حالتها وخرابها حتى الآن .

١٦ ــ **عين البستان** : البستان مزرعة تقع في أول وادي الأُخَيْضِرِ ، على جاله الأيسر ، في مُسَامَتَةِ العقرب أسفل منها بما يقرب من ثلاثة أكيال تقريباً ناحية الشمال . وعينها تُصْعِدُ مع الوادي متبطِّنَةً له إلا أنها مجهولة الأميَّةِ لبعد الزمن على إصلاحها ، ويقال : إن لها دَبلين دَبْلاً يذهب مع وادي العرج ، ودَبْلاً يغرِّبُ من تحت جبل (الصالح) حتى يصل وادي شَرِب ، وهي عين ضحضاح لا تجري إلا في أعقاب الرَّجْع والحيا . وملكها الآن لذوي أحمد ، من الأشراف ذوي حَرَازٍ ، ومن ضمن أوقافهم .

١٧ ــ **عين المبعوث** : هذه العين دامرةٌ من القديم ، ولا تعرف أميتها ، ولا مبدؤها ، وإنما يذكر المعمرون في تلك الناحية ، عما يرويه الخلف عن

السلف ، أن بالمبعوث عيناً ، ولكن من أين وإلى أين ؟ لا يعرفون ، وفي أواخر القرن الرابع عشر الهجري عام أربعة وتسعين وثلاث مئة وألف على ما أذكر تتابعت الأمطار ، وتعاقبت السيول على تلك الناحية ، فنبعت العينُ مع خرزة من خرزها بوسط الوادي جنوبي ضلع (الْـخَلَص) المعروف في تلك الناحية ، والمذكور في بعض المراجع بأنه من أعلام (عكاظ) وقد حاول أهل الدِّيرة ذَوُو جُود الله الأشراف تنظيفَ الدبل وإصلاحه وتتبعه ، وقد فعلوا قدر جهدهم ثم توقفوا عنه لضعف إمكاناتهم المادية والفنية ، فبقيت على حالها ودمارها حتى الآن ، ولكن من جراء ماعملوا ظهر أن دبلها متبطن للوادي مُسَنِّدٌ معه .

وهذه العين ذكرها عرام في رسالته المشهورة « أسماء جبال تهامة وسكانها »[١٠] عند ذكره لعكاظ حيث قال : (وعكاظُ صحراء مستوية ، ليس لها جبل ولا علم ، إلّا ما كان من الأنصاب التي كانت في الجاهلية) ـ إلى أن يقول ـ: (وحذاؤها عين يقال لها خُلَيْص للعمريين ، وخليص هذا رجل وهو ببلاد تسمى رُكْبَةَ) الخ . وقوله (رجل) هو بلا شك تحريف (جبل) ، وإلّا فما معنى قوله : (وهو ببلاد تسمى ركبة) . وجبل الخلص هو على حافة أعالي ركبة من الغرب ، وهذا النص يعطينا تأكيداً أن هذه العين معروفة منذ العصور الأولى في الإسلام ، ولكنها خربت بعد ذالك .

والمبعوث لم أجد له ذكراً فيما اطلعت عليه من المراجع قبل « سمط النجوم العوالي » للعِصَامِي ، فالمؤلف ـ رحمه الله ـ ذَكَرَهُ مراراً في كتابه ، ويظهر مما ذكره أن المبعوث في عصره كان مصيفاً لأمراء مكة وأشرافها ، ومنطلقاً لغزواتهم إلى أهل أواسط الجزيرة ومن يصاليهم من القبائل المتمردة ، وأَكَّدَ ـ رحمه الله ـ أنه أتاه بنفسه ، ونزل فيه على حمود بن عبدالله قال : وكان[١١] مولانا السيد حمود ـ رحمه الله ـ نازلاً بالمبعوث في المربعة المنسوبة إلى مولانا السيد محمد الحارث ، وكنت إذْ ذاك نازلاً عنده في تلك البقعة ، وصلت إليه اشتياقاً لِـمُحَيَّاهُ السعيد ، وفرحاً بعد طول الغيبة بِأُنْسِ الرجعة) الخ . وفي المبعوث آثار مزارع وبئار ودور وقصور ، شاخصة للعيان ، يرى بعضها من طريق الرياض المعبَّد ، يرجع قديمها على ما أرجح إلى القرن الحادي عشر الهجري ، أو ما فوقه بقليل ، وهي من آثار

أمراء مكة وأشرافها ، وليست كما ظن بعض الكتاب أنها من بقايا سوق عكاظ ، أو من آثاره الجاهلية ، فأين للجاهليين في عكاظ البناء بالجص والنورة وإتقان الأقواس والعقود ، التي لازال بعضها قائماً حتى الآن ، وهذه المنطقة قد أوفاها حقها من البحث والتقصي حبيبنا الكريم الشيخ حمد الجاسر ـ في رسالة أسماها «سوق عكاظ» فمن أراد التثبت فليرجع إليها .

وادي (قَـرْوَى)

يأخذ أعلى مسايله من حجرة آل حُميدان القرشيين ، وجبلِ الغُمَيْر ، وما هنالك من هضاب ووهاد ، غربي مدينة الطائف ، وبعد تَكَوُّنِ الوادِي وانحداره إلى الشمال أول مزارع تقع عليه مزارع (العقيق) وبعد تجاوزه إياها تقع عليه مزارع أُمّ خُبْزٍ ، والحزمان والشبيرية[١٢] ـ بياءين ـ والـمُلَيْسَاء التي يلتقي من بعدها بوادي مسَرَّة فيكوّنان وادياً واحداً يعرف بوادي (القَيْم) وهو من أشهر أودية الطائف بكثرة مزارعه ، وجودة عِنَبِه ، وكان قديماً مشهوراً بالقمح فنسبت إليه الحنطة اللُّقَيْمِيَّة .

ويرفده من الغرب بعض التلاع والوديان الصغيرة ، الآتية من حِمَى الحمدَةَ ، والضَّبط ، كالعريجاء والـحَفْيَا ، ويظل باسمه هذا حتى يتجاوز مزارع أُمِّ الـحَمْضِ فتقع عليه مزارع (القُدَيْرة) فيأخذ اسمها عند بعض الناس ، وبعد أن يجتازها يستمر الوادي في انْصبابه صوب الشمال الشرقي ، ترفده بعضُ التلاع والنواشع الآتية من حَزْمُ (القُمَيْع) حتى يتجاوز (الـحَوِيَّة) جاعلها غرباً عنه ، حيث يرفده وادِي الـحَوِيَّة ، وهو أكبر روافده في هذه الناحية ، ومن ثَمَّ يطلق عليه وادي (شَرِب) ويقع عليه بعد هذا المسمى ضياع ومزارع كثيرة ، جُلُّها للأشراف الشنابرة ، والخماميش من عدوان ، والنباعين من العُصَمَةِ . وآخر مزرعة تقع عليه قبل التقائه بوادي الأُخَيْضِر (العِوَاجِيَّة) وبعد تجاوزه إياها بيسير يلتقي بوادي الأُخَيْضِر فيكوّنان وادي المبعوث كما مُرَّ في وادي (وج) .

(العيون على وَادِيـيْ قَرْوَى وشَرب) :

١٨ ــ **عين قَرْوَى** : عين خراب دامرة ، كانت بعض آثارها شاخصة في غربي محلة (قَرْوَى) بطرف الوادي ، مما يلي حجرة آل حميدان القرشيين ، لا يُعْرَف مَبْدَؤُها ولا منتهاها ، ولا اسم مزرعتها التي كانت تسقيها ولا أين تقع ، وقد ركبها الآن العمران فلم يُبْقِ لها أَثَراً .

١٩ ــ **عين الحوش** : الـحَوشُ مزرعة بوادي شرب ، تقع على جانبه الأيسر ، لها عين دامرة من القديم ، ولكن آثارها شاخصة ، ويظهر أن خرابها نسبيًّا ولم يكن جائحاً ، لأنها في بعض الأحيان تجري متى تتابع الرجع وتكاثرت السيول ، ودبلها يتبطَّنُ الوادي ، إلا أنه مجهول المنتهى ، وغير معروف الأمية ، وكانت هذه العين من أملاك الأشراف الشنابرة ، ثم انتقلت بالبيع إلى سمو الأمير سلطان بن عبدالعزيز بن عبدالرحمن آل سعود ، ولازالت في ملكه حتى الآن .

٢٠ ــ **عين العَواجيَّة** : العواجية مزرعة تقع على وادي (شرب) وهي آخر مزرعة عليه ، ولها عين كانت دامرة ، ولكنها لما آلت إلى الشريف علي بن الحسين آل عون تتبع دبلها فنثله ، وأصلح خرابه ، فجرتْ مُدَّةً ثم جَفَّتْ ، ويقول بعض المعمرين ممن لحقنا : أن الشريف علي لم يعمر إلا القليل من دبلها ، وأما الأكثر فهو خراب حتى الآن ، ودبلها يصعد مع الوادي ، ولكنه مجهول الأمية . وقد آل ملكها الآن إلى سمو سلطان بن عبدالعزيز .

وادي (جَفْـن)

وادي جَفْنٍ يعرف الآن بوادي ثُـمَالَة ، نسبة إلى قبيلة ثُمالة التي تسكنه ، وتملك جُلَّ مزارعه ، من أعلاه إلى أسفله . وهو يأخذ أعلا مسايله من بلاد (العُيَلَةِ) و (رَبيع) وترفده تلاع وشعاب ونواشع كثيرة ، مما يكتنفه من جبال ووهاد ، وبعد أن يتجاوز السَّدَّ يأتيه من الشرق وادي (آل عمر) ومن عند الأُصَيْفِر وادي (الضَّبَاعِين) وهما واديان كبيران ، يأخذان أعلى مسايلهما من ديار (الثُّبتَةَ) من بني سَعْدٍ ، وبعد تجاوزه لمزارع الصُّخَيْرَة ـ تصغير صخرة ـ يأتيه من

الجنوب وادي بني سالم ، وهو واد كبير ، يتكون من ثلاثة فروع : الأوسط منها يسمى (مُرَحِّض) ـ بضم الميم وفتح الراء والحاء المهملة مثقلة والضاد المعجمة ـ والشرقي يسمى (الـحَجْلاَء) والغربي يسمّى (قُرَيْضَة) وتجتمع قبل أن تلتقي بجفن ، وكل هذه الأودية عامرة ، ومنظومة بالقرى والمزارع وآهلة بالسكان . وعندما يصل جفن إلى مزارع الأشراف (الفُعُور) المعروفة بِعُمْقَان يأتيه من الجنوب وادي (عُمْقَان) وهو وادٍ يأخذ أعلا مسايله من حِـمَى عوف ، وغربي ديار بني سالم ، وما أقبل إلى الشرق من جبال (لِيَّة) ومن هناك يفرغ جفن في وادي (لِيَّة) ويعد أكبر رافد له ، وجفن فيه السد المشهور (السد السُّمَلَّقِي) في منطقة الطائف وهو سدٌّ أثري عظيم ، يرجع بعض الباحثين عمارته إلى العهد الأموي .

وعلى متن السدّ صخور عظيمة الكبر ، يقف العقل حائراً أمامها لمعرفة الوسيلة التي رُفِعَتْ بها هذه الصخور في هذه الناحية النائية عن مراكز الحضارة ، وخاصة في تلك العصور القديمة التي لا تملك الإمكانات الفنية والآلية الموجودة لدينا اليوم ، ولا شك أنها وسيلة عبقرية ، مكنتهم من بناء مثل هذا السد العظيم .

وجَفْـنُ ذكره ياقوت[١٣] على أنه ناحية بالطائف ، واستشهد على اسمه ببيت لمحمد بن عبدالله النُّمَيْري الثقفي وهو قوله :

طَرِبْتَ وهاجَتْكَ ٱلـمَنَازِلُ مِنْ جَفْنِ أَلَا رُبَّـمَا يَعْتَادُكَ الشَّوْقُ بِالْـحُزْنِ

(العيون على (جِفْــن) :

٢١ ــ عين الأُصَيْفر : الأُصَيْفر ـ بالفاء بالتصغير ـ ضيعة كبيرة ومزرعة كريمة ، تقع على جانبي الوادي قبل التقائه بوادي (الضَّبَاعِيْن) .

وعينها على ما أسمع يظهر أنها ضحضاح ، إنْ أُغِيْثَ الوادي وسال مشتْ وجرتْ وإن شَـحَّ السحابُ أقطعتْ وجفَّتْ . ودبلها يُصْعِدُ مع الوادي حتى يصل أميتها التي يُرَجِّحُ أهلُ المعرفة هناك أنها بقرب السدِّ من دونه ، وهي الآن تُعَدُّ من العيون الميتة الدامرة ، لانقطاعها منذ مدة طويلة ، وأما المزرعة فتسقَى من آبار خاصة بها ، وهي في ملك الأشراف (ذَوِي شَرَّيْنِ ، الفعور) .

٢٢ ــ عين شِيْحاط : شِيحاط مزارع تقع على وادي (جَفْنٍ) بأسفله قبل وصوله إلى عُمْقَان . وعينها كانت كثيرة الانقطاع لا تجري إلا في سنين الرجع والحيا . ودبْلُها يُصْعِدُ مع الوادي ، وكان معروفاً إلى وقت قريب ، إلّا أن أميتها مجهولة الموقع ، وقد أخبرني أخي وصديقي الشريف فهيد بن فهد الفِعْر ، أَنَّ أميتها ـ على ما يسمع ـ بالوادي حذاء الصُّخَيرة . وهذه العين ذكرها شرف البركاتي في رحلته[١٤] على أنها من عمارة الشريف حمزة بن عبدالله الفعر ، قال : (وفي هذا الوادي عين جارية ، حفرها الشريف حمزة الفعر العبدلي ، ولكنها تارة تسيل وتارة يمتنع سيلها ، إذا كف السيل عن الوادي ، وذالك لعدم تمام عمارتها إلى النهاية) الخ .

والعين ليست في الحقيقة كما ذكر البركاتي بأنها من عمارة الشريف حمزة الفعر ، ولكنها عين قديمة لا يعرف من حفرها ولا من أجراها ، وإنما الفعر ـ رحمه الله ـ كان يَرِمُّ من دبلها وخرزها ما يطيق على قدر جهده ، وهي الآن خراب وملكها يعود للأشراف ذوي زيد (الفُعُور) .

٢٣ ــ عين دحنا : دحنا اسم يطلق على منطقة واسعة ، تقع في شمال (رِحَاب) بها آثار سدود وعمارة قديمة ، ومن ضمن مابها من آثار دَبْلُ عينٍ وبركة لها ، يذكر بعض الرواة أن الشريف زيد بن فواز العبدلي أمير الطائف في أوائل القرن الرابع عشر الهجري تتبع دبلها وأصلح خرابها ، فنزَّت قليلاً ثم أقطعت ، فاجتاحها الدمار بعد ذالك ، وهي الآن تُعَدُّ من العيون الميتة التي لم يسمع أنها جرت لما يقرب من قرن من الزمان ، ودَبْلُها ـ على ما أسمع ـ قصير الْـمَدَى ، لا يتجاوز الحزم القائم من (دَحْنَا) جنوباً والذي يظن أن أميتها به .

و (دَحْنَا) على ما يظهر أنها كانت في يوم من الأيام ضيعة زراعية ، لها شهرة ومكانة ذكرها ياقوت[١٥] بقوله : (قال ابن إسحاق ثم خرج رسول الله ﷺ حين انصرف عن الطائف إلى (دَحْنَا) حتى نزل الـجِعْرَانَة ، فيمن معه من الناس فقسم الفيء واعتمر ، ثم رجع إلى المدينة ، وهي من مخاليف الطائف) انتهى . والـمِخْلَافُ في عرف الأقدمين لا يطلق إلا على منطقة بها قرى وضياع زراعية ،

ولكن قد مَـرَّ عليها دهرٌ وهي خراب . وأما في عصرنا الحاضر فقد قامت فيها مزارع حديثة كثيرة ، تعتمد في رَيِّ زراعتها على الآبار العادية التي حفرت بها . وقد أتت هذه المزارع على ما كان بها من آثارٍ إلا القليل ، وهي اليوم في ملك الأشراف ذوي ناصر العبادلة .

٢٤ ــ عين مُرْع : (مُرْعُ) وادٍ يأتي من سَرَاة طُوَيْرِقٍ من ثَقِيف ، به آثار قرى كثيرة ومزارع ، وأساسات جدر وعطاف ، قد مَـرَّ على خرابها قرون طويلة ، يدل على ذالك رموس آثارها الباقية . ويُفْرِغُ (مُـرْعُ) في وادي (قَرْنٍ) من الناحية الجنوبية ، بالقرب من بلاد زراعية هناك تعرف باسم (بلاد راضي) يملكها الشريف غازي بن زيد بن فواز العبدلي ـ رحمه الله ـ لازالت في ملك أولاده من بعده .

وقبل بضعة أعوام كثرتِ الأمطار على تلك الناحية ، وتتابعت السيول الجارفة ، فكشفت عن دبل عين به ماءٌ ، فدل ذالك على أنه من آثار عين دامرة ، لَـمْ أجد من يعرف عنها شيئاً ، لا من أين تأتي ولا أين تنتهي ولا أين كانت مزرعتها .

وَادِي (قَـرْن)

يأخذ أعلى مسايله من بلاد قُرَيْشٍ وديارها ، ويتكون من ثلاثة فروع رئيسة . الأول : وادي (الشِّـق) ـ بكسر الشين المعجمة بعدها كاف ـ ويأخذ أعلا مياهه من جانب حِـمَـى قريش الشمالي . الثاني : (السُّـرَب) ـ بضم السين المهملة وفتح الراء وآخره باء موحدة ـ ويأخذ أعلا مياهه من رؤوس جبال (عَلَق) والأرواح الموصلة إلى الضَّحياء .

الثالث : (الخـش) ـ بضم الخاء المعجمة وآخره شين معجمة ـ وأعلاه يسمى (مَغَل) ـ بالفتح والغين معجمة ـ ويأخذ أعلا مياهه من جبال (الـحَبَلَة) ـ بفتح الحاء المهملة والباء الموحدة واللام وآخره تاء ـ وكل واد من هذه الأودية يصب فيه شعاب وتلاع ونواشع كثيرة لا تكاد تحصر . وبعد اجتماع هذه الفروع جميعاً

وتكوينها للوادي الفحل ، يـمـرُّ على قرى ومزارع لقريش فيسمى من عندها بِـ (الغَدِيْرَيْن) وبعد تجاوزه مزارع قريش هذه يمر على مزارع وقرى للنمور من ثَقيف ، يخترقها طريق مكة المكرمة عَبْرَ عَقَبَةِ (كَرَا) فيسمى الوادي من هناك (وادي الـمَحْرَم) لكونه ميقات الإحرام لمن أراد حَـجًّا أو عمرة ، وعلى جانبه الشرقي يقع مسجد الميقات الحديث ، عن يمين الطريق المعبد ، والقديم عن يساره ، كان على طريق الدواب على طرف الوادي ، ويظل هذا الاسم رديفاً لقرن على طول الوادي ، وبعد تجاوزه لقرى النمور التي من أشهرها قرى القِبَسَةِ والمشاهِبَةِ واللَّوَامِيَة ، والمشاييخ ، والدار البيضاء ، يمر على مزارع وقرى لِـ (طُوَيْرق) من ثقيف ، من أشهرها الـمُلْتَوَى ، والدار والـحُرْقة ، ثم تنقطع عنه المزارع حتى تَصل (رحاب) نازلة عنه شرقاً فيأتيه مسيل (وُدَيْمَة) ثم (دَحْنَا) من الشرق ، وبعدهما يأتيه من الغرب الجنوبي وادي (مَـرْع) آتياً من بلاد (طُويرق) بالقرب من مزرعةٍ ثَمَّةَ ، تعرف ببلاد راضي ، ومن هنا يكتنفه من الشرق (حُزَيْمُ فواز) ومن الغرب (حُزَيْم طويرق) وهي كانت أحماء فيما مضى ـ والوادي في مسيرته هذه يرفده الكثير من الشعاب والتلاع والوديان الصغيرة حتى يصل (السيل الكبير) وعند تجاوزه لعمران السيل يأتيه من الشرق وادي (الـمُلَيْح) المذكور في مسير النبي عليه الصلاة والسلام إلى الطائف بعد حُنَيْنٍ ، وهو من أكبر روافده في تلك الناحية ، وبعد تجاوزه لديرة الثُّبَتَةِ ينقطع عنه اسم قَرْنٍ ، وتختلط به أودية كثيرة حتى يفرغ في وَادي (نَخْلَةَ الشَّاميَّة) وقرن يعتبر أعلى مسايل وادي نخلة الشامية الذي يعد من الأودية الفحول في تهامة .

ويحاذيه من الجنوب وادٍ فَحْلٌ آخر هو (نخلة اليمانية) يأخذ أعلا مسايله من أودية الهَدَى (الهدة) وحِـمَـى النمور ، وبلاد طُويرق ، وديار الـجَوَازِيْن ، وأودية الشَّرقَةِ والشريف[١٦]، عبر رافدين كبيرين هما (الكُفْـوُ) والشعب الأحمر ، وأما مسايله القريبة فهي تأتيه من (البُهَيتَةِ) ـ البوباة ـ وما حولها من هضاب وجبال . وبعد التقاء النخلتين عند (الـجَدِيدة) يسمى بوادي (الزبارة)[١٧]، ويظل بهذا الاسم حتى يتجاوز (عين المبارك) فيسمى بوادي الشَّرِيف ، أو وادي فاطمة ،

وهو (مَـرُّ الظهران) قديماً ، ثم يمر على (حَدَّاءَ) مخترقاً الـخَبْت الواقع عنها جنوباً حتى يقتحم في البحر الأحمر جنوبي جُـدَّةَ .

٢٥ ــ عين الدار البيضاء : الدار البيضاء قرية ومزارع في وادي (الـمَحْرَم) على جانبي الوادي ، حَدْرَ مزارع المشايخ وقريتهم . وهي ضيعة كبيرة ، ومزارع كثيرة ، تكاد تكون أعظم مزارع على وادي (الـمَحْرَمِ) وقريتها أكبر قرية في الوادي ، وأهلها حسب عرف قبيلة النمور يُعَدُّونَ رُبُـعَ القبيلة ، لكثرتهم وهم عدة أفخاذ من النمور[١٨].

وأما عينها فقد أخبرني بعض العارفين بأن دبلها يُصْعِدُ مع الوادي ، متبطناً له حتى يصل حذاء قرية (القِبَسَةِ) بوسط الوادي ، حيث تقف أميتها ، وهي عين ضحضاح كثيرة الانقطاع ، لا تجري إلا في سنين الرجع والحيا . وهي مملوكة لأفناء من الناس ، ونصاب وجباتها اثنان وأربعون وجبة ونصف ، وهو أكبر نصاب عين في المنطقة ، إذْ أن أغلب العيون بمنطقة الطائف كان نصابها ستة وثلاثين وجبة .

وادي (لِيَّـــة)

يأخذ أعلى مسايله من سَرَاة بني سُفْيان من ثقيف ، ويتكون من فرعين رئيسين هما وادي (غَدِير البَنَات) وهذا يأتي من حِـمَـى بني عمر ، ويفرغ في وادي خُمَاس المسمى أسفله بالأُقَيْلِح ، وأكثر جبال بني سفيان الشرقية ، وأعلى مسايله يأخذها من الفَرْع وجبال (دَكا) و (شعار) ، ثم ترفده شعاب ومسايل قُرْنيت من بلاد (آل ساعد) وهو جبل سامق ، يراه المقبل على الطائف من الشرق والشمال كأعلى جبل في سراته ، له قمة ذات رأسين .

وبعد تجاوز الوادي ديار بني عمر ، ترفده مسايل (عَفَارِ) آل (حَـجَّة) وهو غير (عَفَار قُريش) ثم إذا أسهل قليلاً يأتيه مسايل حِـمَـى عوف من الشرق .

والفرع الثاني لوادي (لِـيَّة) هو وادي عُرَضَة ، وهذا يأخذ أعلى مسايله من جبال (القُرَّة) و (الـخُلَّاص) والجبال الشرقية الشمالية من ديار آل حجة من بني

سفيان ، ثم ينحدر مخترقاً بلاد قريش يُـمِدُّهُ منها كثير من الشعاب والتلاع ، حتى يلتقي بِغَدير البنات ، فيكوِّنَانِ وادي (لِـيَّةَ) وبعد التقائهما بقليل وفي مضيق هناك أُنْشِـيَ سـدٌّ حديث لحفظ مياه السيول ، والانتفاع بها لريِّ المزارع وإثراه المياه الجوفية في المنطقة وأول مزرعة تقع عليه بعد السّدّ تسمى (أبو حِـجارة) .

وهو وادٍ عامر ، ومنظوم بالقرى والمزارع ففي أعلاه قرى ومزارع لبعض أهل الطائف الحاضرة ، ولذوي سلطان الأشراف (الفعور) ثم قرى ومزارع (عوف) ثم مزارع الأشراف (الشنابرة) ثم مزارع وقرى آل زيد بن سليم (الفعور) الأشراف ، ثم مزارع الفِتَات ، ثم مزارع آل بركات (العبادلة) ثم قرى ومزارع الزُّوَران من (عتيبة) ، وهي تكاد تشغل النصف الأسفل من الوادي ، وهناك أملاك ومزارع لأفراد غير من ذكرنا لا يتسع البحث للتقصي وذكر أسمائهم .

وعندما يصل الوادي إلى مزارع (الفعور) المعروفة بِعُمْقَان ، يأتيه من الشرق وادي (جَفْن) وهو واد كبير ، ويعد أكبر رافد لوادي (لِيَّة) وعند تجاوزه لمزارع الوهابية وجسر طريق الجنوب المقام على الوادي يأتيه من الشرق وادي سمنان ، ومن الغرب وادِي اليُسْرَى ، الذي كان اسمه (الضَّيْقَة) فأسماه الرسول عليه الصلاة والسلام اليسرى[١٩]، وذالك عند مروره عليه بعد غزوة حُنَيْنٍ ، لحصار أهل الطائف ، قال ابن هشام : (ثم سلك في طريقٍ يقال لها الضَّيْقَة ، فلما توجه فيها رسول الله ﷺ سأل عن اسمها فقال : « ما اسم هذه الطريق ؟ » فقيل له : الضيقة فقال : « هي اليسرى » ثم خرج منها على نَخِب) وهي كما قال ابن هشام أعلاها يخرج على وادي نَخب . والوادي في مسيرته هذه تُمِدُّهُ تلاع ونواشع كثيرة من كلا جانبيه ، وإذا تجاوز مزارع الـجُمَّع (ذوى جُمْعَة) من الزُّوران يأتيه من الشرق وادي شُرُس ، وهو وادٍ ليس بالطويل ، يأخذ أعلا مسايله من هضاب وجبال السِّـرِّ .

وعندما يصل وادي (لِيَّة) إلى المزارع المسماة بالمختلطة المناوحة لمزارع (خَـدِّ الحاج) على الجانب الأيسر للوادي يأتيه من الغرب وادي نَخِب ، وهو وادٍ متوسطُ الطول يأخذ أعلى مسايله من القَرَاحِين ، وهضاب وجبال أُمِّ العَرَاد والرُّدَّفِ

والسِّدَادِ ، والتُّومَان والوَشْحَاء ، وهو عامر بالمزارع والقرى ، من أشهرها أُمّ سباع وقد وصلها عمران الطائف ، والقُنَيْنَة ـ تصغير قُنَّة ـ والدار العُلْيا وقُصْعَان ، وهي قرية بُدَيْوي بن جُبْران الوقداني ، الشاعر الشعبي المشهور ، وقرية الهباهبة ، والصور ، وظُـهَـيّ ، والنّشَارِيّة والسِّنَانِيَّة ، والدَّمْجاء ، والزَّهرانية ، وتسكن وادي نخب قبيلةُ وَقْدَان من عُتَيْبة .

ثم إذا تجاوز لية (خَـدَّ الحاج) والرُّميدة والقويسم أُطْلِق عليه من هناك اسم (جَلِيل) فيقع عليه قُرى ومزارع كثيرة ، أغلبها لِلْعُصَمَة الوبارى ، والشجاعين ، من أشهرها الدهماء ، وظبية ، والهيشة ، والسُّرَيج ، والفُقَيَّة ، والبَاسَة ، والفُضَيَّة ، والبِيْشِيَّة ، والثابِتِيَّة ، والـخُضَيرة ، وَزَحَّام ، وفَوْزَان ، والصانعيَّة ، والـخُفَيْج ، وأبو سليلاء ، وبعد انقطاع مزارع (جليل) يصل الوادي إلى بلاد، (عَدْوان) فتقع عليه عدة قرى ومزارع ، هي أم الشَّرَم ، والعُبيلاء ، والمجانب ، وصُلَّبَة ، والباردة ، وهي آخر مزرعة عليه ، وبعد تجاوزه للباردة يأتيه من الجنوب وادي (لُوَان) ـ بضم اللام وفتح الواو بعدها ألف فنون ـ وهو وادٍ ميت ، يأخذ مسايله من هضاب الشَّط ، وقفافِه ، وبعد التقائهما بقليل يطلق عليه اسم (الـجُفُر) ويعرف بوادي العُصَمَة ، تقع عليه بئار للبادية ، ويستمر الوادي في انحداره إلى (رُكْبَة) حتى يحاذي جبل (البَرْثِ) من الشمال الغربي ، فتقع عليه هناك بئار لبادية العُصَمَة ، تسمى (سَوَامِيد) ـ واحدتها سامودة ـ هي آخر مورد عليه لبدو تلك الناحية ، وبعد تجاوزه إياها تنداح (رُكْبَةُ) أمامه ، فيضمحل في سهل الـجَرَدِ المعروف هناك .

ووادي (لية) له ذكر في كتب الأقدمين قال الأصفهاني[٢٠]: (ووادٍ يقال له لِيَّة أعلاه لثقيف وأسفله لنصر ، وبين لِيَّة وبَسِلٍ بلد يقال له (جَلْذان)[٢١] تسكنه بنو نصر) وقال الهمداني[٢٢]: وبشرقي الطائف وادٍ يقال له لِيَّة ، تسكنه بنو نصر من هوازن) وقال ياقوت[٢٣]: (ولِيَّة من نواحي الطائف ، مَرَّ به رسول الله ﷺ حين انصرافه من حُنَيْنٍ ، يريد الطائف ، واستشهد على اسمه ببعض أبيات من الشعر منها قول غيلان بن سهم :

جَلَبْنَا الخَيْل مِنْ أَكْنَافِ (وَجٍّ) ولِيَّـةُ نَحْـوَكُم بِـالـدّارعـيْنَـا

وقول عبدالله بن علقمة الـجِذْمِـيِّ من جَذِيمة كِنانة :

أَرَيْتَـكِ إِنْ طَالَبْتُكُمْ فَـوَجَـدتُّكُمْ بِلِيَّـةَ أَوْ أَدْرَكْتُكُم بِـالـخَـرَانِقِ

أعتقد أن (الـخَرَانق) محرفة عن (الـخَرَائق) وهي معروفة إلى اليوم أسفل وادي بسل ، حَدْرَ السُّدَيْرَةِ ، بِعُلُوِّ (رُكْبَةَ) .

٢٦ ــ عين خدّ الحاج : (خَـدُّ الحاجّ) ضيعة كبيرة ، تقع بأَسفل وادي (لِيَّة) على العدوة اليمنى منه بعد التقائه بوادي (نَخِب) وكانت تُعَدُّ من أكرم مزارع لِيَّة ، لما تجود به من وافر الثمار ، وطيب الخضار ، فرمَّانُها كان يضرب به المثل في الكبر والحلاوة ، وتَمْرها من أجود التمور في منطقة الطائف ، ولكن السنين توالت عليها حتى أصبحت الآن شبْهَ مواتٍ لا منتوج لها يذكر . ويذكر بعض العارفين أنه كان لها عينان عين تتبطَّنُ الوادي وتسند معه ، وعين تحفُّ الجبل الواقف عليها من الشرق ، وتصعد نحو الجنوب في محاذاة العين الأخرى ، ولكنني أعتقد أنها عين واحدة ، وعند إقبالها على المزرعة يتفرع الدبلُ إلى فرعين: فرع يأتي البلاد من أعلاها وفرع يسقي أسافلها ، وقد ذكر بعض المعمرين أنه لحقها تجري ، وتسقي المزرعة ، ولكن ذالك في سنين الرجع والحيا ، فيظهر أنها عين ضحضاح وليست عِدًّا ، إنْ سال الوادي جرتْ وإنْ شَحَّ السحاب جفَّتْ وانقطعت ، وتُعَدُّ الآن من العيون الدامرة ، ولا تعرف أميتها ولا بدايتها ، وهي في ملك الأشراف ذوي بركات العبادلة .

هندسـة العيـون :

هندسة قنوات العيون ودبولها شيء فيه الإتقان والدقة والعظمة أيضاً ، حتى إنْ الإنسان في عصرنا يحار في معرفة الآلات والوسيلة التي استخدمها مُبدعو هذه العيون . فدبول هذه العيون تعمق في الأرض عند أمياتها إلى ما يقرب من ستّين متراً أو أكثر أو أقل قليلاً ، ثم يتناقص هذا العمق تدريجياً حتى يظهر الدَّبْلُ على

وجه الأرض عند المزرعة ، وينساب الماء منه فيها دون رفع أو ضَخّ ، وهذا أمر لا يحصل إلا بدقة متناهية في نسبة الانسياب تجعل الماء يجري بحسبان ، والدبْلُ في انحداره لا يأخذ خطًّا مستقيماً بل يأخذ شكلاً في اتجاهه يشبه أَثَر الأَفْعَى في التعرج والتلوِّي ، وذالك للحفاظ على جوانبه وأرضه من التآكل والانجراف من ضغط الماء ، عند ارتفاع منسوب الماء في سنين الرجع والحيا . وقد شاهدتُ ذالك بعيني في دَبْلِ عين (الوهَط) عندما عمرت الحكومة السعودية دبلها القديم في أوائل التسعينات من القرن الرابع عشر الهجري ، حينما كان يشرف على عمارتها أخي وصديقي الشيخ عبدالله بن محمد المهنا ، رئيس بلدية الطائف الأسبق .

والدبل في انصبابه من أميته إلى المزرعة لا يكون في ارتفاع واحد بين أرضه وسقفه ، بل إن فيه من الهندسة الشيء العجيب ، ففي مواضع منه لا يستطيع الإنسان دخوله إلا مضطجعاً وعلى جنبه ، وفي مواضع أخرى يستطيع الـحَبْوَ فيه ، وفي مواضع يستطيع السير واقفاً ، وفي مواضع لو وقف على ظهر مطية لما لحق السقف ، وفي مواضع يتسع حتى يكون كأكبر ما تكون البِرَكُ ، وفي أماكن يكون جداره مبنيًّا بالحجارة ، وفي أماكن يكون منحوتاً في الجبال نحتاً لا ترى للبناء فيه أثراً ، على غرار ما يُعرف في مكة المكرمة بـ(الغمس) .

وبطول هذا الدبل ينفذ من عمقه ، غُرَفٌ للتفتيش ، خرز ، إلى أعلاه ، لا يتجاوز بُعْدُ الواحدة عن الأخرى أكثر من ثلاثين متراً تقريباً ، وهي دائماً تكون مبنيةً بناءاً دائِرياً من أسفلها إلى أعلاه ، وبقطر لا يزيد في الغالب عن متر واحد ، ولكنَّ غطاءها غالباً ما يكون متساوي الارتفاع إلى وجه الأرض ، أي لايبعد غطاء الخرزة عن وجه الأرض بأعمق من مترين ، وذالك ليستطيع متتبع الدبل إذا صعد في الخرزة أن يسمع من فوقها في غطائها الحجري من أسفل فيكشفون عنها التراب ، ويفتحونها ، وهكذا دواليك إذ احتاج الأمر لفتح أكثر من خرزة .

تاريـــخ العيـــون :

العيون في منطقة الحجاز منتشرة في أوديته وواحاته ، وبخاصة فيما بين الحرمين

الشريفين وماحولهما من أودية ، كَيَنْبع ، والفُرُع ، ورُهَاطٍ ، ومَرِّ الظهران ـ وادي فاطمة ـ ونَعْمان ، ومِلْكان ، ونَخْلَة اليمانية ، ونخلة الشامية ، والزَّبَارة ، وأودية الطائف ، ومرَّان ، وغيرها ومع أنها قديماً هي العمود الفقري للإقتصاد في الحجاز إذْ الزراعة هي الركيزة الأولى التي يعتمد عليها سكان هذا الإقليم في معاشهم وانتعاشهم ، سواء فيه الحاضرة والبادية ، إلا أنني لم أجد ـ حسب اطلاعي ـ من أرخ لهذه العيون ، ماعدا العيون الخاصة بالمدينتين المقدستين مكة والمدينة ، تاريخاً واضحاً ، يحدد زمان عمارتها ، وأسماء من عمرها ، والطريقة التي كانت متبعة في مثل هذه الأعمال للحفر والبناء ، والنحت في أعماق الأرض ، لأن عمل قنوات هذه العيون ودُبولها فيه شيء من الإعجاز لا يستوعبه المرء بدون معرفة تلك الطريقة ، والوسائل المستعملة فيها . لهذا انطبع في عقول العامة أن الذي عمر هذه العيون هو سيدنا سليمان بن داود ـ عليه السلام ـ وأنه استخدم في ذالك الـجِنَّ والرياح ، لأن في تصورهم أن الإنسان العاديَّ لا يستطيع مثل هذا العمل في أعماق الأرض ، وبتلك الدقة والإتقان في البناء والنحت ، والإنسياب المائي المحسوب .

والحقيقة التي لا شك فيها أنها من عمل البشر ، ومن صنع أيديهم ، ولكنهم بلا شك أيضاً كانوا يقضون السنين الطوال في إنجاز عمارة عين واحدة ، فالتاريخ يحدثنا أن (فاطمة خانم) ابنة السلطان سليمان ، عندما أرادتْ إيصال (عين زبيدة) من خلف مِنَى ، حيث وقف عمل السيدة (زبيدة) ببئرها المشهورة إلى مكة المكرمة ، استغرق ذالك العمل عشرة أعوام حتى وصلت إلى دَبْلِ عين حُنَيْنٍ الواصل إلى داخل مكة ، وهي مسافة قصيرة لا تزيد[٢٤] على ألفي ذراع أي مايقرب من كيلين ، فمن هذا يتضح أن عمارة العيون لم تكن من السهولة بمكان ، ولا في مقدور كل إنسان ، بل لا يستطيعها إلا ذو قوة وثراء .

وأَوْفَى من رأيته تحدث عن عمارة العيون ، والطريقة التي كانت متبعة ، والوسائل المستخدمة في حفر الدبول وشقها وبنائها هو العلامة القطبي[٢٥] ـ رحمه الله ـ في القرن العاشر الهجري ، عندما ذكر عمل السيدة (فاطمة خانم) في عين زبيدة ، وإيصالها إلى مكة ، فقد ذكر أنه كُتِبَ نحو ألف نفس من العمال والبنَّائين

والمهندسين والحفارين ، وأنه جلب من مصر وبلاد الصعيد ومن الشام وحلب واستنبول ، ومن بلاد اليمن ، طوائف بعد طوائف من المهندسين ، وخدام العيون والآبار ، والحدادين والبنائين ، والحجارين والقطاعين والنجارين ، وغيرهم ممن يحتاج إليهم كما أتى بآلات العمارة من مصر ، وهي عبارة عن مكاتل ومساحي ومجاريف وحديد وبولاد ونحاس ورصاص وما إلى ذالك مما يحتاجه العمل .

ولكن القائم على إنجاز العمل من قبل (فاطمة خانم) عندما اصطدم في شَقِّهِ للدبل بالحجر الصلد الذي لا تأكله المعاول والأَسَافِيْنُ ، ذكر القطبي أنه لم يجد وسيلةً إلا النار ، فراح يُوقِدُهَا على وجه الحجر لتفتيته وتكسيره ، فكان يوقد مقدار مئة[٢٦] حمل من الحطب الجزل ، ليلة كاملة ، على مساحة لا تزيد عن سبعة أذرع في خمسة أذرع بذراع العمل . ومع كثرة الحطب وصغر المساحة التي كان يوقد عليها إلا أن النار كان تأثيرها قليلاً على وجه الحجر ، لأن تأثير النار كما هو معروف يكون قوياً على مافوقها ، وقد ذكر القطبي أن تأثيرها في الصخر كان بمقدار قيراطين من أربعة وعشرين قيراطاً من الذراع ، حسب اصطلاحهم في ذالك التاريخ ، فيكسر الجزء الذي تأثر بالنار بالمعاول والأسافين ، حتى ينتهي إلى الحجر الصلد ، فتعاد الكرة مرة ثانية بالنار ، فظل العمل عشرة أعوام ، ذالك دأبه إلى أن نفدَ الحطب من جبال مكة وماحولها ، وصار يجلب من جهات بعيدة ، وقد أنفق على شَقِّ ذالك الدَّبْل ـ التوصيلة ـ بين بئر زُبيدة ودبل عين حُنَيْنٍ مئة ألف من عملتهم الذهبية في ذالك التاريخ .

ومع أن القطبي ذكر ما شاهده في القرن العاشر الهجري عن عمارة (عين زبيدة) وتوصيلة دبلها ، إلا أنني أعتقد أن الأقدمين في الجاهلية وصدر الإسلام ممن عمروا العيون كان لهم طريقة أخرى غير ما ذكر القطبي ، إذ لوكانت طريقتهم هي نفسها التي وصفها القطبي لما انتشرت العيون في الحجاز ذالك الإنتشار الواسع ، الذي يجعلها تبلغ عشرات العيون في وادٍ واحد ، كما هو مشاهد في ينبع ومر الظهران وَ (وَجّ) .

ومن هذا الاعتبار أكاد أجزم أنَّ للأقدمين طريقةً ووسائل أخرى غير ما ذكر القطبي هي أيسر وأنجع مما ذكر الشيخ ، وبواسطتها استطاعوا استنباط العيون الكثيرة في أودية الحجاز ، أعتقد أنها لازالت سِرًّا حتى اليوم لم يكشف لنا الباحثون عن كنهها .

الطائف: الشريف محمد بن منصور آل عبدالله

الحواشي :

(١) ص ١٢٠ .
(٢) «الأغاني» ج ١٨ ص ٢١١ - ط الساسي - .
(٢) قال العجيمي: وعين الأزرق بالطائف هي عين الوهط ص ٩٥ .
(٣) جاء في « مروج الدهب » للمسعودي عندما تحدث عن تركة عمرو بن العاص قوله: (وضيعته المعروفة بمصر بالوهط قيمتها عشرة آلاف ألف درهم) كذا ولا أدري هل كلمة (بمصر) مقحمة أم أن له في مصر وهطاً آخر - انظر ج ٣ ص ٣٢ .
(٤) الحصون اسم الحزم هناك عليه آثار دور قديمة .
(٥) وقد حدثني ثقة من أهل المنطقة بأن الدبلين لا يتقاطعان .
(٦) « اهداء اللطائف » للعجيمي ص ٨٧ .
(٧) « معجم البلدان » رسم (الحال) .
(٨) « اهداء اللطائف » ص ٨٦ .
(٩) النعي مزرعة على وادي العرج بجانبه الأيسر .
(١٠) ص ٧٩ .
(١١) ج ٤ ص ٥١٩ .
(١٢) كل هذه المزارع أصبحت ضمن محلة الفيصلية الحديثة .
(١٣) «معجم البلدان» رسم (جفن) .
(١٤) «الرحلة اليمانية» ص ٩٣ ط ٢ .
(١٥) «معجم البلدان» رسم (دحنا) .
(١٦) هذا الوادي أعتقد أنه الذي ذكره الهمداني في « صفة جزيرة العرب » مصحفاً باسم الشريق بالقاف بدل الفاء .
(١٧) ويعرف أيضاً بوادي بني عمير .
(١٨) انظر : « قبائل الطائف وأشراف الحجاز » للشريف محمد بن منصور .
(١٩) « السيرة » لابن هشام ج ٤ ص ٩٢٠ .
(٢٠) « بلاد العرب » ص ٣٠ .
(٢١) يعرف اليوم بالشط .
(٢٢) « صفة جزيرة العرب » ص ١٢١ .
(٢٣) « معجم البلدان » رسم (لِيَّة) .
(٢٤) « الأعلام » للقطبي ص ٢٩٠ .
(٢٥) « الأعلام » ص ٢٨٩ - بتصرف - .
(٢٦) « الأعلام » ص ٢٩٠ - بتصرف - .

نظرات في كتاب :

ـ ٣ ـ

الجيم

لأبي عمرو اسحاق بن مرار الشيباني المتوفى سنة ٢١٠ تقريبا

لقد عهد (مجمع اللغة العربية) بتحقيق الجزء الأول من كتاب «الجيم» للأستاذ إبراهيم الأبياري ، فتولى ذالك ، وقام بمراجعة الجزء عالم جليل من أعضاء المجمع هو الأستاذ محمد خلف الله أحمد (توفي سنة ١٩٨٣م) وصدر سنة ١٣٩٤هـ (١٩٧٤م) في مجلد بلغت صفحاته ٣١٦ مصدراً بكلمة موجزة للأستاذ محمد خلف الله ، ثم ببحث مفصل للمحقق الفاضل عن أبي عمرو الشيباني مؤلف الكتاب وعن كتابه وعن منهج التحقيق الذي سار عليه الأستاذ ، كل هذا وقع في نحو ٥٠ صفحة من الجزء .

والأستاذ الأبياري من أقدم المعنيين بتحقيق التراث ، ولعله مع ذالك من أجرإهم على محاولة تغيير بعض النصوص التي لا يتضح له وجه صوابها ، إما بتغيير لفظ أو زيادة لفظ آخر .

واذكر أنني تعرضت لذالك في مقال لي نشرته عن تحقيق الأستاذ الأبياري كتاب «نهاية الأرب في أنساب العرب» للقلقشندي ، وكان الأستاذ إذ ذاك مفتشاً في وزارة الثقافة في مصر ، وكان مما قلت ما معناه : ان مهمة المحقق ينبغي أن تنحصر في تقديم نسخة أقرب ماتكون إلى نسخة المؤلف على مافي نسخة المؤلف نفسه ، إذ ليس على المحقق أن يغير بزيادة أو نقص أو تصحيح في الأصل ، وإنما يفعل ذالك إذا أراد في حواشي مايحققه ، ولكن الأستاذ أمين الخولي ـ رحمه الله ـ دافع عن الأستاذ الأبياري في مقال نشر في مجلة «الأدب» التي يصدرها الأمناء بأن المحقق ليس مطالباً بأن يقدم نسخة مماثلة لأصل المؤلف، أو مقاربة حسب الإمكان ، من توفير الأصول الصحيحة .

. ويبدو أن الأستاذ الأبياري لايزال مقتنعاً بصحة الطريقة التي سار عليها منذ

عهد قديم ، كما يتضح هذا مما سأعرضه من عمله في هذا الجزء من هذا الكتاب .

ولن ألاحظ على المقدمة الطويلة للأستاذ الأبياري سوى :

١ ــ لا أدري أكان يعلم أنَّ باحثاً ألمانياً هو (ڤرنر ديم W. Diem) قد تناول كتاب «الجيم» بدراسة قد تكون وافية نشرت باللغة الألمانية سنة ١٩٦٨م ـ أي قبل نشر هذا الجزء بست سنوات ـ وقد نال هذا الباحث الألماني شهادة (الدكتوراه) من إحدى الجامعات في ميونخ ـ على تلك الدراسة ـ فلعل الأستاذ الأبياري لم يعرف شيئاً عنها .

٢ ــ قال الأستاذ الأبياري في المقدمة ص ٣٧ مانصه : ومأأكثر ماجاء في كتاب «الجيم»: الأكوعي والسعدي والطائي والعُمَاني وهو لا يريد وَاحِداً بعينه ، وإنما يريد واحداً منسوباً إلى قبيلة من هذه القبائل ـ كذا قال ـ

وقد يكون في اطلاق هذا القول من الأستاذ الأبياري مايحمل القارئَ على الاعتقاد بأن أسماء الرواة الذين ورد ذكرهم في كتاب «الجيم» لا يقصد المؤلف بهم رواة معنيين ، ولكن الأمر بخلاف ذالك ، فقد يروي المؤلف عن رجل من قبيلة ، فينسبه إليها ولكن كثيراً ممن روى عنهم ليسوا نكراتٍ ، بل معروفين ، فهو يروي عن الكلابي مثلاً ، ويقول في روايته عنه (١/ ١١٩): وأنا أشك فيه ، وأخاف أن يكون الأعرابي تخرصه . وهذا يدل على شدة تحريه الصدق ممن يروي عنه ، وهو يسمى رواته في كثير من الأحيان ، مثل أبي السمح من بني أبي بكر بن كلاب (٢/ ٢٥١)، وغسان التميمي اليمامي (١/ ١٦٥ و٣/ ٢٨٢) والدكين الطائي ثم المعني (١/ ١٥٩) والخزاعي أحد بني ربيعة من بني حُبْشِيَّة بن كعب أورد له شعراً في مدح الرسول ﷺ (٢/ ١٤٠) وأبي زياد الكلابي (١/ ٢٩٨) والتَّبَالِي من بني أبي بكر بن كلاب (٢/ ٢٣٠) والغنوي نصر (١/ ١٢٣) والوالبي ، ولقبه أبو الخرقاء (١/ ١٣٧) والفزاري أبو خليفة (١/ ١٤٢ و٢٤٣) والنميري أبو السفاح (١/ ٢٤٧) والسعدي أبو جابر (١/ ٢٢٤) والفَرِيْري حازم بن عتَّاب (١/ ٥٦) إلى غير ذالك من الرواة الذين سمَّى بعضهم وكنَّى آخرين ، مما يدل على أنه لم يقصد نكرات مجهولة .

٣ ــ مع جودة نسخة الأصل التي تُعَدُّ فَرِيْدَةً إلا أنها لا تخلو من الأخطاء (١/٨١): البرك جبل بين حَلّ وضنكان . كذا في المخطوطة ، وهذا خطأ أدركه المحقق الفاضل فوضع الصواب (حَلْيٍ) ، كما أن كثيراً من كلماتها تصعب قراءته ، فالكاتب لا يفرق بين اللام والكاف في آخر الكلمة ، وبهذا تشتبه كثيراً من الكلمات التي آخرها ذالك الحرف مثل كلمة (يعلك) فقد تقرأ (يعلل) وهكذا ، كما أن الناسخ لا يثبت النون الملحقة بالفعل ، مثل (ليحلفن) بل يجعلها ألفاً (ليحلفاَ) ويضع ألِفاً بعد الواو وان لم تكن للجماعة ، ولا يكتب الهمزة في بعض الكلمات مثل (المرة) أو يكتبها بدون ألف (المرءه) مع وجود كلمات كثيرة يظهر أنها لم تتضح له فوضع فوقها حرف (ص) ولعله يقصد أنها وردت في الأصل بهذه الصورة .

لهذا فقد استعصت قراءة بعض الكلمات على الـمُحَقّق الفاضل ، ومن الأمثلة على ذالك (١/١٣٨): (قابلت بهذا الجزء مافيه نسخة أبي موسى الحامض) .

والصواب: (قابلت بهذا الجزء ثانية نسخة أبي موسى الحامض) .

ولا أطيل بذكر أمثلة لهذا .

ولعل تلك الهنوات الواقعة في مخطوطة الأصل مما دفع المحقق الفاضل إلى عدم الاطمئنان إلى كثير من الكلمات الواردة في هذا الكتاب الذي يعتبر من أصول كتب اللغة يُرْجع إليه ، ويستدَلّ بما فيه على ماوقع في تلك الكتب لا العكس (انظر ١/١٢٩ و ١٣٠ حيث تجد ملاحظتين للمحقق بضدِّ هذه الناحية) بل بلغ الأمر به ـ وفقه الله ـ إلى أن يغير كثيراً من الكلمات ، إما بزيادة أو إبدال أو غير ذالك مما اكتفى بِعَرْضِ نماذج منه ، ولعل من أَسْوَإِها إدخال أسماء الشعراءِ الذين لم يذكرهم المؤلف في صُلْب الكتاب عند إيراد شواهده ، فقد يكون المؤلف ممن يرى عدم صحة نسبة الشعر إليهم .

١ ــ ص ٥٣ : وأنشد :

تَعَلَّمْ يـا أَبـا الْجـحَّـافِ أنِّي أخٌ لَـكَ مـاتَبَيَّنْتَ الـطَّرِيْـقَـا

ومـالَـمْ تَغْشَ أَوْقًـا إنَّ عَجْـزًا بِـرَأْيِ المَـرْءِ أَنْ يَغْشَى الأَوُوْقَـا

زاد قبل كلمة (وأنشد): [الأَوْقُ الجَوْرُ] وقال عن هذه الزيادة : (تكملة يقتضيها السياق) .

٢ ــ ص٥٣ : وتقول: هم أَلْبٌ عليه ، إذَا كانوا عليه .

زاد في الجملة : إذا كانوا [مجتمعين] عليه . وقال في الهامش : (تكملة تقتضيها السياق) .

٣ ــ ص٥٦ : وقال: أتاني في أُجَاج الصَّيْف .

زاد المحقق : [أي حين أجدب] وكتب في الهامش : (بمثل هذه التكملة يستوي الكلام) .

٤ ــ ص٥٨ : وقال : أَفَرَ يَأْفِرُ أَفْراً .

زاد : (عَدَا وَوَثَبَ) ووضع في الحاشية : (بمثل هذه التكملة يتم الكلام «لسان العرب» (ا ف ر) .

٥ ــ ص٦٣ : الأَطِيْمُ لَحْمٌ وشَحْمٌ يُطْبَخُ ويُشَدُّ رأْسُهَا .

وفي هامش الأصل : (ض: كذا ويشدُّ رأسها) وحذف الهامش في المطبوعة وزاد (في قِدْرٍ) وأضاف في الهامش : التكملة من شرح القاموس) .

٦ ــ ص٦٣ : السَّمَاءُ تَأْلِبُ إذَا مَطَرتْ .

وزاد في المطبوعة : (فهي أَلُوبٌ) وقال في الهامش : (تكملة من كتب اللغة يستوي بها الكلام) .

٧ ــ ص٦٤ : والمؤْنِفُ الَّذي يرعَاهَا أُنُفاً ، لم يَطَأْهُ أحدٌ .

وفي المطبوعة : (والمؤنف الذي يرعاها ، ومكان أُنُفٌ لم يطَأْهُ أحد) .

٨ ــ ص٦٤ : فإذا كانَ دَقيقاً فهو الحبل .

في المطبوعة : (وإذا كان مستطيلاً رقيقاً فهو الحبل) فزاد (مستطيلاً) وصحَّف (دقيقاً) .

٩ ــ ص ٦٩ : والإِفْتُ الناقة حين تلقح قال :

كَـأَنِّي لَـمْ أَقُـلْ عـاجٍ لإِفْتٍ تُـرَاجِـعُ بعـد هِـزَّتِهـا الـرَّسِيْـمَا

في المطبوعة : الأَفْتُ وزيادة (ابن أحمر) بعد كلمة قال . وحذف حاشية نصها : (ض: الإِفْتُ بالكسر) وحاشية أخرى: (س : حفظي: أَفْت) .

١٠ ــ ص ٧٠ : إِبِلٌ أَبِلَةٌ : أَيْ جازِئةٌ .

وزاد في المطبوعة : (عن الماء بالرُّطْب ، وفي الحاشية : (بمثل هذه التكملة يتمُّ المعنى) .

١١ ــ ص ٨٥ : وأنشد :

لَـقَـدْ تَـأَوَّبَـنِيْ هَمِّـي فـقـلَّبَـني كَمَا تَقَلَّبَ في قُرْمُـوْصِهِ الصَّـرِدُ

وفي المطبوعة : وأنشد [للراعي] أدخلها في صلب الأصل ، لا في الهامش .

١٢ــ ص ٨٨ : تقول مَاأَبْشَعَهُ وأقلَّ مِلْحَهُ : وقال :

مِثل الجمال الشُّهْبِ لا بَلْ أبشعا

زاد في المطبوعة بعد كلمة قال : [رُؤْبة] .

١٣ ــ ص ٩٠ : وقَالَ : البَهْرَجُ بَهْرَجَهُ إذا تركه .

وفي المطبوعة : (وقال: البَهْرَجُ [التَّرْك] الخ فزاد في الأصل .

١٤ ــ ص ١١٥ : الجَشَرُ الذين في خَيْلهم وإِبِلِهِمْ وشائِهِم لا يأْوون إلى أهل .

وفي المطبوعة : الجَشَرُ الذين [يبيتون] في خيلهم وإبلهم وشاتهم . الخ .

وفي الحاشية : (تكملة يقتضيها السياق) ولكن السياق يكمل بدونها ، وبما هو

أشمل وأعم منها ككلمة (يبقون) .

١٥ ــ ص١١٨ : وقال : تُراحُ إلى جَوِّ الحِيَاضِ وتَنْتَمِيْ .

يتركونَها بين الحيِّ ، من الفَزَع .

وفي الهامش بعد كلمة (تنتمي): (بياض في الأصل) وليس في المطبوعة .

وفيها : ([أي] يتركونها من الفزع) بزيادة (أي) على مافي الأصل .

١٦ ــ ص١١٨ : وقال : جُدَّةً من الأَمْرِ ، أي رآى رأْياً مثل جُدَدِ الثَّوْب ، أي خطط .

وفي المطبوعة : (وقال [رآى] جُـدَّةً)الخ فزاد (رآى) .

١٧ ــ ص١١٨ : كأَنَّمَا تَجَاذَوْا على نَصْبِ حَجَر .

وفي المطبوعة (حَجَرا) بزيادة ألف .

١٨ ــ ص١٢٣ : قال :

تَهُبُّ الرياحُ المرسَلاتُ إذَا جَرَتْ عـلى جـنـز تـقصر قـابـره

وبعد كلمة جنز بياض كتبت فوقه كلمة (بياض) وفي المطبوعة وَضَعَ المحقق مكانها [منه] وفي الحاشية (بمثل هذه التكملة يستقيم الوزن) .

١٩ ــ ص١٣٧ : وجهرنا البِئْر ، إذا أخرجوا مافِيها ، إن كان فيها ماء ، أو لم يكن ، وجهرنا . ثم بياض في الأصل مقدار ثلاثِ كلمات بعده :

مِلاَوَةً كأَنَّ فوقي جَلَدَا

وفي المطبوعة : (وجَهَرْنا . . .

قال العجَّاج : ملاوة) الخ .

وفي الحاشية على كلمة (وجهرنا): (للكلام بقية) !

٢٠ ــ ص١٤٢ : تقول للشيء يُتَعَجَّبُ منه ، وقال :

تَـزُوْرُوْنَهَا ولا نَـزُوْرُ نسـاءَكُمْ أَحَـارِ لِأَوْلَادِ الإِمـاءِ الحـواطب

وفي الهامش : (في نسخة ض : تقول للشيء يُتَعَجَّبُ منه : (أَحَارِ) .

ونَصُّ مافي المطبوعة : (تقول للشيء يتعجب منه [أحارُ] وقال)الخ بزيادة [أحارُ] وفي الهامش : (التكملة من ض) وكلمة (أحار) في الأصل مكسورة الراء ـ لا كما في المطبوعة .

٢١ ــ ص٥٣ : قال :

وَالْـحَيُّ أمْسَـى أَوْقُهُـمْ مُجَمَّعَـا

غير كلمة (الحي) فجعلها (والجن) اعتماداً على ماجاء في «مجموع أشعار العرب» وقال : المشطور لرؤبة وقبله :

لَوْ أَنَّ يَأْجُوجَ ومَأْجُوجَ مَعَا
والنَّاس أحلافاً علينا شِيَعا
وعاد عادُوا واستجاشوا تبعا
والجنَّ .

٢٢ ــ ص٥٤ : وأنشد لراشد :

لو أَنَّها دَخَلَتْ ضَرِيْحـاً مُظْلِمـاً فَاسْطَاع قام على الضَّرِيحِ فأَقَهَا

فغير العجز إلى :

فاسطاعها قام الضَّرِيْحُ فأقها

وفسر هذا في الهامش : (اسطاعها : أطاقها ، لغة في استطاع . وآقَهَا : أي آق عليها) .

٢٣ ــ ص٥٤ : الفُرْضَةُ موضع الزَّنْدِ ، والذي يخرج منه الكَبْلُ الأَتِيُّ .

غَيَّر الكَبْلَ فجعلها (السيل) وكتب في الهامش : (لعل صوابه ما أثبتنا) وفَسَّر الآتِيَّ بأنه الغريب وأحال إلى « القاموس » .

٢٤ ــ ص ٥٥ : وما أنا بناقص مِنْ أُرْثَتِهِ ، وتَأْرِيثِهِ .

غير الكلمة الأخيرة فجعلها (وبِأُرْثَتِهِ) .

٢٥ ــ ص ٥٦ : وفي إعطائك إذا رَدَّده . جعلها : وفي عطائك إذا ردده .

٢٦ ــ ص ٥٦ : وهو المعتكَلُ قال حازم بن عتاب الفرِيريُّ :

لاَقَى لِـزَازٌ من غَـدِيْـرٍ مُنْكَـرَهْ تَـرَكَـهُ مُـنْجَـدِلاً عـلى الإِرَهْ

ورد في المطبوعة : والـمُعْتَكلَ ، وقال حازم :

تركته . . الخ .

٢٧ ــ ص ٥٦ : قد أَدَتْ .

وفوق الكلمة (خف) وفي الهامش : (كذا وهو آدتْ . ض) .

واعتمد الأخيرة المحقق ولم يُشِرْ إلى ما جاء في الأصل وفي هامشه .

٢٨ ــ ص ٥٦ : وناقة مُؤَيَّدَة : شديدة .

وفي الهامش : (ض : مؤيَدَة شديدة) وكذا وردت في المطبوعة بدون إشارة إلى ما في الأصل .

٢٩ ــ ص ٥٦ : جعلتُ فلاناً أَدْمَةَ أَهْلِي ، أي أُسْوَتَهُمْ ، وأُدْمَةَ يَدِي .

غير الجملة الأخيرة فجعلها : (وأَدْمَهُمْ) وأشار إلى ما في الأصل في الهامش قائلاً : (ليس في المظانِّ ما يؤيده) .

٣٠ ــ ص ٥٧ : وقال : هم أَقِطُوْنَ .

غيَّرها إلى : هم أَقْطَوْني . وزعم ما في الأصل تحريفاً ، وفَسَّر ماوَضَعه : أقطوني : أطعموني الأقط . . . واللحياني لا يُعَدِّيه . . الخ .

٣١ ــ ص ٥٧ : التأنية حَلْبَةٌ إِلَى حَلْبَةٍ ، جعلها : (على حلبة) .

٣٢ ــ ص ٥٨ : وقال : اشترى فلان أَلْبِيَةً حَسَنَةً . يعني دِرْع الحديد .

غير كلمة (أَلْبيةً) فجعلها : (أَلَّةً) وأشار إلى ذالك في الهامش قائلاً : (وظاهر أنَّها محرفة عما أثبتنا) .

٣٣ ــ ص ٥٩ : وقال رجل من بني أبي بكر بن كلاب يُكْنَى أبا علي : هو أكْذَبُ من الأخِيذ الصَّبْحان . قال : زعم أنه رَجُلٌ مُحلِبٌ ، لَقِيَهُ قومٌ فسألوه عن أهْله ، فكذَبَهُم ، وكان قد اصْطَبح فَنَجَا . فهو الأخيذ حذف كلمة (وكان) فأصبحت الجملة (وقد اصْطَبَح) .

٣٤ ــ ص ٦٠ : أَرَيْتُ للجمل وللفرس . . وهو الآريُّ ، وهي الأخيةُ ، والجماعة الأواريُّ .

وفوق كلمة (الأخية) : (خف) إشارة إلى تخفيف الياء ولكنها وردت في المطبوعة مشددة (الآخيَّة) وفي الهامش: (س: في كتابه الأَخيَّة مشددة وهو خطأ ـ ض : الأخيَّة مشدّدة كما كان في الكتاب ، بخلاف لقول س) . ومافي الهامش لم يرد في المطبوعة .

٣٥ ــ ص ٦١ : وقال الكلبي الزُّهَيْري .

غيرت كلمة (الزهيري) فجعلت (الزهري) وفي الهامش: (الأصل الزهيري تحريف) ولم يورد دليلاً على هذا مع أن الزهيري تكررت في الكتاب (ص ٨٤) وبنو زهير بطن من كلب ، وآخرون من نَهد .

٣٦ ــ ص ٦٢ : وقال البكريّ آسُ الطريق : إذا ضَلَّ عنك الطريقُ ورأيت بَعْراً أَوْ أَثَراً فذاك آسُهُ .

غيرت إلى (الآسُ الطَّريقُ) الخ .

٣٧ ــ ص ٦٢ : وقال: رجل إلاَقٌ ، للكذاب ، وقَدْ أَلَقَنِي يَأْلِقْنِي أَلْقاً .

وفي الهامش: (ض : أنا أظُنُّه أَلاَّق ـ ض : إلاَقٌ كذا في الأصْل) .

وحُذِف ما في الهامش ، وغيرت كلمة (إلاق) فجعلت (أَلاَّق) .

٣٨ ــ ص ٦٢ : وقال الطائي : أيلولة الظعينة ، لظعينة المرة ، مَرْكَبُها ، تقول : أعِيْريني أيلولتك وهو العَرْيش ، والرقم .

جُعلت كلمة لظعينة (الظعينة) والمرة (المرأة) والعريش (العرش) .

وفي الهامش : (في الأصل : ظعينة ، ولا تستقيم بها العبارة التي يبدو أنها لأحد الشراح ، وأقحمت على الأصل) .

٣٩ ــ ص ٦٣ : لَدَى الكَرَّاز ، تَأْتِلُ لِلنِّطاح جعلها في المطبوعة (الكذَّان) وقال في الهامش : (الأصل الكراذ؟) وظاهر أنها محرفة عما أثبتنا . والكذان الحجارة كأنها المدر ، فيها رخاوة) .

ومادخل الكذَّان الحجارة في هذا الموضع ، وصَدْرُ البيت :

من العُوْسِيِّ مَلْبُوبٌ خُصَاهَا

وإذَنْ فالصواب مافي الأصل (الكرَّاز) وهو الكَبْشُ الذي يحمل خُرْجَ الراعي ، ولا يكون إلَّا أَجَمَّ لِأَنَّ الأقْرن يشتغل بِالنِّطاح -

٤٠ ــ ص ٦٤ : الـمُؤمُّ الذي تصيبه الأُمُّ ، فيعظم رأْسُهُ ، ويَدِقُّ جسمه .

وفي الهامش : (كذا ض كما في الكتاب : المَؤُمُّ الذي تصيبه الأمُّ) .

وفي المطبوعة : (المؤوَّم الذي يصيبه الأَوْمُ) وقال عما في الأصل إنه تحريف .

٤١ ــ ص ٦٥ :

تبـدَّلْتُ مـنهـا خُلَّةً وتبـدَّلَتْ خليـلًا فصاحبا تَبَـدَّلَ أَبْعَـدَا

وكلمة (فصاحبا غير واضحة ولعلها (فمامنا) .

أما في المطبوعة فجاءت (فصاحبنا) ولكن وزن البيت لا يستقيم .

٤٢ ــ ص ٦٦ : وقال الأسعديّ إنَّ شبابه بِإِفَّانٍ . وقال : طعامه بإفَّانٍ ، أي كما هو في المطبوعة (الأشعري) لا الأسعدي الذي كثرت النقول عنه -

ص ٨١/٢٧٩/٢٨١/٣٠٣ وذكر في الهامش أن في الأصل الأسعدي ـ أي إن التغيير مُتَعَمَّدٌ ، ولم يذكر السبب .

٤٣ ــ ص٦٦ : ثَمَّ ماءٌ لا يُؤْبَى : أي لا ينقطع منه .

حذف في المطبوعة كلمة (منه) .

٤٤ ــ ص٦٧ : أَبِلَتْ الإبِلُ أَبَلاً إذا كثُرَتْ ، وأُبولاً ، أَبَل يأْبِلُ ، وأَبَلَتْ تَأبِلُ ، إذا تأَبَّدَتْ .

غيرت كلمة (أبل يأبل) فجعلتْ (أَبَلَتْ تَأْبِلُ) أي كررت . وأشير في الحاشية إلى هذا التغيير وبعد الإشارة : (وما أثبتناه أوْلى بالسياق) .

٤٥ ــ ص٦٨ : قد أَلَتَهُ يميناً ، أي أحْلفه . يَأْلِتُ .

وفي المطبوعة (يَأْلِتُه) وفي الحاشية : (الأصل بالتاء) !!

٤٦ ــ ص٦٩ : وأنشد :

لا تَعْدم العَيْسَجُورُ الإفْتُ ضَرْبَتَهُ عِنْد الحفاظِ إذا مااخْرَوَّط السَّفَرُ

وفي المطبوعة : (القيسجور) .

ولم يخرج البيت وهو في «جمهرة أشعار العرب» في رثاء المنتشر الباهلي لأعشى باهِلَة .

٤٧ ــ ص٧٠ : المؤَالُ الذي قد أُغْلِيَ حتى صار خاثراً . وقال اللعين :

سَمَعْمَعَة كأنَّ بِعَصَمَيْها وضاحِي جِلْدِها رُبَّا مُؤالاَ

وفي الهامش فوق كلمة المؤال : (مثل معال) وفوق كلمة : مؤَالا : (مثل كلمة مُعَالى) .

أما في المطبوعة فجاءت الكلمة الأولى (المؤالى) ولا إشارة إلى ما في الهامش .

٤٨ ــ ص٧٢ : وقال: إذْ كُلُّ شيء يتكلم ، ولا يأكل الإنسانُ الضَّبَّ ، ولا يدري ماهو ، فناداه ضبٌّ : يا إنسانُ ، يا إنسان ! حتى إذا نظر إليه قال :

ويلك ما تركتَ بالواد ، تركت أَيَّمَا زاد ، كُشَىً بأَكْبادٍ . فرجع إليه الإنسانُ فأخذ، فقال : أُخَيُّك ! أُخَيُّكَ . فأرسله . فلما ذهب عنه ناداه بمثل الكلام الأوّل ، فرجع إليه فسطحه وأكله ، فلم يزالوا به يأكلونه بعد .

في المطبوعة: (وتلك) بدل (ويلك) وزيادة كلمة (مثلاً) بعد (فأرسله) .

٤٩ ــ ص ٧٣ : كعرفجة الضَّبِّ الذي يتدلَّلُ. في المطبوعة (تتذل) .

٥٠ ــ ص ٧٤ : جماعة العِنِّين : العَنَانَى .

وفي المطبوعة : (العنانين) وإشارة في الحاشية إلى مافي الأصل .

٥١ ــ ص ٧٤ : الآسُ سَلْحُ النَّحْلِ ، والفَتْلُ أيضاً سَلْحٌ ، والـمَجُّ قَـيْءٌ .

وفي المطبوعة (الفحل) و (الفَتِلُ) .

٥٢ ــ ص ٧٤ : أَتَا بِهِمْ يَأْثُوْا إِثاً .

وفي المطبوعة : (إثاوة) مع إشارة في الحاشية إلى مافي الأصل وجملة (وصوابه ما أثبتناه) .

٥٣ ــ ص ٧٦ : الأَلُّ : السَّرِيع .

وفي المطبوعة : (السُّرْعة) وفي الحاشية إشارة إلى مافي الأصل ثم (صوابه ما أثبتنا) .

٥٤ ــ ص ٧٧ : والتَّيِّحانُ الذي لا يزال مَعْروفه ينفحه هاهنا وهاهنا المتَفَتِّي .

وفي المطبوعة : (والتِّيحانُ المتَعَنِّـى ، الذي لا يزال معروفة ينفحه هاهنا وهاهنا) .

وفي الحاشية : (الأصل المتغنِّي ، ومكان هذه الكلمة في الأصل بعد قوله : وهاهنا) .

٥٥ ــ ص ٨٠ : والبُغَيْبِغُ : التَّيْس من الظِّبَاءِ ، إذا كان شاخًا سَمِيْناً .

وفي المطبوعة : (شادخاً) وأنها الصَّواب لا مافي الأصل .

٥٦ ــ ص ٨٥ : البُغْلُول : الغَوطُ من الرَّمْل ، وهو ينبت .

وفي المطبوعة : (البَلُّوق) وفي الحاشية : (في الأصل البغلوق صوابه ما أثبتنا) .

٥٧ ــ ص ٨٥ : وقال الوادعي : المْبْناةُ النِّطْع وفي المطبوعة (وقال الوداعي) الخ .

٥٨ ــ ص ٨٧ : قال اليماني أبو أحمد : البَرَامةُ العَظَايَةُ .

وفي المطبوعة : (قال اليمامي) الخ .

٥٩ ــ ص ٨٨ : وقال : يقولون للناقة لم تُنْتِجْ حتى بَزَلَتْ : إنَّها لَبِكْرُ الضَّرْع .

وفي المطبوعة : (ويقال للناقة) الخ .

٦٠ ــ ص ٨٨ : دَلْوٌ مَبْصورة وهو أن تخرج الخَرْزَ من جانبك إلى الجانب الآخر ثم ترده .

وفي المطبوعة : (وهو أن تخرج الخرزة من جانب) .

٦١ ــ ص ٨٨ : وقَال : بَرْحاً له إذا تعجَّبْتَ منه .

وفي المطبوعة : (وقال : بَرْحَى لَهُ) الخ .

٦٢ ــ ٨٩ : وقال الطائي :

يــا حُسْنَ مـا بَــطَائنٍ وأوْسُقِ لَوْ كُنَّ مِنْ شيْءٍ سِوَاءِ البَوْرَقِ

وفي المطبوعة : (البَرْوَقِ) وفي الحاشية : (الأصل : البودق تحريف ، انظر « القاموس » وشرحه - برزق) .

وهذا نَصُّ مافي « القاموس » وشرحه عن (برزق) . قال الليث : البرزق

كجعفر نبات . قال الأزهري : هذا منكر ، والصواب البروق بالواو ـ فغيّر ـ قال الصاغاني : ليس هذا في كتاب الليث في هذا التركيب . انتهى . على أنه سيرد قريباً ـ في الأصل ـ اسم البورق وأن المراد به البروق ـ .

والبَوْرَقُ وهو البَرْوق .

وفي المطبوعة : (والبرزق وهو البَرْوق) .

وفي الحاشية : (الأصل : البودق) .

والواقع أن حرفي (د) و (ر) يتشابهان كثيراً في المخطوطة .

٦٤ ــ ص ٩٠ : والمخْرَمُ مُنْقَطَعُ الجبَل ، وهو الوتير .

وفي المطبوعة : (وهو الريد) . وفي الحاشية : (الأصل الوتيد ، وظاهر أنها محرفة عما أثبتنا) .

٦٥ ــ ص ٩٠ :

قالت بُنَيَّ إنَّما أبغي النَّـجَا

وكلمة (إنما) غير معجمة النون فجاءت في المطبوعة (أيّما) .

٦٦ ــ ص ٩١ : قَدْ أَبَاءَتْ أَدِيْمها ، إذَا جَعَلَتْهُ في الدِّباغ .

وفي المطبوعة : (قد أَبَاتَ) الخ .

٦٧ ــ ص ٩٣ : إنَّه بِنَزْهٍ عن الماءِ ، إذا كان بعِيداً عنه .

وفي المطبوعة : (إنه بنزهة من الماء) مع الإشارة إلى نصِّ الأصل .

٦٨ ــ ص ٩٣ : البَتِيْلَةُ من النَّخْلِ الوَدِيَّةُ ، وقَدْ أَبْتَلَتْ .

وفي المطبوعة : (وقد انْبَتَلَتْ) مع الإشارة إلى مافي الأصل .

٦٩ ــ ص ٩٤ : البُوْصُ : ثَمَرُ الأُراين ، يقال قَدْ بَوَّصَ .

وفي المطبوعة : (البُوْصُ : ثَمَرُ الأُرانَى ، قَدْ بَوَّص) .

٧٠ ــ ص ٩٤ : بَرْهَمَ : أدام النَّظَر ، وبَرْشَمَ مثْلها .

وفي المطبوعة : (ويرسم) .

والذي في كتب اللغة : بَرْشَم ـ بالشين المعجمة ، والبَرْشَمَةُ كالبَرْهَمَة : إدَامَةُ النظر .

٧١ ــ ص ٩٦ : قال أبو جُوْنَةَ :

بَرَاعِيْسُ كَالأجَام لَمْ يُمْشَ وَسْطَهَا بِسَيْفٍ ولم تَسْمَعْ رُغَاءَ قَرِيْنِ

وفي المطبوعة (لم يُخْش) وفي حاشيتها : (في الأصل : لم يُمْشَ ، وظاهرٌ أنَّها محرفة عما أثبتناه والأصل فيها : لم يُخْشَأْ بالهمزة ، وسُهِّل ، وخَشَأَهُ بسوط أوْ نحوه ضرب به جنبه وبطنه) .

٧٢ ــ ص ٩٧ : لقَدْ غَنُوْا في تِلةٍ .

وفي المطبوعة : (لَقَدْ غَفُوا) الخ .

٧٣ ــ ص ٩٨ : اترزت حَبْلَها أيْ فَتَلْتَهُ فَتْلاً شديداً ، وفي الحرير والطلق كذا وردت (الحرير) في الأصل وتحتها : (ض : كذا) .

أما في المطبوعة فقد جاءت : (الجَرْم) بدون إشارة إلى ما تحتها .

٧٤ ــ ص ٩٨ : أتْبَرَ فلانٌ عن هذا الأمر إذا انتهى .

وفي الهامش مما لم يذكر : (إيْتَبَرَ) .

٧٥ ــ ص ٩٩ : المُتَالُّ : الذي يطلب بِفَرسِهِ الفحول .

وفي المطبوعة (لفرسه) وفي حاشيتها : (الأصل بفرسه ، وما أثبتنا من كتب اللغة) .

٧٦ ــ ص ٩٩ : وقال : التُّؤَيْلُ القَمِيْءُ . وقال :

تُؤَيْلِيَّةٌ تَمْرِي بِآنُفِها الصَّبَا لها قُطُفٌ من صُوفِها وبَرَانِسُ

وأنا أشكُّ فيه .

وفي المطبوعة : (وأنا أشكُّ فيها) .

٧٧ ــ ص ١٠٠ : وقال العذريُّ : القصبات وقال : مابينهما عِرَمٌ . وأهل نَجْران يسمون حِجازَ مابينهما فجير .

وفي المطبوعة (فَجِيراً) .

٧٨ ــ ص ١٠١ : وقال معروف : التَّرِيبة عن يَمِيْنِ العنق وعن شماله ، وهي شحمةٌ إذا كانت سَمينةً .

وفي المطبوعة : (التَّرِيْمَةُ) .

٧٩ ــ ص ١٠١ : وقال : نَنْزِعُهَا من الإبل إذا كان بها سُهَام .

وفي المطبوعة : (المْتَرَعةُ من الإبل) الخ .

وفي الحاشية : (الأصل يترعها) .

٨٠ ــ ص ١٠٢ : وقال أبو الجرَّاح : الإِتَّتَامُ أن يأكلوا لَحمًا بغير شيء .

وفي المطبوعة : (الإِتْتَام) .

٨١ ــ ص ١٠٥ : في صفات الأمة باللؤم في الأصل : الكتعاء .

وفي المطبوعة : الكثعاء .

٨٢ ــ ص ١٠٥ : وقال الطائِيُّ : الثُّنْيُ من الجزور الرأْس والقلبُ .

وفي المطبوعة : (الثنيا) وفي الحاشية : (في الأصل المثنى ، وما أثبتناه من كتب اللغة) . ومافي الأصل (الثني) لا المثنى والكلمة واضحة ومضبوطة بالحركات .

٨٣ ــ ص ١٠٦ : وقال القُطَاميّ :

مياه السُّوَى يَحْملنها قبل الصوى دليف الروايا بالمثممة الوفْرِ

المثممة : المكففة .

وفوق الصوى : (العُرَى) .

أما في المطبوعة فقد ورد صدر البيت بهذه الصورة :

مِيَاهُ السُّوَى مايَحْمِلَنْها على الصُّوى

وجاء في الهامش : (الأصل قبل ولا يستقيم بها الوزن ـ البيت مما فات الديوان) .

٨٤ ــ ص١٠٦ : امرأة مُثَفِّيَةٌ : أي قد مات لها ثلاثة أزواج . .

وقال العقيلي : المَثَفَّى : الذي تموت عنده ثلاث نسوة .

وفي المطبوعة : (مثفاة التي) و (المُثْفَى) .

٨٥ ــ ص١٠٨ : وقال قد ثِنِتَ القَرْحُ إذا أَدَاد .

قال يزيد بن الحكم :

نَكَأْتْ قروحاً في قُلُوبٍ فَأَصْبَحَتْ براءً، وهل يُشْفَى عَلَى الثِّنْتِ قارِحُ

وفي الهامش : (س : أنا أقول : ثَنَتَ اللحْمُ إذا أَنْتَنَ حتى يَنْهرِتَ ويتساقط) وسقط هذا من المطبوعة .

وورد فيها (في القلوب فأصبحت) .

و (نكأت) التاء مسكنة وهي في الأصل مضمومة. وحاشية الأصل لم ترد في المطبوعة.

٨٦ ــ ص١١٢ : وقال :

يَـامَيَّ أَرْوَى جِـيرتي فحَـبَّبُـوا وأعقبـونـا المـاءَ لَمَّـا جَـبَّبُـوا

وورد في المطبوعة : (فجببوا) ـ أي بالجيم وهي في الأصل بالحاء المهملة .

٨٧ ــ ص١١٢ : والجِرْضِمُ من الغنم : الكبيرة السَّمِيْنَةُ . وجُرَيْضَةُ مثلها .

وفي المطبوعة : (وجُرَبِضَةُ) .

٨٨ ــ ص ١١٢ : من بَكَرَاتٍ حُلِبَتْ ونِيْبِ وفي الهامش (ض : حُلِّئَتْ) .

وأشار إلى هذا المصحح ولكن قرأ الكلمة أو حَرَّفها الطابع (حلتث) .

٨٩ ــ ص ١١٢ : الجائز أصل الشجرة مالمْ تفرَّق .

وفي المطبوعة : (مالم تُغْرس) .

٩٠ ــ ص ١١٣ : جَرَذَ الأرضَ بِحافِرِه ، يَجْرِذُها إذا أثر فيها وحفرها بيده .

وفي الهامش : (ض : جرذ الأرض لحافرها يجْرِذُها وهو الصحيح) .

وفي المطبوعة : (جرذ الأرض لحافرها) الخ وفي الهامش : (الأصل بحافره ، وما أثبتناه عن ض) .

الحامض كأنه استدرك على مافي الأصل مصححاً ، ولكن إبقاء مافي الأصل ، وذكر تصحيح الحامض في الهامش هو ما ينْبغي .

٩١ ــ ص ١١٣ : وقال :

وأُوْتَى البُحُور الخِضْرمُونَ كأنَّما يُناب بِهِمْ رُكْنٌ من الرِّيفِ مِجْنَبُ

وفي الهامش : (ض : وأتى البحور) .

وفي المطبوعة : (وأتى) وفي حاشيتها : (الأصل وأوتى ، وما أثبتنا عن الحامض) .

٩٢ ــ ص ١١٥ : والمجَالح من الإبل التي تُديم ألْبانها في الشتاء ، وخِسَّةِ المِضاغ .

وفي الهامش : (ض : المضاع) .

وفي المطبوعة : (والمجالح من الإبل : تُديم ألبانَها التي في الشِّتاء ، وخسّة المضاغ) .

٩٣ ــ ص ١١٦ : خرج لهم من جِرَاب خَفْرَةٍ أَيْ بَرَزَ إليهم ، وهو مثل .

وفي المطبوعة : (خرج إليهم من جراب خَفْرِهِ ، إذ برز إليهم وهو مثل) .

فغير : (لهم) و (خَفْرَةٍ) و (أي) وقال في الحاشية : (الأصل خفرة تصحيف) .

٩٤ ــ ص ١١٦ : وقال : جَوَّزْتَ حوضك أي قَعَّرْتَهُ وفي الهامش : (ض : جَوَّرت) .

وفي المطبوعة : (جَوَّرت) مع الإشارة إلى مافي الأصل وقول : (ما أُثبت من ض وهو يتفق ومافي كتب اللغة) .

٩٥ ــ ص ١١٨ : الجَوْرَةُ حُفْرةُ النَّارِ ، والجَيَّرُ .

وفي المطبوعة : (الجَيَّار) .

٩٦ ــ ص ١٢٠ : رجلٌ حَجْلٌ : إذا كان غليظ الوَجه ، واسع الجبين ، كَرِهاً ، في عظمٍ وغِلظ وأسنانٍ .

وغير في المطبوعة (كرها) فجعلها (كزّه) وقال في الحاشية : (الأصل كرها تحريف صوابه من « اللسان » حجل) .

٩٧ ــ ص ١٢٠ : تقول للغلام : هو الجَبْرُ ، وللْعُوْد الجبْر .

وفي المطبوعة : (وللعود جَبْرٌ) .

٩٨ ــ ص ١٢٢ : جُشُّ القُفِّ وسَطُهُ ، وهي الجشَّان .

وفي المطبوعة : (وهم الجشَّان) وقال في الحاشية : (في الأصل وهي صوابه ما أثبتنا) .

٩٩ ــ ص ١٢٦ : وقال طُفَيْلٌ الغنويُّ :

لَوْ كُنْتَ سَيْفاً كانَ أثْرُك جُعْرَةً وكنتَ ددانـاً لا يغيّرهُ الصَّقـلُ

وفي المطبوعة : (وكنت دَدٍ أَنْ لا يغيره) الخ .

وفي الحاشية : (كذا ورواية اللسان : وكنت حَرٍ أَنْ لا يغيرك) .

١٠٠ ــ ص ١٢٩ : أكل انفَحة ، بيضاء مُصْلحة ، في صِغْو مِقْدحة . التي يغرف فيها .

وفي المطبوعة : (التي لا تغرق فيها) وفي الحاشية (كذا في الأصل) ونسب إليه : (الأصل اتفحة ـ تصحيف) وهي في الأصل صحيحة لا كما قال .

١٠١ ــ ص ١٢٩ : ما في القَلْتِ إلا نُطْفَةٌ جلسٌ ، وهي أردَأُ الماءِ وشَرُّه .

وفي المطبوعة : (مافي القَلْبِ) الخ .

١٠٢ ــ ص ١٢٩ : الجُرْمُ النَّوى ، وأنشد لأوس بن حَجَر :

جُلْذِيَّةٌ كأتانِ الضَّحْلِ صَلَّبَها جُرْمُ السوادي رَضُّوْهُ بَأَرْضَاحِ

وفي المطبوعة : (رضوه بمرضاح) وفي حاشيتها : (الأصل بأرضاح ، وما أثبتناه من المراجع السابقة) يقصد « الأمالي » ٢/٢٧ و « الديوان » ـ ١٨ ـ و « سمط الآلي » ـ ٢٦٢ ـ .

١٠٣ ــ ص ١٣٠ : وقال أبو الأسود :

أتاني في الطَّيْفَاءِ أَوْسُ بْنُ عامِرٍ لِيخْدَعَنِي عنها بِجِنّ ضِرَاسِها

وفي المطبوعة : (في الضبعاء) اعتماداً على اللسان وشرح القاموس و « التهذيب » .

١٠٤ ــ ص ١٣٢ : وإذا كانت السفينةُ خاليةً قالوا : هي جُرَاب ، وإذا كانت شَاحِنةً قالوا : هي أَمِدٌ .

وفي المطبوعة : (آمِدٌ) بمدّ الألف .

١٠٥ ــ ص ١٣٢ : وقال ابنُ عطيَّة النُّمَيريُّ :

وَجَدتُّ أخاكَ إنْ يُعْتِبْكَ يَوْماً فَسَوْفَ إلى خليقَتِه يَؤُوْل

كِقِـدْحِـكَ إنْ تُقَـوِّمْـه يُؤْلِـهُ إلَى ضلَعٍ بـه نَبَـت الـطُّلُولُ

وفوق كلمة يُؤْلِه : (كذا) .

وفي المطبوعة : (إن تُقَوِّمْهُ [سَوِيًّا]).

وفي الحاشية : (بمثل هذه الكلمة يستقيم الوزن) .

١٠٦ ــ ص١٣٣ : وقال : جَلِّبْ بِضَرْع ناقَتِك ، أي شُدَّهُ عليها وهو الصِّرَارُ .

وفي الهامش : (ض : جَلِّبْ ضَرْعَ ناقتك) .

ولم ترد هذه الحاشية في المطبوعة .

١٠٧ ــ ص١٣٣ : قال :

لا تَبْكِيَـا إنْ أَبْقَتِ الخيلُ ولْـدَةً صغـارًا، وصُرًّا بالحقِـيْن وأَجْلِبَا

وفي المطبوعة : (وجلِّبَا) بحذف الألف .

١٠٨ ــ ص١٣٣ : وقال :

بِغَـوْجٍ لُبَـانَـاهُ يُـتِمُّ بَـرِيْمَـهُ على نَفْثِ راقٍ خشْيَةَ العَيْنِ مُجْلِبِ

وفي المطبوعة :

بِغَوْجٍ لَبَانُهُ يُتَمُّ بَرِيْمُهُ

وفي حاشيتها : (الأصل لباناة ، وما أثبتنا من الديوان (ص ٢٤) واللسان والتكملة ـ جلب) وذكر أنه لعلقمة .

١٠٩ ــ ص١٣٣ : وقال : الجِلِبْنَاةُ : النَّاقَةُ القوية على السفر .

وفي المطبوعة : (الجَلْنَباةُ) الخ .

١١٠ ــ ص ١٣٦ : الجوازمُ : وافِيَةٌ ، قال عُيَيْنة بن أوس :

وقـالـوا سَيُعْـطَى بـالفُلُوَّةِ أَرْبَـعٌ وبِـالمُهْرَةِ الأُخـرى ثمانٍ جَـوَازِم

وفي المطبوعة : (الجوازم الوافية) وفي حاشيتها : (الأصل وافية ، وما أثبتناه أنسب) .

وفي المطبوعة أيضاً : (بالغَلُوَّة) بالغين المفتوحة .

١١١ ــ ص ١٣٧ : قال مُلَيْحُ :

بِـذِي حُبُكٍ مِثْـلِ القُنِيِّ تَزِيْنُـهُ جُدَامِيَّةٌ من نَخْـلِ خَيْبَرَ دُلَّـحِ

وفي المطبوعة : (دُلَّخِ) وفي الحاشية : (الأصل دُلّح ـ بالحاء المهملة تصحيفٌ ، وما أثبتنا من اللسان جدم) !!

وأقول : مافي الأصل هو الصواب ، ومافي « اللسان » و « تاج العروس » خطأ ، وقد أشار إلى ذالك الأستاذ عبدالستار فرَّاج ـ رحمه الله ـ في « شرح أشعار الهذليين » ١٣٣٣ ـ

والبيت من قصيدة حائيّة وردت في « شرح أشعار الهذليين » وهو البيت الـ ٢١ منها ، وقبله :

سَبَتْـكَ وما تَسْبِيْـكَ إلَّا غَـرِيْـرَة لَهَا والِدٌ تَرْضَى بِهِ حـين يُمْدَحُ

١١٢ ــ ص ١٣٨ : قال أبو صَخْر :

مُجَاجَة نَحْلٍ مِنْ قَرَاسَ سَبِيئَـةً بِشَاهِقَةٍ جَلْسٍ يَزِلُّ بِهَا الغُفْـرُ

وفي المطبوعة : (مجاجة نَخْلٍ) .

١١٣ ــ ص ١٤٠ : وقال : مازالوا يَتَحَتْحَتُوْنَ إلينا حتى اجتمع إلينا بشرٌ كثيرٌ .

وفي المطبوعة : (يَتَحَتَّجُوْنَ) وفي الحاشية : (كذا ولعلها يتنحنحون ، وتكون

من غير هذا الباب) ؟

١١٤ ــ ص ١٤١ : الحِرْجُ : العنُقُ والرأس والأكارع والإهاب والظهر كله غير القطن ، للذي يَرْمِي الصَّيْد ، أوْ يحتبِلُهُ أو يصيده كلبه .

وفي المطبوعة : (للذي يُرْمَى للصَّيْدِ) الخ وفي الحاشية : (الأصل : يرمى الصيد تحْريف صوابه ما أثبتنا ـ اللسان ـ حرج) .

١١٥ ــ ص ١٤١ : ناقة حرشاء أي حدباء .

وفي المطبوعة : (أي جرباء) مع الإشارة إلى تحريف مافي الأصل وأن التصويب من القاموس وشرحه .

١١٦ ــ ص ١٤١ : الحَدَرُ : بَثْرٌ مثلُ الحَصْبَةِ .

وفي المطبوعة : (الحرر) .

١١٧ ــ ص ١٤١ : الحَصْرَمَةُ : أنْ تُغِيْرَ الخَيْلَ إغارةً شدِيدةً .

وفي المطبوعة لم ترد كلمة (الخيل) في الجملة .

١١٨ ــ ص ١٤٢ : قد حَشِيَتِ الخَيْلُ إذَا رَبَتْ ، وفي المطبوعة : (إذا دَبَّتْ) !

١١٩ ــ ص ١٤٤ : وقال : هو من حَبَأِ المِلكِ أي خاصَّته .

وفي الهامش : (س : حفظي من أَحْبَأ الملك ، واحدهم حبأ) .

وفي المطبوعة : (هو من أَحْباءِ الملك) وفي حاشيتها : (الأصل حباء وهو واحد الأحباء) .

١٢٠ ــ ص ١٤٥ : الأَحْنَفُ أن يكون في رجليه تقابُلٌ ، كلُّ واحدةٍ مائلةٌ إلى الأُخرى ، تحاتنانِ .

وفي الهامش : (في نسخة : تحانيان) .

وفي المطبوعة : (تجانفانِ) مع الإشارة إلى مافي الأصل ، وقال : (وفي نسخة : تحاتيان ، صوابهما ما أثبتنا) .

١٢١ ــ ص ١٤٥ : قال :

لَمَّا دُفِعْنَا إِلَيْهِ وَهْوَ مُحْضِرُكُمْ وأَنْتُم تُعْرِضُونَ الخَرْجَ حُلْوَانا

وفي المطبوعة : (وهو مُحْضِرَنا) وفي الحاشية : (الأصل محضر ، ولعل صوابه ما أثبتنا) .

١٢٢ ــ ص ١٤٦ : الحِجْلُ : حَلْقَةٌ من حَدِيْدٍ مكانَ الخِلْخَال وكلمة (مكان) لم ترد في المطبوعة .

١٢٣ ــ ص ١٤٦ : المحَوَّقُ : أن تُكْشَف غُلْفَتُهُ عن حَشَفَتِهِ يقال : حَوَّقَهُ .

كلمة (يقال) ليست في المطبوعة .

١٢٤ ــ ص ١٥١ : المِحْرَافُ الميل الذي يُنقش به الشَّجَةُ وفي الهامش (س : حفظي : تقاس) وفيه أيضاً : (في نسخة : تنفش كذا في الأصل) .

أما مافي المطبوعة فهو : (تقاس) وفي حاشيتها : (في نسخة ينقش ، وما أثبتناه يتفق ومافي كتب اللغة) .

ويؤخذ على هذا ـ عدا مخالفة الأصل :

١ ــ الإيهام بأنَّ لدى المحقق نسخة قديمة غير الأصل وتكرر مثل هذا ص ١٥٦ .

٢ ــ أن ما أثبت هو ماذكر السكريُّ بأنه هو حفظه ، فلا داعي لإقحام كتب اللغة ، مع عدم الإشارة إلى أن السكريَّ ذكره في الهامش .

١٢٥ ــ ص ١٥١ : مَرَّتِ الإبِلُ تحشُّ الأَرْضَ حَشًّا .

وفي المطبوعة : لم ترد كلمة (الأرض) التي وضعها ناسخ الأصل بين السطرين فلم تتَّضح للمحقق . وستأتي الجملة صحيحة ـ ص ١٧٩ ـ .

١٢٦ ــ ص ١٥١ : قال الحطيئة :

تَنْحَاشُ من حِسِّها الأفْعى إلى الوَزَرِ .

وفي المطبوعة : (تَنْحَاسُ من حَشِّها) الخ . وفي حاشيتها : (الإشارة إلى مافي الأصل ، وأنّ الصَّواب مافي المطبوعة ـ ثم الإحالة إلى « شرح ديوان الحطيئة ، وأن ثمة (؟) رواية هي : تنحاز من حِسِّها .

ولكن رواية الأصل صحيحة وقد وردت مكررة ـ ص ١٧٩ ـ فكلمة (تنحاش) ـ بمعنى تهرب ـ صحيحة ولاتزال مستعملة في بلاد نجد بهذا المعنى ـ والحس الصوت على ماهو معروف في كتب اللغة ، ومستعمل الآن بين أهل نجد وغيرهم .

١٢٧ ــ ص ١٥٣ : وقال الحارثي : الحَشَرُ : التِّيْنُ . والحَمَاطُ : تِبْنُ الذُّرَة .

وفي المطبوعة : (الحَشَر : التَّبْنُ) .

١٢٨ ــ ص ١١٩ : وقال : الجاذِيَةُ التي لا يَمْنَعُهَا القُرُّ ولا الجَدْبُ أنْ تَدُرَّ ، إذا أدَرَّتْ لا تعتل .

وفي المطبوعة : (إذا أدرت تعتل) بدون (لا) .

١٢٩ ــ ص ١١١ : فيقال هذه أحسن من هذه ، تجابَيْنَ اليوم فَأُجِبَّتْ فلانةُ على فلانة فَجَبَّتْهَا ، أي غلبتها حُسْنَا .

وعلّق المحقق على كلمة (فَأُجِبَّتْ) بما هذا نَصُّه : (ض : يقال أهجرت) .

والواقع أنَّ كاتِبَ الأصل ألحق في هامشه بعد كلمة (أحسن من هذه) ماهذا نصه : (ض : فيقال : أهجرت فلانةُ على فلانة فجبَّتْها أي غلبتها حُسْنا) .

وكان ينبغي إيراد هذا كامِلاً لإيضاح اختلاف نسخة الحامض ، إذ ماأورده هو مما نقله وليس من قوله .

(للبحث صلة) **حمد الجاسر**

رحلة (تاميزيه)
إلى الجزيرة العربية سنة ١٨٣٤م
ـ ٢ ـ

من الطائف إلى العقيق :

تابعت البعثة الطبية الأروبيّة سيرها مع الحملة المصرية من الطائف إلى قلب بلاد عسير ، وقام (تاميزيه) في الجزء الثاني من كتابه ، بوصف مشاهداته يوماً بعد يوم ، ذاكراً ما رآه من جبال ووديان وقرى وبلاد . وهو أول أروبي أتى على وصف هذه المنطقة من الجزيرة العربية ، فكان له فضلُ السابق المكتشف ، بينما كان تابعاً وناقلاً في الجزء الأول .

اليوم الثامن من الرحيل في ٢٦ حزيران ١٨٣٤ :

كُنَّا على أُهبة السير منذ طلوع الشمس إلاّ أنَّنا لم نغادر الطائف إلا قُبَيْل غروب الشمس ، لأن الجمال ذهبتْ إلى المراعي ، ولم تعُدْ إلا في نهاية النهار . مشينا شرقاً وبعد ساعة من مغادرتنا الطائف رأينا المنازل الريفية التي يملكها كبير أشراف مكة . وبعد سير أربع ساعات وصلنا إلى وادي (لِيَّة) حيث كان مبيتنا ، وأقمنا فيه أيضاً اليوم الثاني . وأما مجرى هذا الوادي فمن الشرق الشمالي الشرقي إلى الغرب الجنوبي الغربي ويظل على هذا الاتجاه خلال مرحلة تامة . وحوله البساتين والحقول المزروعة ، وهناك عدد من الآبار يستقي منها القرويون ، ويسقون مزروعاتهم . وأمامنا ، على قمة جبل ، قلعة تحيط بها الأبراج وحولها البساتين وأشجار النخل الشاهقة ، وأشجار التين والتوت . أما الجبال فجرداء بخلاف السهل فهو مزروع ، ويشبه السهول التي حول الطائف . وهناك بئر يستقي منه جميع الناس ، غزير المياه ، على عمق ثلاثة أقدام . وعلى الرغم من الكميات الوافرة من الماء التي يستهلكها الجند والبهائم فإن مستواه لم ينخفض ولو أصبعاً واحدة .

اليوم التاسع من الرحيل في ١٨٣٤/٦/٢٨ :

غادرنا (لِيَّة) قبل طلوع الشمس ، وسرنا في مضيق من الصخور الصمَّاء خلال نصف ساعة ، ولو وُجِدَ مَنْ يُدافع عن هذا المضيق لكان من الصعب جدّاً على الجيش أن يجتازه . ثم وصلنا إلى سهل واسع تحيط به الجبال شرقاً وجنوباً . وكان مَبيتُنا في (بِسْل) حيث تقيم قبيلة (عُتَيْبة) . وهذا المكان مشهور لأنه كان مسرحاً للمعارك الحربية بين جيوش محمد علي والوهابيين ، وكان قائدهم يومئذ عثمان المضايفي .

يوم ١٨٣٤/٦/٢٩ :

مشينا مع الفجر ، وبعد مسير ست ساعات وصلنا إلى (مُضَلَّلَة) حيث تكثر الآبار ، إنّما المياه وإن كانت غزيرة وأجود من مياه (بِسْل) فإنَّنا لا نستطيع أن نقول عنها إنها عذبة ، ولكنها صالحة للزراعة ، ولذا تكثر الأشجار وخاصة شجر التين في وادي (مُضَلَّلَة) وهناك أيضاً بعض الحقول تنتج البر والشعير . أما سكان هذا الوادي فالظاهر من أمرهم أنهم على سعة من الرزق ، إلَّا أنَّ عددهم قد نقص جدًّا بعد الطاعون الذي اجتاح الحجاز سنة ١٨٣٢ .

يوم ١٨٣٤/٦/٣٠ :

غادرنا (مضللة) وسرنا ثماني ساعات إلى أن وصلنا إلى (بئر الباشا) أو بئر الشريف أو بئر الرجا ، في مكان اسمه الجاءة (؟) Djaa يسكنه اليوم بنو الحارث وكان قديماً موطن (بني هلال) يحوي على ثلاثين بئراً طمرتها الرمال .

وتابعنا تقدُّمَنا يوم أول تموز ، وكان أمامنا جبل صعب المرتقى لاسيما على الجُنود المشاة ، الذين يحملون على ظهورهم البندقية والذخيرة ، وأكثرهم في سن الحداثة ، أرغمهم محمد علي باشا على التّجنُّد مع أنهم مازالوا يحتاجون إلى عناية أمهاتهم ، ويقول (تاميزيه) : لا يسعني إلا أن أندِّدَ بمثل هذه الأعمال البربرية ليعلم الرأي العام الأروبي بما ينتج عنها من آلام ومآسي ، لأنه لا يعرف عن الحضارة المصرية إلا الجيد الرائع ، وسأعمل على نشر الحقيقة كلما سنحتِ لي

الفرص (ص ٢٥) وكان مَبيتُنا عند (بئر الغزالة) وهو عذب المياه ولكنها قليلة ، وتكثر في هذا المكان الغزلان والأرانب .

وفي الثاني من شهر تموز وصلنا إلى (وادِي ضرَاء) وهو كثير المياه ، ولكنها غير جيدة ، وخالٍ من الآبار ، وعلى من يريد أن يستقي أن يحفر حفرة في الوادي ليحصل الماء . وفيه الأشجار الخضراء الكثيفة التي تحاكي بخضرتها أشجار وادي النيل . أما بدو هذا المكان فإنهم أبعد ما يكون حضارة عن أهل مكة والطائف ، ولم نَجدْ لديهم شيئاً من الأقمشة المستوردة من الهند ومصر . وهم يلبسون ، رجالاً ونساء ، أثواباً بيضاء أو ضاربة إلى السواد ، ومنهم من لا يكاد يستر عورته ، أما الأولاد فإنهم عراة تماماً . وتضع المرأة في خشمها خاتماً ، وفي عنقها عِقْداً من الودع . وسكان هذا الوادي من قبيلة (عتيبة) ، ولكن ليس لديهم سعة من الرزق مثل إخوانهم من أهل (السَّيْل) و (بسْلٍ) . والواقع أن بدو هذه القبيلة الكبيرة ينقسمون إلى ثلاثة أقسام ، وفقاً لأسلوب معيشتهم ، فمنهم الفلاحون والمزارعون حيث تكثر المياه ، ومنهم من يعيش من رعاية المواشي ، ومنهم البدو الرحل الذين يقتنون فقط الجمال والنياق .

اليوم الرابع عشر من الرحيل في ٣ تموز ١٨٣٤ :

الطريق جَيِّدٌ ولكنه مضني ينهك القوى لطوله ، وبعد مسير عشر ساعات وصلنا إلى قمة جبل كشفنا منها على أشجارٍ كثيفةٍ تشبه أشجار الصنوبر . وفي أسفل الوادي مياه جارية صافية وعذبة يسميها العرب سَيْل (تُرَبة) أو سيل (تْرُبَة) . وهذا السيل يجري من المغرب إلى المشرق ، وفيه أسماك صغيرة ويزعم البدو أنها تصبح كبيرة جداً في موسم الأمطار . وأقمنا في هذه البقعة الجميلة يوماً كاملاً للاستراحة .

ثم تابعنا تقدمنا وكان مبيتنا عند وادي (فرزة) (؟) الذي يصب في سيل تُرَبة . وعند شروق الشمس وصل سُفَراءُ أهل (بيشة) للتفاوض مع أحمد باشا ، وخطب وده ، لأنهم تحت حكم أمير (عسير) ويخشون شرَّه ، لا سيما وأنه يُخَيِّمُ في وادي (شهران) على مسافة يومين من بيشة .

ثم واصل الجيش سيره يوم السابع من تموز متّجهاً نحو الجنوب الشرقي ومشينا في قعر وادٍ ثم تسلّقنا بعض المرتفعات ، ووصلنا إلى سهلٍ جميل واسع ، فيه عدد من الأشجار الصغيرة ، وبعض أحواض المياه . وكان مبيتنا في هذا المنزل الذي يسميه العرب (قرام) (؟) . وكان قفراً تماماً إذْ أخلاه سكانه عندما عَلموا باقتراب الجيش . وكنا على قاب قوسين من (العقيق) وبحاجة إلى استراحة بعد أن مشينا خلال سبعين ساعة منذ مغادرتنا الطائف ، لاسيما وأن المؤنة كانت تنقص يوماً بعد يوم ، ولا يوزع منها على الجنود والبهائم إلا ما يكاد يسدُّ الرمق . ويظهر أنّ الشريف (ابن عون) كان يعمل خفْيةً على عرقلة الأمور ، ليحول دون استيلاء محمد علي باشا على الحجاز ، فكان يَعِدُ قائد الحملة بتقديم الجمال لحمل الأثقال ولا يفي بوعده ، فاستهلك الجيش القسم الأكبر من المؤنة وهو قابع في مكانه وسوف تنقصه المواد الغذائية في الأوقات الحرجة وقت مجابهة العدو .

من العقيق إلى الثَّنِيَّة في وادي (تبالة) :

أقام الجيش في (العقيق) من التاسع من شهر تموز إلى السابع عشر من الشهر نفسه ليجدد قواه ، وليتمكن القائد العام من معرفة دخيلة أمراء (بيشة) لأنهم كانوا يأتون معلنين خضوعهم لمحمد علي ، ويبقون على ولائهم لأمير عسير . وكان معدل الحرارة ـ خلال هذه الإقامة في العقيق ـ نَحْو عشرين درجة مئوية صباحاً ، وثلاثين ظهراً ، وأربع وعشرين مساء .

أما المكان الذي يسمى (العقيق) ، فهو سهل مزروع ، فيه بعض أحراش النخيل ، تحيط به الجبال الجرداء من الشمال والشمال الغربي ، وهناك سلسلة أخرى من المرتفعات تتّجِه من الشمال الشرقي إلى الجنوب الغربي ، وعلى إحدى قممها قرية (العقيق) وهي حقيرة وخاملة ، تعدّ نحو ثلاثين بيتاً بعضها لا سقف عليه ، وفي سفح الجبل مياه جارية صافية عذبة الطعم ، آتية من الغرب وذاهبة نحو الشرق ، تمرّ بين المرتفعات . وفي أعلى الوادي منطقة خصبة فيها عدد من القرى وعدد كبير من أشجار النخيل .

وأثناء إقامتنا في (العقيق) أتى بعض شيوخ (بيشة) ليسلموا على الباشا وأهدوه خيلاً هزيلة جداً لا يرضى رجل أروبي أن يشتريها حتى بأبخس الأثمان ، فسأل (تاميزيه) أحد الشيوخ : كيف يَسَعُهُ أن يهدي مركوباً بهذه الحالة السيئة ؟ فقال له : سوف تراها متى أكلت البرسيم وشبعت ، لأن من عادة البدو أن يعتنوا بالأفراس وأن يهملوا الحصن وهم يسمونها الخيول الأصايل ، ولا يرضون أنْ يبيعوا الأنثى منها إلا عند الضرورة ، وإذا باعوها وهي حاملة فصغيرها يكون من حق المالك الأول . ومن عاداتهم أيضاً إذا دعاهم الحاكم إلى الخدمة العسكرية ، أن يجتمع الكبراء منهم وأن يتداولوا فيما بينهم لتحديد عدد الجنود المفروض على كل قرية أو قبيلة . والفرد الذي يقع عليه الاختيار يُسَلّح ويعيش على نفقة الذين يبقون في بيوتهم . وإذا قُتِلَ في الحرب فعلى القبيلة أن تقوم على زوجته وأولاده ، وإذا عاد منتصراً فعليه أن يقاسم ما غنمه أهْلَ قريته أو قبيلته (ص ٧٤) .

وينتهز (تاميزيه) الفرصة ليحدثنا عن صديقه دَوْسَرِي فيعلمنا أنه ابن القائد الوهابي الشهير بـ (أبي نقطة) وان باشا مصر ـ عندما فتح بلاد عسير ـ أخذ أولاد بعض الشيوخ كرهائن ليرغم الآباء على الولاء ، ومع ذالك فإنهم قلبوا له ظهر المِجنّ . إلا أن والي مصر لم يقتل الأولاد بل عاملهم بكل رفقٍ ومحبة ، وعلماً منه بكراهة العرب للأتراك فإنه رأى أن من حسن السياسة أن يُرَئّسَ عليهم واحداً منهم فاختار دوسري ليكون أمير عسير ، وهو رجل طويل القامة كبير البطن ، يبلغ عمره نحو خمس وثلاثين سنة ، كان يتمنى أن يقضي حياته في رفاهة عيش القاهرة ولكنه خضع لسياسة الباشا ، وأصبح يرغب في العودة إلى مسقط رأسه (ص ٨٢ ـ ٨٤) .

ويحدثنا (تاميزيه) أيضاً عن الشريف محمد بن عون ، ويعلمنا أنه ولد سنة ١٧٨٩ وهو رجل بهي الطلعة ، يبلغ طوله نحو خمسة أقدام ونصف قدم ، قوي العضلات ، أسود العين واللحية ، يمشي الخُيلاءَ ، ويرى الناظر في عينيه الكبرياء والوداعة ، والمكر والسذاجة ، وأسنانه بيضاء تَشِفُّ عنها ابتسامة حلوة ، وعلى رأسه كوفية جميلة تعلوها عمامة بيضاء وكأنها القلعة على هامته لكبرها (ص ٨٤ ـ ٨٥) .

بعد استراحة طالت ثمانية أيام غادرنا (العقيق) وسرنا في أراض خصبة بين المرتفعات الشاهقة ، والأودية العميقة ، ووصلنا مع غياب الشمس إلى منزل يقال له طورق (؟) Tourak ، فيه ماء صاف يجري من الشرق الجنوبي الشرقي إلى الغرب الجنوبي الغربي ، تعيش فيه الأسماك ، وهي أكبر من التي رأيناها سابقاً . وأثناء نزولنا في (طورق) حضر بدوي حاملاً رسالة إلى الباشا علم منْها أن أكثر الوفود التي قدّمت له الطاعة أتته متجسِّسة تريد الاطلاع على أحوال الحملة ، ويرى (تاميزيه) أن الشريف ابن عون يبذل جهده ليقسم قوات الجيش المصري ويعرقل تقدّمه (ص ٩٥) . أما البدو ، فعلى الرغم من مظاهر الود ، فإنّهم يعملون ما في وسعهم لإضعاف الحملة ، وإنهاك قواها بالتراجع المستمر حتى تستهلك مالديها من المؤنة (ص ١٠٢) .

نزل الجيش في وادي (رَنْيَةَ) وهو سيل يجري من الغرب إلى الشرق ، تعلو الرمال على شاطئه الشمالي ، أما الشاطىء الجنوبي فتغمره المياه الصافية وتغطيه الأشجار الخضراء . ثم مشى الجند في وادٍ لا ماء فيه ووصلوا إلى سهل فسيح ، حيث استراحوا عدة ساعات ، إلَّا أن الجمال المحملة ماءً تأخرت عن الوصول فَتلظَّى الجيش عطشاً ، ثم تابع تقدمه عند منتصف الليل وقطع بصعوبة شديدة الممرات الجبلية الضيقة ، ثم اتسع الطريق ، وانبسطت الأرض ، فسهل علينا السير . ورأى (تاميزيه) آثار حائطين متحاذيين فسأل عنهما أحَدَ العارفين فقيل له إنهما من بقايا الحائطين اللذين كان بناهما المسلمون ، من بغداد إلى مكة ، ليتمكن الناس من السفر دون أن يحتاجوا إلى دليل (ص ١٠٦) . وما هي إلا هنيهة حتى رأى وادياً تكثر فيه أشجار النخل ، وعند مدخل الوادي بُرْجٌ يحرس قرية مبنية في سفح جبل قليل الارتفاع . وهكذا وصلت الحملة إلى وادي (الثّنيَّة) وكان يحكمه يومئذ شيخ اسمه سعيد ، كان على خلاف مع أهل عسير ، لأن واديه يدرّ عليه الخيرات ويعيش سكانه في بحبوحة تحسدهم عليها القبائل المجاورة، وهم يبيعون محصولاتهم ، التمر منها خاصة ، على قوافل الحجاج الآتية من بغداد (؟) ويصدرون البلح إلى جدة وإلى القنفذة أحياناً . ويبلغ عدد سكان هذا الوادي نحو ألفين وخمس مئة نسمة ، يقيم العدد الأكبر منهم في قرية (الثنية) التي يحميها

سور من الطين وأربعة أبراج لا أبواب لها . ويلاحظ صاحب الرحلة أنَّ نِسَاء هذه القرية جميلات ، ناصعات البياض مثل الأروبيات ، وأن الرجل يفرض سلطته عليهن بشدة ، ولكنه يعلمنا أيضاً أن المرأة ، إذا تقاعس زوجها عن الحرب والدِّفاع تأخذُ الرمح بيدها ، وتغادر بيتها وهي تملأ الجو صراخاً ، وتذهب عند أبيها طالبة منه أن يزفها إلى بعل آخر ، يكون رجلاً بتمام معنى الكلمة (ص ١١٢) .

من الثنية إلى بيشة :

غادر الجيش قرية (الثنية) في الواحد والعشرين من تموز عام ١٨٣٤ وبعد أن مشى نَحْو ساعتين بين الأشجار وصل إلى أرض جرداء ، ثم إلى وادٍ لا ماء فيه واجتاز بعض المرتفعات وقطع بشـق الأَنْفُسِ سهلاً قاحلاً مما أَدَّى إلى موت عدد من الجنود عطشاً وكشف أخيراً عن وادي (بيشة) الخصب . وكانت درجة الحرارة المئوية عشرين صبحاً ، وأربعاً وعشرين ظهراً وعشرين عند المغيب .

وبينما كان الجيش يسير سَيْراً حثيثاً من وادي (الثَّنية) إلى وادي (بيشة) قام قائده أحمد باشا بغزوة على بعض مشايخ عَسير ، فتقدم بفرقة من الجنود من (رنْيَة) إلى (الثنية) ومنها إلى قرية (مَرْوة) ما كانت رضخت إلى حكم والي مصر ، وكان يصحبه عدد من البدو ، وقسم من الخيالة الأتراك ، وثُلّة من المغاربة . ولما وصل إلى (مروة) وجدها خالية من سكانها . وعند المساء حضر كبراؤها وخضعوا لأوامر الباشا فأعطاهم الأمان ثم عاد إلى (بيشة) حيث التقى بسائر رجال الحملة .

أقام الجند في (بيشة) من الثالث والعشرين من تموز إلى السابع من آب ليستريح من عناء الدأب المتواصل ، وكان ينتظر فرق الجيش التي بقيت في الطائف ، أما القيادة العامة فإن غايتها من هذا الوقوف أن تتيح الفرصة لأمراء عسير ليحضروا للتفاوض معها . ولا ينسى (تاميزيه) أنه أول أروبي وصل إلى وادي (بيشة) فيصفه للقارئ وصفاً جيداً فيقول : إنه يشبه وادي النيل بكثرة نخيله ، إلا أن مياهه تتجمع من الأمطار التي تسقط على الحجاز وعسير ، وهي تجري من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي ، ويزعم الْعَرَبُ أن هذا الوادي

يصل إلى أبواب بغداد ، والحقيقة أن طوله لا يزيد على أربعة عشر أو خمسة عشر فرسخاً ، وتحده شرقاً المرتفعات ، أمَّا الجبال التي على شماله فغير عالية ومتساوية الارتفاع بخلاف الجبال التي على جنوبه فهي شاهقة وقممها كالمنشار ، وليس بينها إلا صغرة واحدة ، يجري فيها واد خصب ينتهي عند قرية (مروة) وفي وادي (بيشة) نحو ستين قرية أكبرها (نمران) و (الروشن الكبير) و(الروشن الصغير) . وهذه القرى مبنية بالطين ، ويستعمل أهلها للبناء جذوع النخل ، ويدخل الناس إليها من بابين أو ثلاثة أبواب تقفل في أيام الحرب ، وحيطان بيوتها متلاحمة فهي مثل السور في وجه العدو ، وليس لها سوى طابق واحد . ويعلمنا (تاميزيه) أن لقرية (نمران) جامعاً عليه إمام يعلم الأحداث ، وأن (للروشن) سوقاً يقام كل خميس تباع فيه الفواكه والخيل والأنعام من جمال ونياق وبقر . ويحكم هذه المنطقة ثلاثة شيوخ : ابن شوبان وعلي شهاري[1] ومحمد بن عون الماضي (؟) El-Madi ، ويبلغ عدد سكانها نحْو خمسة وأربعين ألف نسمة ، منهم نحو عشرة آلاف من العبيد السود ، وأكثرهم يعيشون على الزراعة حتى أنّ البدوي لا يرضى أن يتزوج منهم ، وينظر إليهم نظره إلى الفلاح ، أمَّا هُمْ فإنهم لا يرفضون التركي بعلاً لبناتهم .

وأثناء إقامة الجيش في (بيشة) وصلت رسالة إلى الباشا من أمير عسير يعلمه بها أنه سيقاتل حتى الموت ، إنّما يعرض عليه مبلغاً من المال لقاء تراجعه . وأتتِ الأخبار تفيد أن رجال عسير أخذوا أهبتهم للقاء الحملة في مكان حصين لا ماء فيه ، ولا يُسْتقى إلا من بئر واحد ، وهيهات أن يتمكن الجيش من الوصول إليهم إذْ عليه أنْ يَمُرَّ في مضيق بين جبلين شاهقين ، دون اجتيازه خَرْطُ القتاد . وكان القائد العام على علم بهذه المصاعب لأنّه كان أخطر في حملة سابقة أن يتوقف عن متابعة العدو ، على الرغم من الجيوش العديدة التي كانت طوع يديه، فعمل على هدم معنويات رسل عسير ، وذالك بإجراء مناورة حربية أمامهم ، فأمر المدفعية بضرب القنابل واستعرض الجيش ، فوقع الرعب في قلوب وفود عسير ، ولكنهم ظلوا على موقفهم الأول لا يرغبون عن الحرية بديلاً . والواقع أنَّ الحملة المصرية كانت في مركز حرج ، لأنها توغلت في قلب الجزيرة العربية ولم يَبْقَ لديها

من المؤنة إلا ما يسد حاجاتها خلال ثلاثة عشر يوماً فقط ، وعلاوة على ذالك إنه ينقصها الجمال لحمل الأثقال . ولا شك في أن أهل (بيشة) وعدوا الباشا أن يمدوه بالزاد والجمال ، ولكن هل يَفُونَ بوعدهم ؟

وكذلك جاء وفدٌ من قبيلة (رجال ألمع) اليمن و(ألمع الحجاز) وهي تعدّ نحو سبعة آلاف مقاتل ـ وأبدى رغبته في مساعدة الحملة على حرب أمير عسير .

ويخبرنا صاحب الرحلة أن من عادة حكام (بيشة) أن يعلنوا عن الأمور الهامة في الأسواق . وفي يوم الخميس الواقع في ٣٠ تموز قام أحد الشيوخ وأعلم الناس أن السيد علي شهاري ، وهو ثالث ثلاثة من شيوخ (بيشة) قد عُزِلَ عن الحكم (ص ١٤٠) . وينتهز (تاميزيه) الفرصة ليحدثنا عن هذا الشيخ ، فنعرف منه أنه رجل معتدل القامة ، أسود العينين ، أغبر اللحية ، كان صغير السن لما غزا محمد علي باشا الحجاز وبلاد عسير وأخضعهما لحكمه . ولما ثار أهل عسير على الحكم التركي ونقضوا عهدهم ، جاءتهم القوات العثمانية وكان قائدها حسن باشا ، فصمد لها علي شهاري ، ولكنها تمكنت من بسط نفوذها على عسير من جديد . وهكذا كان شأن هذه المنطقة بين ثورة وخضوع وانتفاضة واستسلام ، ثم أتى أحمد باشا لإعادتها إلى الحظيرة ، وكانت قوات عسير تحت قيادة علي وسعيد ، فكمنت في مضيق وأرغمت الجيش العثماني على التراجع ، وغنمت أسلحته وذخائره ، وغادر البلاد وليس لديه ما يسدُّ به رمقه . وأمام هذا الفشل الفادح ، أرسل محمد علي باشا جيشاً آخر بقيادة سليم بك الملقب بـ (أبو خازوق) لأنه كان يأمر أن ينفذ حكم الإعدام بهذه الطريقة الوحشية ؛ وكاد علي شهاري نفسه أنْ يقاسي عذاب الموت بالخازوق ، ولكن أنقذه الله منه إذ جاء الأمر من أحمد باشا بإطلاق سراحه . وعلى أثر ذالك اشتدت أواصر الصداقة بينهما . ومع ذالك فإن منقذه بالأمس أمر اليوم بعزله عن الحكم ، لأنه لم يتمكن من تسليم الجمال التي طلبها منه .

وفي أول يوم من شهر آب ١٨٣٤ حضر رسولان من قبيلة (دَوْسري أبو نقطة) وأخبرا ابن أميرها السابق أن الناس لا زالوا على ولائهم لأبيه وأنهم يَرْضون به

حاكماً على أن لا يكون صنيعة العثمانيين ، وعَلِمَ أيضاً أنّ قبائل عسير مترددة في موقفها لأنها لا تريد أنْ تخضع للحكم التركي ، ولا ترضى بسلطة أمير عسير عليها . فاطلع (دوسري) قائد الحملة على جَلِيَّة الأمر ، وكان متردداً تارة يصدر الأمر بمتابعة الزحف وطوراً يلغيه ، إذ تنقصه الجمال لحمل الأثقال ، ولم يبق لدى الجيش من المؤنة إلا ما يكفيه حتى اليوم الثاني والعشرين من الشهر نفسه ، وإذا لم يتمكن من إخضاع عسير قبل هذا التاريخ فإن الحملة ستقاسي آلام الجوع .

وعلمنا أن قبيلة (يام) من قبائل (حاشد وبكيل) تتقدم نَـحْو عسير ، تريد أن تضم قواتها إلى القوات التركية ، والسبب في ولائها للعثمانيين أنَّ السلطان سليم حين جاء لفتح الجزيرة العربية ، كان قريباً منْ (يام) حين فشت الأمراض القاتلة بعسكره ، فأراد البدو أن يغتنموا الفرصة للفتك بهم ، ولكن قبيلة (يام) رفضت أن تغدر بالسلطان ، وساعدته على العودة إلى مكة للاستراحة . ومكافأة على هذه الصَّنِيعَة أعطاها السلطان فرماناً شاهانياً يسمح لها بجباية بعض الأموال كل عام من القبائل الخاضعة للحكم التركي . ولما بسط الأمير علي سلطانه على عسير أرغم (ياماً) على الخضوع لأوامره ، فأَذْعَنَتْ على دَخَلٍ ، ولذا فهي تريد اليوم أنْ تعمل يداً بيد مع الحملة التركية المصرية لتعود إلى ما كانت عليه سابقاً .

وعلمنا أيضاً أن شيخ (بني شهر) المدعو (كرامة) أرسل إلى قائد الجيش يخبره أنه يرغب في التعاون معه ضد أمير عسير وأن بوسعه أن يُـمِدَّه بعشرة آلاف مقاتل .

من بيشة إلى (وادي حمامة)[٢] :

طالتْ إقامة الجيش في (بيشة) إلى السادس من شهر آب . ولم نتمكن خلال هذه الاستراحة الطويلة من الحصول على الجمال ، على كثرتها في هذه المنطقة (ص ٢٠٤) ، وكان معدل الحرارة وقت شروق الشمس عشرين درجة مئوية ، وظهراً إحدى وثلاثين درجة ، وعصراً اثنتين وثلاثين درجة ومساء عند المغيب تسعاً وعشرين درجة وعند منتصف الليل أربعاً وعشرين درجة (ص ١٩٣) .

وينتهز صاحب الرحلة الفرصة ليردد ما قاله مراراً عن سُوْء القيادة العامة حتى أنها أَبْقَتْ في بيشة جميع الصواريخ من نوع (كونغرف Congreve) مع مسيس الحاجة إليها ، وعلاوة على ذالك إن في الجيش عدداً كبيراً من الخدام يأكلون مؤنة الجند دون فائدة تذكر . ولما غدا من اليقين أن الحملة ستموت جوعاً إذَا بقيت في مواقعها أمر القائد بالرحيل ، فمشينا في طريق بامتداد (وادي بيشة) ، ثم وصلنا إلى مضيق بين جبال عالية تكاد أن تكون جرداء ، ثم اتسع الطريق ورأينا أمامنا واحة غنية اسمها بلة (؟) (Billa) ثم وقعت أنظارنا على سهل رملي تجري فيه سيول (وادي بيشة) ووصلنا بعد ذالك إلى قرية اسمها (الحيفة[٣] Hefa) لم يبق منها إلا الخرائب وقد أخلاها أهلها وبنوا لهم مساكن أخرى تحت ظلال النخل ، وهو كثيف مثمر يمتد نحْو الجنوب ، وبين غابة النخل هذه ووادي بيشة جبل قليل الارتفاع ، وراءه سهل قاحل . أما المكان الذي نحن فيه فهو كناية عن سلسلة من الجبال تنشقُّ لِتمرَّ بينها مياه الأمطار التي تغذِّي وادي بيشة (٢٠٥) . وأكثر بيوت قرية (الحيفة) من طابقين الأول للحيوانات والثاني للسكن ، وهي مبنية بالحجر في أسفلها ثم بالطين . ولهذه القرية مسجد ، وهي منيعة يدور حولها سور له أربعة أبواب صغيرة (٢٠٨) .

وأثناء إقامتنا في هذا الموقع جاء رسول من جُدَّة ، يعلم الباشا بوصول ثماني سفن تحمل قسماً من الجيش الذي يُعِدُّهُ محمد علي باشا ليضع يده على اليمن ، وأتت الأخبار من (القُنْفُذَةِ) تفيد أن الشريف علي صاحب (أبو عريش) يتقدم بقواته تقدماً حثيثاً نحو عسير ، ومراده أن يجتاز العقبة الكأداء التي تفصل بينه وبين بلاد عدوه .

تابعت الحملة تقدمها ، ولكن الدليل البدوي أعلن أنه فقد الطريق بسبب ظلمة الليل والغيوم ، وأصبح الجيش مهدداً بالموت عطشاً في قلب الجزيرة العربية ، فارتاعت القيادة العامة ، وحضر الباشا نفسه ، وأعلم الدليل أنه سيقتل رَمْياً بالرصاص إذَا ظل جاهلاً المسالك . ويظن (تاميزيه) أن البدوي يحاول أن ينقذ بلاده من غائلة الحرب ، وبعد ساعة من الزمن زعم أنه اهْتَدى إلى

الطريق . وبعد أن اجتاز الجيش مضيقاً توقف للاستراحة عند منتصف الليل . وكان الجند بحالة بائسة من التّعب والعطش والجوع ، حتى أنَّ الحملة فقدتْ نحو ست مئة رجل ، عجزوا عن متابعة السير فسقطوا كالموتى على حافة الطريق (ص ٢١٧ ـ ٢٢٠) ، وبعد استراحة قصيرة مشينا حتى وصلنا إلى (مَلَاح[٤]؟ Melah) (ص ٢٢٣) ، مكان تحيط به الجبال الصماء جنوباً وشمالاً ، ويلاحظ (تاميزيه) أن هذه الجبال الصّوَّانيّة تحوي أيضاً على بعض المعادن منها الرصاص والقصدير ، وفيها أيضاً حجر الرخام الجيد (ص ٢٢٨) .

ومن (مَلَاح) سار الجيش قاصداً (الخضرا) حيث أمر الباشا بإحراق شجر النخيل ، لأن القرية أمَدَّتْ أمير عسير بالرجال . وهناك طريقان للذهاب إلى (وادي شهران) الواحد أطول من الآخر إنما تكثر الآبار في الثاني ، أما الأول فمياهه قليلة (ص ٢٣٣) .

وفي اليوم الرابع عشر من شهر آب ١٨٣٤ غادر الجيش (وادي الخضرا) ووصل بعد برهة إلى واد آخر تكثر فيه المياه وأشجار النخل ، ويلفتُ نظر المسافر مقبرة غريبة الشكل لأن الأجداث فيها مرتفعة كأنها بيوت القرويين . ويقول (تاميزيه) إنه لم يرَ مثلها خلال رحلته هذه . ويلاحظ أن هذا المكان خال من السكان ، وكان أقفَرَ من أهله على أثر انقطاع الأمطار خلال أربع سنوات متوالية ، وعلم صاحب الرحلة أن اسم هذا المنزل (وادي هِرْجاب Oadi Erjab) (ص ٢٣٦) .

وأثناء مسيرنا حضر الأمير (عوده) شيخ (وادي حمامة) وقدَّم خُضُوعَهُ للباشا فرضي عنه ، ثم أخبرنا أننا سنصل في نهاية النهار إلى واد خصب جدًّا ، وهكذا كان لأن الحملة بعد أنْ مَرَّتْ بـ (خلايل Khalail) وصلت إلى (وادي حمامة) وهو يصب في وادي بيشة . أما قرية (حمامة) فمبنية على شاطئ الوادي وبيوتها منعزلة بعضها عن بعض ، وهي كالأبراج بمناعتها ، مما يدل على أنَّ الحروب متواصلة في هذه المنطقة (ص ٢٤٧) ، وهي كثيرة الخيرات تنتج البلح والذرة والقطن والعنّب والتين (ص ٢٤٨) . وأثناء مسيرنا من (بيشة) إلى (حمامة) كُنا نرى كل يوم عدداً

من القردة . وكانت درجة الحرارة عند شروق الشمس ١٤ ، وظهراً ٣٠ ، وعند المغيب ٢٦ .

كان قرار القيادة في باديْ الأمر أن يقيم الجيش في (وادي حمامة) ليستريح من عناء الطريق ، وليعمل على تأمين المؤنة ، ولكنها بدّلَتْ رأيها لما علمت أن أهل عسير تحصنوا بعيداً عن (وادي شهران) ، فغادرت الحملة أماكنها في (معملة الكبيرة (؟) Mahamla-el-Kebir) وانتقلت إلى (معملة الصغيرة Mahamla-el-Soughayr) حيث تعيش أسراب من طير الحمام ، ولذا أطلقوا على هذا الوادي اسم (وادي حمامة) (ص ٢٥٥) .

من (وادي حمامة) إلى (وادي شهران) :

وفي اليوم الثامن عشر من شهر آب وصلنا إلى (وادي شهران) الذي يشيد العرب بخصبه وجماله ، وأثناء مسيرنا تَبَيَّنَتْ لنا الأسباب التي تحمل البدوي على الاعتقاد بأنه أعلى منزلة وأرفع شأناً من القروي ، فما إن يعلم باقتراب الجيش حتى يغادر منازله مع جميع أهْل بيته وأمواله ، أما الحضر فعليهم أن يخضعوا ويدفعوا الضرائب ويتحملوا أضرار الجيش ، إذ وقع الجند على (وادي شهران) وقوع الجراد على الحقل الأخضر ، فَعَرّوْهُ من أثماره .

ثم وصلت الحملة إلى وادي (الجنفوْر[٥] Ian four) وقد هجره أهله بسبب رطوبته وجَوّه البارد ، وكانت درجة الحرارة ١٥ عند طلوع الشمس ، و ٢٦ ظهراً و ٢٤ وقت المغيب . ويلاحظ (تاميزيه) أن على قمة الجبل بقايا سور كبير وأجْداثاً مبعثرة ، مما يدلّ على وقوع معركة كبيرة في هذا المكان . وأثناء إقامتنا في (الجنفور) وصلتْ رسالة من محمد بن عبدالله شيخ قبيلة (ربيعة ورفيدة) إلى (دوسري أبو نقطة) يعلمه بها أنَّ جميع أفراد قبيلته شبابها وشيوخها قد سروا من تَعيينه حاكماً عليهم ، وأنهم بانتظاره لينضموا إلى رجال الحملة ، وأخبره حامل الرسالة أنَّ أمير عسير قد أخذ أهبته لِيُلاَقي الجند المصري في (خميس مُشيْط) .

وأتى أيضاً رسول من عند (الشريف بركات) أحد حكام اليمن يعلم الباشا أنه

سينجده بالرجال والجمال والمؤنة ، فتوقف الجيش عن متابعة السير بانتظار هذه النجدة ، وعند المساء وصل الشريف ومعه ثلاث مئة مقاتل وأربعون جملاً ، ومؤنة تكفي نصف يوم فقط ، فأضاعت الحملة وقتاً ثميناً بسبب هذا الوعد الخلاب ، وأصبحت مهددة بالجوع ، إذْ لم يبق لديها من الطعام إلاَّ ما يكفيها يوماً واحداً (ص ٢٧٠) .

أصبحت الحملة على قاب قوسين من جبال عسير ، وبعد أن مشينا حصة من الزمن رأينا من أعلى إحدى القُلَل (خميس مُشَيْط) حيث كان العدو بانتظارنا . ويقول (تاميزيه) إنه منذ مغادرته الطائف لم يَرَ بقعة من الأرض أكثر بيوتاً من (خميس مشيط) وكأني به بركة كبيرة خضراء فيها النخيل ، وشتى أنواع الشجر التي تحْمل أطيب الأثمار ، وقد زُرِع فيها القمح والشعير والذرة ، وحولها الجبال الشامخة ، وعلى سفوح هذه الجبال عدد كبير من القرى ، بُني معظمها على سفح السلسلة الجنوبية حيث شيّد الأهلونُ أيضاً ستة بروج الواحد منها كبير الحجم هو أشبه شيء بالقلعة . وما إن وصلنا حتى ضُرِبَتْ الخيام ، وأكل الجند ، ونفذ مالدينا من المؤنة ، وأصبحنا بين أمرين : إمَّا النَّصر وإما الموت جوعاً .

المعركة بين الجيشين :

ابتدأت المعركة بضرب المدافع من بَعيد ، فكانت تُحْدِثُ دويّاً كبيراً دون أَقَلِّ ضرر . ثم أخذتْ تنسف حيطان القلعة ، ولكن القنابل ما كانت تؤثر بها إذْ كانت تخرق الحائط ولا تهدُّه لأنه من الطين . ومع ذالك فإنها ألقت الذعْرَ بقلوب البدو ، وهاجم الشريف بركات إحدى القرى الغربية واحتلها وأخلَى العدوُّ عدداً من المساكن ولكن القلعة ظلت صامدة تصدُّ هجُوم القوات المصرية . أما الأمير (عايض) ورجاله فإنهم ثبتوا في أماكنهم ، ثم ظهروا فجأة من وراء الجبل ناشرين الأعلام ، فهجمت عليهم الخيل ، وأرغمتهم على الهرب ، وحال الليل دون متابعة القتال وانتهت المعركة بانتصار الجيش النظامي .

ويحدثنا (تاميزيه) عن عادة الأتراك بقطع رؤوس أعدائهم ، وآذانهم ، وحملها إلى قائد الجيش لينالوا مكافأة على أعمالهم ، بل إنهم ذبَحُوا دونَ شفقةٍ عدداً من

الأسرى المصابين بجروح بالغة .

وهكذا احتلَّ الجندُ (خميش مشيط) وشَتَّتُوا شمل أهله ، وهرب أمير عسير وتفرق عنه حلفاؤُهُ من قبيلة (رجال ألمع) ولكنه أخبر من بقي حوله من أصحابه أنه سيذهب إلى قرية (مناظر) وهناك سكناه وقت السلم ، وأمر أمينه (ابن دهبان ؟) أن يأخذ من قصره ما خف وزنه وغلا ثمنه ، لينقله إلى (السقا) ، ثم يوقد النار فيه . وهذا القصر كان شيده علي أمير عسير وجَمَّلَهُ بما حصل عليه في غزواته العديدة ، فذهب كل ذالك طعمة للنيران (ص ٣٠٩) .

وبعد هذا النصر أتَتْ وفود شيوخ عسير تعلن ولاءها لمحمد علي ، وحضر أيضاً شيخ قبيلة (رجال المع الحجاز[٦]) فصفح عنه الباشا ، ومن المنتظر أيضاً أن يصل عما قريب شيخ (رجال المع اليمن) متى علم أنَّ صِنْوَهُ نال عفو قائد الحملة . وعلى الرغم من خضوع أكثر أهل عسير فإن أميره ظل ثائراً على الحكم المصري ، واعتصم مع أصحابه بجبل السقا ، وأعلن أنه إذا خسر المعركة من جديد فإنه سيلتجيء إلى قلعة (ريدة) (ص ٣١٦) .

أما (دوسري أبو نقطة) فقد علا شأنه بعد هذا النصر ، وأصبح شيخ قبائل (ربيعة ورفيدة) وأخذ أهبته للذهاب إلى (طبب) حيث تقيم أسرته .

ويذكر لنا (تاميزيه) حادثاً لطيفاً يعرب عن اهتمام العرب بالخيول الأصيلة وذالك أن الشريف (ابن عون) علم أن ابن أخته الشريف عبدالله كاد يفقد حياته في المعركة إذْ وقع من على ظهر فرسه ، ولو لم يُنْجِده عبيده لذبحه رجال عسير . فسأل ابن عون عن الفرس ما حلّ بها فعلم أنَّ بَدَوِيّاً من عسير هرب بها وهي لا تلحق . فثار غضب الشريف لأنها أجمل أفراس (وادي فاطمة) ولعن الذي سلبها ، وأمر أمينه أن يكتب حالاً إلى الأمير (عايض) يطلب منه أنْ يَرُدَّها وإلا فإنه سيذهب لاسترجاعها ولو كانت في قعر الجحيم . وبعد أن أرسل بالكتاب سُرِّيَ عنه ، وسأل عن مصير ابن اخته الشريف عبدالله ، مع أنه كان يحبه جدّاً ويَعُدُّهُ بمنزلة ابنه (ص ٣٢٤ ـ ٣٢٥) .

في (خميس مشيط) :

أقامت الحملة في (خميس مشيط) من ٢١ آب إلى ٢٩ من الشهر نفسه وكان معدل الحرارة خلال هذه الأيام ١٣ درجة مئوية عند طلوع الشمس ، و٢٢ ظهراً ، و ٢٠ عند المغيب . ومع أن الجيش ربح المعركة فإن هذه الإقامة أفقدته الحرب إذ لم يبق لديه ما يقتات به . أما جمال التحميل فإن الموت كان يحصدها حَصْداً بِسبب الرطوبة والبرد ، ولا يمكن الحصول على غيرها في هذه البلاد الجبلية .

وأثناء هذه الاستراحة جاء شيخ (خميس مشيط) وقدّم خضوعه لأحمد باشا . ويحدثنا (تاميزيه) مطولاً عن هذا الشيخ ويعلمنا أنه يدعى مشيط وأنه كان من أصحاب علي بن مجثل أمير عسير[٧]. وهو رجل تجاوز الستين ، إلا أنه يتمتع بحيوية ونشاط يخفيان عمره ، لطيف الصوت ، فصيح اللسان ، جاء معتذراً فقبل القائد عذره ، على أن يقدم للجيش كل ما يمكنه من المؤنة .

وحضر أيضاً أحد أعيان عسير ويدعى (شلاعي ؟ Cheleia) طالباً حماية الجيش ، وكان أمير عسير أوفده سفيراً ، عندما وصلت الحملة إلى (الخضرا) ، ليتفاوض مع القيادة العامة فلم ينجح بمهمته ، ولما عاد عند سيده وأشاد بقوة الحملة وأنّه من الصعوبة بمكان صدها ، أمر بقتله سِرًّا ، ولكنه تمكن من الهرب واختفى عند بعض أصدقائه ، وجاء اليوم يطلب حماية الباشا فوعده خيراً (ص ٣٤٥ ـ ٢٥٦) .

من (خميس مشيط) إلى (أبها) :

غادرت الحملة (خميس مشيط) في الثلاثين من شهر آب تريد بلدة (مناظر) عاصمة علي أمير عسير ، ومشت متجهة نحو الغرب وبعد هنيهة وصلت إلى مجمع السيول التي تصب في حوض (خميس مشيط) أما البلاد فهي سلسلة من المرتفعات تتعاقب من الجنوب إلى الشمال . وعلى سفح الجبال المروج الخضراء والمراعي الخصبة . وبعد أن اجتاز الجيش عدداً من الجبال والأودية وصل إلى (وادي حِجْلا[٨]

Sel Ejala)) ، سُمِّيَ كذلك لأن المياه تجري فيه بكل قوة وسرعة . وإلى جانبه قرية بيوتها من الطين ، وحولها الأراضي المزروعة ، والبساتين ، وهي محاطة بالأسوار العالية وتحرسها الأبراج المستديرة الشكل (ص ٣٥٩ ـ ٣٦٠) . وبات الجيش في قرية (حجلا) ومنها سار إلى (حفة ؟ Heffa) وهي قرية مبنية في سفح جبل تحرسها قلعة . ثم وصلنا إلى موقع جميل يدعى (مراوة؟ Maraua) يحوي ست قرى تحدق بها البساتين . وما أن مشينا قليلاً حتى بدت لأنظارنا (جوحان)[٩] و (أبها) ، واجتزنا بعد ذالك بلاداً خصبة حيث وجدنا أطيب الفواكه من درّاق ، ومشمش (أو برقوق) ورمان وأنواع من العنب الأبيض اللذيذ الطعم . وعند المساء وصلنا إلى مناظر (ص ٣٦٠ ـ ٣٦٢) في مكان حصين ، من حوله الجبال التي تزداد ارتفاعاً نحو الغرب ولا يوجد للخروج منها إلا مَمَرٌّ واحد وهو مجرى المياه التي تسيل من الشرق إلى الشمال الشرقي . وفي سفح السلسلة الغربية شيد أهل عسير عدداً من القلاع ، هي قلاع (رَيْدَة)[١٠] المشهورة حيث تمركز الأمير (عايض) مع أصحابه وأنصاره وأتباعه .

المعاهدة في (مَنَاظر) :

أقام الجيش في (مناظر) من اليوم الثاني من شهر أيلول إلى السادس والعشرين منه ، وخلال هذه الإقامة الطويلة حدثت بعض المناوشات الحربية بين الجيش والبدو كان النصر فيها حليف المصريين ، إنما كانت تنقصهم المواد الغذائية ، وكان لا يصلهم منها إلا ما يكاد يسدُّ الرمق . ووقعت أيضاً معركة هامة انتصر الجيش فيها أيضاً ولاذ أهل عسير بالفرار ، ولم ينتهز القائد العام الفرصة لِيَشُنَّ هجوماً عامًّا ويربح الحرب ، وآثر أن يعود إلى مراكزه . وكان حزب (عايض) يزداد قوة يوماً بعد يوم لأنه كان يعلم أن الجوع حَطَّ من معنويات الجيش وقواه ، بل إن عدداً من الجنود فضلوا الالتحاق بأتباع (عايض) من أن يتضوروا جوعاً ، وأخذوا يدلونهم على عورات الجيش مما ثَبَّطَ هِمَّةَ القائد ورأى أن الصلح أولى من متابعة الحرب . وتم الصلح بين الطرفين على الأسس التالية :

١ ــ يغادر المصريون (مناظر) ويعودون من حيث أَتَوْا ، آخذين الطريق

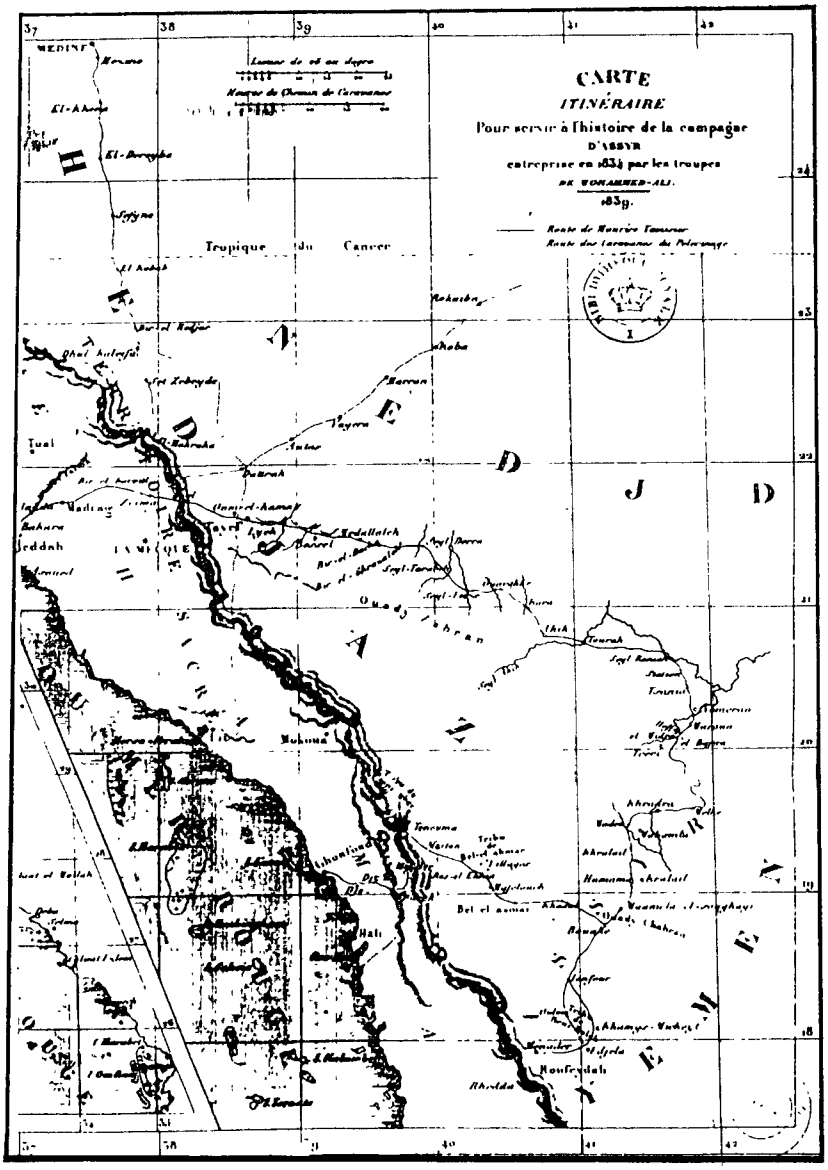

(مصور جغرافي لمسير الرحالة تاميزيه إلى بلاد عسير كما رسم في كتابه)

الذاهب إلى البحر الأحمر ، ويكونون آمنين على أنفسهم من كل اعتداء خلال تراجعهم ، على أن يحترسوا من كل اعتداء على الأهليين والقبائل .

٢ ــ يظل أهل عسير محتفظين بحريتهم واستقلالهم ، ولكن عليهم ألاّ ينزلوا

أي عقوبة بالأشخاص الذين قدموا العون لرجال الحملة .

٣ ــ سيرافق الجيش المصري أثناء تراجعه بعض المراقبين من أهل عسير ، ليتأكدوا من أنَّ الجند تحترم نصوص المعاهدة ، ثم يعودون إلى موطنهم متى اجتازت الحملة حدود بلاد عسير .

ولم تأتِ المعاهدة على ذكر (دوسري أبو نقطة) ولا على الهاربين من الجيش المصري .

وكان معدل الحرارة في مناظر خلال هذه الإقامة : ١٢ درجة صباحاً ، ٢٢ ظهراً ، ٢٠ مساءً .

وهكذا انتهت قصة الحملة المصرية على عسير بعد أَنْ مُنِيَتْ بالفشل ، وبها ينتهي كتاب (تاميزيه) وهو يعزو إخفاقها إلى أسباب عديدة منها سوء القيادة العامة وترددها ، ومخادعة الشريف محمد بن عون الذي كان ظاهراً مع المصريين وباطناً مع العرب ، وبذل كل جهده ليعوق الجيش عن التقدم ، ويحول دون وصول الوسائل النقلية إليه .

وما أن عاد (تاميزيه) على أعقابه مع أفراد البعثة الطبية حتى أخذ أهبته لرحلة إلى الحبشة ، كما ذكرناه في توطئة هذا العمل ، وقد جاء في هذا الكتاب الجديد وصف تهامة الحجاز واليمن وسنعود إلى هذا الموضوع إن شاء الله .

(للبحث صلة) باريس: د. يوسف شلحد

«**العرب**» : اطلع الأستاذ الكريم محمد بن عبدالله بن حميد على هذا المقال قبل نشره فأكرم ـ وفقه الله ـ بتصحيح بعض الأسماء التي استطاع التثبت من صحتها ومنها :

١ ــ علي شهاري : قال : الأصح علي الصعيري .

٢ ــ وقال عن وادي حمامة ما نصه : آل حمامة فخذ من قبيلة بلحمر بن الحجر بن الهنو دخل بالحلف في بني واهب من شهران واستوطن جزءاً من وادي بيشة امتداداً لوادي شهران أو وادي ابن هشبل .

٣ ــ كما صحح اسم (حفاة) بأن الصواب (حيفة) . ←

ومرة أخرى حول كتاب :

« قبيلة مزينة »

المعروف أن النقد هو الإدلاء بدليل ثابت ، أو نَصِّ إجماع متَّفق عليه لمعارضة رأي خطأه ذالك الدليل ، أو هذا الإجماع ، فهذا في نظرنا هو الذي يسمى نقداً بمفهومه الصحيح ، وحسب دلالة اللفظ عليه .

أما النقد عند كثير من نقَّاد العصر فهو الإطاحة برأي سابق دون الاستناد إلى دليل أو شاهد يوجب المناقشة وبين هذين الأمرين فرق واسع ، لا يخفى على المتأمل . وهذا الأخير يسمى معارضة ولا يسمى نقداً بالمعنى الحقيقي . لأنه ليس من الإنصاف أن تَرُدَّ رأيي بدون أن تذكر الأدلة ووجهات النظر حول الموضوع المراد طرحه ، ومناقشة الآراء حوله .

← ٤ ــ ملح : ملاح ٥ ــ عين فور : الجنفور .

٦ ــ ألمع الحجاز : يرى الأستاذ عبدالله أن صوابها : ألمع الشام .

٧ ــ وعلق على كلمة (علي أمير عسير) : (علي بن مجثل) .

٨ ــ وصحح كلمة (حجلة) : (حجلا) .

٩ ــ جوة : جوحان ووصفها بأنها قرية من ضواحي أبها الشرقية .

١٠ ــ قلاع رهدة : أصلحها : قلاع ريدة ، قرية واقعة على السفح الغربي من جبل تهلل المنحدر سيله نحو البحر الأحمر ، وهي تابعة لقبيلة بني مغيد من أعمال مدينة أبها ، كما يتضح من كلام المؤلف عنها .

١١ ــ وقال : أما اسم رفيدة المذكورة في الخريطة فأميل إلى الاعتقاد بأن المراد منه قبيلة دوسري المتحمي الذي كان مرافقاً للحملة ، وكامل الاسم هو ربيعة ورفيدة ، وهذه القبيلة تقع منازلها شمال غربي مدينة أبها ، ومن أشهر قراها طبب .

وخلاصة القول أن النقد في المجال الأدبي لا بُدَّ أن يكون مستنداً على أمرين ذكرناهما آنفاً وهما : النص الصحيح الصريح ، والإجماع وهو ما قبلته العقول التي يستبعد أن تجتمع على خطإ . فالنص أمر مُسَلَّم به لا جدال . والإجماع يُستأنس به للقرب من الحقيقة إذا لم يعارض بآراء صائبة ، وما سوى ذالك فهو إثبات المخالفة ولا يصح أن يسمى نقداً .

وقد لفت انتباهي ماورد في مجلة «العرب» في جزءي جمادى عام ١٤٠٩هـ من ملاحظات على كتابي «قبيلة مزينة في الجاهلية والإسلام ، نسبها وتاريخها وتراجم بعض الصحابة منها» للأخ فايز بن موسى البدراني الحربي .

تلك الملاحظات التي سمتها المجلة على غلافها نقداً ، وعندي في ذالك نظر (!!) وبداية القول شكر الأستاذ الأخ فايز على الثناء الحسن ، وذكره إياي ذكره الله بما يذكر به عباده الصالحين ـ ولا أذيع سِرّاً إذا قلت : إني سررت بما كتبه وإن خالفني الرأيَ لأن الغاية واحدة ، وطرح أي قضية للمناقشة بغية إثراء جوانبها بالأدلة والشواهد أمر مقبول عند أهل العلم .

ولعلي أُورد بعض الملاحظات على الملاحظات ، وهيَ إنْ صح التّعبير ـ دعابة مع الأخ فايز ، أرجو أن يتسع صدره لقبول ما لم يجانب الصواب فيها ، وأن يجعلني في حل مما عدا ذالك :

أولاً : أورد الكاتب اسم الكتاب مبتوراً دون أن يشير إلى اسمه كاملاً ، ولا شك ، أن أول اسم الكتاب يشير إلى مفهوم خاص ، وآخره يشير إلى مفخرة إسلامية تعتز بها القبيلة ، وهي ما كان من ذكر للصحابة من هذه القبيلة رضي الله عنهم ، وبتر الاسم أو اختصاره بهذه الطريقة أمر غير مقبول ، سامح الله أخي الأستاذ فايز ، وقد يقرني على هذه الملاحظة من أمعن النظر في الاسم محصوراً بين القدم الجاهلي للقبيلة والفخر الإسلامي ، فسيرى أنه لا ينبغي الاقتصار على بعض الاسم دون بعض . ومن أدرك أيضاً بواعث التأليف تبيّن له مايدل عليه الاسم مما أريده .

ثانياً : قال الأخ فايز : إن الكتاب ناهز ثلاث مئة صفحة . الخ . ولا أشك

أن هذا القول متعمد ومقصود فمن أين لأخي حفظه الله أن يلغي مائة صفحة ، والكتاب يناهز الـ (٤٠٠) فهو ثلاث مئة وتسعون صفحة ، إلا إن أراد الأخ فايز أن القيمة العلمية لهذا الكتاب تتمثل في الثلاث مئة فقط فهذا شيء نشكره عليه وهو تقييم نرضى به غاية الرضا .

وكان الواجب على الأخ فايز أن يعطي نبذة وافية عن الكتاب بشكل عام ثم ينقد ماشاء ، إذا توافرت عنده الأدلة الواجب الانقياد لها ، فهذه هي الطريقة المثلى عند من أراد النقد ، وقد أشار إلى ذالك من قال : (أثبت العرش ثم انقش) .

ثالثاً : ذهب الأخ فايز مذهباً بعيداً وخالف طريقي فالكتاب يعالج تاريخ قبيلة مزينة فقط ، ولم يتعرض لأي قبيلة أخرى ، بينما الأخ فايز يتكلم عن قبيلة (حرب) عامة ، وهذه لم نتعرض لها بما يوجب هذا التحامل ، ولو فهم الكاتب الأسباب الداعية لتأليف الكتاب لأقرني ونهج منهجي ، ولكنه خالفني في موجبات القضية ، فاستمر مجانباً لقَصدي ، محايداً عن طريقي ، والاتفاق في هذه الحال من أصعب الأمور ، ولهذا يحاول الأخ فايز أن يقحمني بأمور لم أتعرض لها ، وكأنه يريد أن يُثْيِرَ من الأمر قضية .

رابعاً : يقول : إن المؤلف أساء إلى نفسه وإلى قبيلته ، فأما الإساءة إلى نفسي فلو علمت ذالك لما فعلت ، ولعله يكون رأياً له ولا اعتراض لنا عليه ، وأما الإساءة إلى القبيلة فلم يتضح ماذا يعني . فإن أراد (مُزَينة) فلا أظن في نظري وحسب اطلاعي أن رجلاً أهدى لقبيلته مثل ما أهديت لقبيلتي ، خصوصاً بعد أن أفردتها (حرب) على لسان الأستاذ البلادي ـ .

وأما إن أراد قبيلة (حرب) فلا أعلم أنِّي أسأت إلى أحد ، ولا ذكرته بسوء ، غير أني أَبديتُ رأياً رأيته في معرض الرد على الهمدانيّ ، ولا أرى أنه يخالف نصوصاً صحيحة ، أو إجماعاً ، وحسبي أَنْ أقف عند منتهى علمي ، لأني لم أَدْرِ بما كتبه شيوخنا الأفاضل في الأنساب ، ولم أطلع على شيء منها ، ومن قرأ قائمة المصادر في كتابي عرف ذالك ، ولا يخفى على أحد مشكلة نقص التوزيع في كتب

الأنساب خاصة . ولهذا ليس من حق أحد أن يُلْزِمَنِيْ الأخذ بأقوال لم أرها ، ولم تكن في مكتبتي ، والكلام أو هو الرأي الذي ذكرته عن قبيلة (حَرْب) ونسبتها إلى عدنان لا يوجب هذا التَّحامل ، كما لا ينبغي الرد عليَّ وتخطئتي في ذالك ، فإني قد أسندت كما أسنـد غيري ونسبت القول إلى قائليه . وصواب الأمر أن يوجه الرَّدُّ إلى من سبقونا فإن ثبت رأيهم فهو الذي رأينا ، وإن لم يثبت فإن رأينا أولى بالزوال لأنه مبني على آرائهم ، وبنفس الطريق يتجه الرأي المعارض (وذكاة الجُوَيِّر من ذكاة أمه) كما في المثل الشعبي في كلا الحالين لأن الرأي الخاطيء حجة على من اتبعه ، والحق أحق أن يتبع ، وليس من طبعنا التحيز لرأيٍ مخالف لأنه رأينا .

وأما قولك يا أخي فايز : إني قد أسأت للأستاذ عاتق البلادي فالعجب من هذه لا ينقضي ، أليس من الواجب رحمك الله أن تنظر إلى نص كلام الأستاذ في قبيلة مزينة في كتابه « معجم قبائل الحجاز » الذي هو السبب في تأليف كتابي ، ولا أعتقد أنك لم تطلع عليه ، لأني ذكرت ما قال في كتابي الذي بين يديك في الصفحة الـ (٣٤) فلماذا هجرت ذلك وصدَّدت عنه مدافعاً بغير إنصاف ، وجعلت عمدتك كتابه «نسب حرب» ولو نظرت نظرة بعيدة عن تحاملك هذا لاتضح لك أن كتاب الأستاذ عاتق المسمى «نسب حرب» مختص بمسروح فقط ، ولم يذكر من بني سالم إلا ميمون ذكرهم تعليقاً في المشجرة المرسومة ، أما المراوحة من بني سالم !!!؟ فانظر يا أخي لتجد أن الكتاب ناقص نقصاً بيناً ، ويحتاج إلى استدراك أو استدراكات لا بد منها ومن ضمنها الأخطاء في قبائل مسروح بالذات ، وحسب الشيخ أن ينتبه له فيصلحه ، وهذا لا يحط من قدر كتبه وإنما هو التنبيه والإشارة إلى أن كتب الأنساب من الصعب استقامتها إلا بعد تمحيص شديد وطول أمد ، وأن الهمداني رحمه الله لم يحط كل الإحاطة بقبيلة حرب ، مما يدل دلالة واضحة على عدم إلمامه بالموضوع لا من ناحية النسب ولا من ناحية التاريخ ، وإلا لم يهمل هذا القسم ، إلا إن كانت القبيلة لم تنقسم إلا بعد عهد الهمداني وهذا يحتاج إلى دليل .

وإذ لا دليل على ذالك فيما نعلم سوى ما ذكره الهمداني نفسه فإن الواجب اتباع القاعدة الأصولية (أن الـمُثْبِت مقدَّم على النافي ، ومن حفظ حجة على من لم

يحفظ) ، والعلماء الذين جاءوا بعد الهمداني وكتبوا في الأنساب حفظوا أشياء لم يحفظها وأثبتوا في الأنساب خاصة علوماً لم يتعرض لها ، فقولهم أولى بالإتباع في نظرنا ، وقولنا بشذوذه رحمه الله في هذه المسألة لا ينقص من قدره أيضاً ولا يوجب اطراح علمه ، ولكن (كل يؤخذ من قوله ويترك إلا سيد الخلق ﷺ) (وحسب المرء أن تعد معايبه) .

خامساً : يقول الأخ فايز : إني لم أكْتَفِ بمخالفة رأي البلادي بل عمدت إلى تسفيه رأيه الخ .

فليت أخي جزاه الله خيراً ابتغى كلمة غير التّسفيه لكانت الأولى في سياق كلامه مع تحامله الواضح ، فلم تَجْرِ هذه الكلمة على لساني ولا في كلامي ما يدل عليها لا نصاً ولا قياساً ولست مطالباً بما لم أتلفظ به ، وقولي (إن البلادي لم يَتَحَرَّ الدقة) هذا إخبار في نظري وليس تسفيهاً وكذالك هو في نظر الأخ فايز بدليل أنه رده إليَّ فهل كان هذا القول في حق البلادي تسفيهاً وفي حق غيْره ليس كذالك أم ماذا !؟ ولم تأت يا أخ فايز بما يوجب مُقَارعَتَك بِحجة النَّص والدليل ، وكل مافي الأمر أنك انتصرت للشيخ البلادي ، وهذا لا ننكره ابتداءاً ولكن لا نقبله على حساب التاريخ ، مع أنك لم تنظر إلى اعترافنا بعلمه وسعة اطلاعه . ويبدو أنك تريد أن تضع من قبيلة حرب موضعاً للمناقشة وذالك يدل على أنك لم تقتنع بما تم لدى العلماء في نسب حرب ، فأردت أن تطرق الموضوع لتتظافر الأدلة حوله ، ولو أنك اقتنعت لما عرّضت القضيّة للمناقشة ، ذالك لأن الأشياء الثابتة لا تؤثر بها عواصف الآراء ، وعلى كل فالأمر ليس وارداً عندي . لأن كلامي في كتابي كله منصب على ما قاله الأستاذ عاتق البلادي في قبيلة مزينة ، ولم يأت ذكر حرب إلا عرضاً في معرض ردّ أقوال الهمداني ، كما تقدم .

أما إبداء الرأي الصريح في انتساب حرب إلى عدنان أو قحطان فهو يحتاج إلى بَحْثٍ مستقل ليس بالإشارة والتعليق ، وقد قُلْتُ في كتابي أكثر من مرة : إني أعترض على القول القائل بنسبة حرب إلى قحطان وإن كنت لا أميل إليه وأرى رأي العلماء السابقين المخالفين لرأي الهمداني ، ولم أزل حتى يبلغني خلافه أميل إليه لدليله ، وفي هذا احتراز واضح لا يخفى .

لكن الذي أثار القضية هو ما ذكره الهمداني واتبعه الأستاذ عاتق في إيراد الحوادث التي أشرنا إليها في الكتاب والتي أساءت إلى تاريخ قبيلة مزينة ، وغيرها من القبائل العدنانية أهل تلك الديار بطريقة فضلاً عن أنها غير مقبولة فهي لا تستند إلى أدلة ، ولو كان الأستاذ البلادي سابقاً لعصرنا لربما كان قوله فيها معتمداً لكن بحكم المعاصرة (نحن رجال وهم رجال ، نأخذ من حيث أخذوا) وترضينا زيادة الأدلة ، أما إن كان العمدة هو قول الهمداني فلا عبرة به لشذوذه في هذه المسألة .

سادساً : أشار الأخ فايز إلى مانعته بسوء الفهم في قولي : (لا ضير على مزينة العدنانية أن تذكر نسبها بوضوح وأن يكون لها تاريخها الواضح الجلي الذي لا يستطيع أحد أن ينكره) الخ والجواب : أن الذي أشرت إليه هو إنكار تاريخ القبيلة لا نسبها ، وأي إنكار للتاريخ أعظم من أن يكون ست مئة يغلبون خمسة آلاف ويخرجونهم من ديارهم صاغرين أذلاء ، هذا الذي لا نصدق به يا أخ فايز لا الهمداني سابقاً ولا غيره لاحقاً فليكن الأستاذ البلادي أو غيره . والكل يعلم طريقة الهمداني في البحث ، فهو يخرج على بعيره من صنْعاء إلى مكة ، ولا يمر بأحد ـ إلا ويسأله عن ما يعرفه من الجبال والأودية والأنساب وأخبار الحوادث ويسجل كل ذالك كحاطب ليل ، من قوله ما يصيب ومنه ما يخطيء ، وليس قوله الفصل في حادثة بينهُ وبينها مايزيد على قرنين من الزمان إذا لم يتابعه عليها أحد ، ومن شذ في مسألة خالفه فيها الناس فقوله غير مقبول عند أهل العلم قاطبة . فليت شعري من هم شيوخه الذين روى عنهم أليس أكثرهم من الأعراب سكان الفلوات .

أما ما أشرت إليه من أن حرباً نَمَوْا وكثروا ثم بعد ذالك غزوا مزينة وأخرجوها من ديارها فإن هذه يا أخي من الطامات ، فعندما أثبت الهمداني أن هؤلاء ست مئة ذكر أيضاً أن أولئك خمسة آلاف ، فهلا تفضَّل الهمداني ـ أو من روى له هذه الرواية ـ وأخبرنا بالسبب الذي جعل نساء حرب يلدن التوائم فيما كانت نساء القبائل العدنانية أُصِبْنَ بالعقم ، ورجالها أُصِيبوا بالطاعون ، حتى صار هاؤلاء يزيدون وهاؤلاء ينقصون في برهة قصيرة من الزمن ، وأين منازل حرب في هذه

المدة كلها ؟ هلاَّ تفضلت أنت أيضاً يا أخ فايز بتحقيق ما كتبه الهمداني بطريقة علمية لتعرف أين منتجع القبيلة ومنازلها خلال تلك الحقبة التي هي فيها تعد العدة لغزو القبائل الأخرى فربما يتبين لك غلط الهمداني في هذه المسألة ومن حذا حذوه .

وإذا عرفت أن حرباً قبل أن تستوطن في البلاد بدأت بـ (عَنَزَة) فأخرجَتْهَا من ديارها ثم بمزينة ثم بسُلَيْم ، دون أن ينضم إليها أحد من القبائل عن طريق الحلف أو غيره يزيد به عددها .

إذا عرفت ذلك وتأملته عرفت لماذا أنكرته في كتابي ، وقلت : هذه القبائل كلها عدنانية وذات قوة ومنعة ، فكيف تخضع هذا الخضوع لِثُلَّةٍ جاءت من اليمن تريد أن تنهب الأموال ، وتغتصب الديار ، ولماذا لم تجتمع كلها على هذا العدو المهاجم دَرْءاً لمقتضى المثل : (من تغدَّى خويِّـي تعشابِي) إن الأمر يدعو للاستغراب والعجب .

وإذا ضعف هذا الجانب من رواية الهمداني وتبين عدم إدراكه لما حدث ، فمن باب أولى ضعف الروايات الأخرى التي خالف فيها جماهير أهل العلم الذين كتبوا في الأخبار والأنساب .

ولهذا نرى أن يكون الأولى بأهل العلم والمنتسبين إليه أن يَنْتَصروا للأدلة فهي أحق بالإنتصار .

وإن اتباع الآراء الشاذَّة للإنتصار لتاريخ قوم على حساب تاريخ قوم آخرين ، ليس من العدل في نظرنا ، كما أن اتباع الجماهير أيضاً في أمر من الأمور دون بينة ليس من الحكمة ، ولهذا فالعبرة بالطريق القويم والرأي السليم .

سابعاً : يتساءل الأخ فايز ويقول : كيف غابت عنه آية سورة البقرة في قصة طالوت في قوله تعالى : ﴿ **قال الذين يظنون أنهم ملاقوا الله كم من فئة قليلةٍ غلبتْ فئة كثيرةً بإذن الله والله مع الصابرين** ﴾ والجواب ياأخي : ماغابت عني ولكن أسباب النزول مهمة في تفسير الآيات ، وسياقها هو الطريق إلى تنزيلها منازلها للاستدلال بها ولو استعرضت الآية لعرفت أنها :

أولاً : جاءت في معرض القصص القرآني .

وثانياً : أن فيها التحريض على القتال ، واستشعار للصبر ، واقتداء بمن صدق ربه ، واقرأ القصة من أولها يتبين لك الأمر ، وتكون على جلية منه ، ثم اعلم أن الآية لا تنطبق إلا في حق من ورد وعد الله لهم بالنصر ومعيَّة التوفيق ، والتسديد ، إذ يقول العلماء : إن النصر له شروط منها . قوله تعالى : ﴿ **اصبروا وصابروا ورابطوا واتقوا الله** ﴾ الآية آخر سورة آل عمران . وقوله: ﴿ **وعلى الله فليتوكل المؤمنون** ﴾ آل عمران (١٢٢) .

وقوله : ﴿ **إن الله مع الذين اتقوا والذين هم محسنون** ﴾ سورة النحل آخر آية . وقوله : ﴿ **ولينصرنَّ الله من ينصره إن الله لقوي عزيز** ﴾ . سورة الحج آية ٤٠ . وقوله : ﴿ **ياأيها الذين آمنوا إذا لقيتم فئة فاثبتوا واذكروا الله كثيراً لعلكم تفلحون** ﴾ آية ٤٥ من الأنفال .

فهذه أسباب النصر وشروطه ، وهي معدومة عند من يقاتل إخوانه المسلمين ليستحل دماءهم وأموالهم ، وبين هذه الأسباب وبين من هذا فعله كما بين الثَّرَى والثُّرَيَّا ، ومثل هذه الآية ياأخ فايز يستشهد بها للرجاء وتَحَرِّي النصر إذا انطبقت عليها الشروط التي ذكرها العلماء والتي قدمناها آنفاً . ولا يستشهد بها على أمور سبقت وحوادث انتهت ولم يتحقق وقوعها فيها ، وليست مزينة بهذا الضعف الذي ذكره الهمداني واتبعه من نقل عنه ، بحيث تضعف عن الدفاع وهي بهذه الكثرة عن قرى كقرى العراق في غلتها .

ثامناً : نقل الأخ فايز ماكتبه الشيخ عاتق البلادي في كتابه «نسب حرب» عن قبيلة مزينة وظنَّ أنه يكفي في اتباع القاعدة التي تقضي بأن المعتمد رأي المؤلف الأخير لكونه ناسخاً للرأي الأول ، وأن هذا القول هو غاية الإنصاف في رأيه .

ونحن مع الأخ فايز في مقتضى هذه القاعدة ، إذا كان المصدر واحداً أما إذا كانت المصادر متعددة ، وأسماؤها متغايرة وموضوعاتها متباينة ، فما قيل في شيء منها يعتبر هو القول الأخير للمؤلف ، وهذا ماحدث بالنسبة لكتاب الشيخ عاتق ←

ملاحظات :

حول « المعجم الكبير »

[« المعجم الكبير » هو الكتاب الذي اضطلع (مجمع اللغة العربية) في القاهرة بتأليفه منذ إنشائه ، ليكون شاملاً لجميع مفردات اللغة ، وقد صدر منه مجلدان يحويان مواد حرفي الألف (الهمزة) و (الباء) وبلغ إعداد مواده إلى حرف (الحاء) حيث قدم أثناء انعقاد دورة المؤتمر السنوي الخامس والخمسين من مواد ذالك الحرف من (ح ذ ي) إلى نهاية (ح ر ك ل) في مجلد بلغت صفحاته (١٧٥) جرى التداول فيها ومناقشتها في الجلسة الثانية عشرة التي عقدت صباح يوم الأحد ٤ شعبان سنة ١٤٠٩هـ (١٢ آذار سنة ١٩٨٩م) وهاهي الملاحظات التي عرضت ونوقشت ، وأُقِرَّتْ] .

١ ــ ص : ٢ ــ (دُبَيَّةُ السُّلَمِـيُّ من آل صُوفة خدام الكعبة) .

ليس دُبَيَّةَ السُّلَمِـيَّ من آل صوفة ، إنه دُبيةُ بن حَرَمَـيٍّ الشَّيْبَاني السُّلَمـيُّ ـ كما في « الأصنام » لابن الكلبي و « معجم البلدان » وغيرهما وكان سادن العزى .

أما صوفة فهم بنو الغوث بن مُـرِّ بن أُدٍّ بن طابخة بن الياس ، الذين كانوا

← «معجم قبائل الحجاز» وماذكر فيه عن قبيلة مزينة ، ولم نطلع على ما ينسخه ، وهذا يشهد على الأخ فايز بتحامله علينا دفاع تعصب لا دفاع أدلة .

وَالْأَدْهَى من ذالك أن الأخ فايز أقحم في الموضوع أسماء علماء أجلاء وجعلني مسفهاً لآرائهم ولا أدري كيف سمح لنفسه باستثارة هاؤلاء الفطاحل مع أني ما ذكرت أحداً منهم ، وليس لدي رد عليه في ذلك .

فالله المستعان ، ، ، ،

المدينة المنورة ــ مساعد بن مسلم المزني

يُجيزُونَ بالحاج من مِنَى ، وانقرضوا في الجاهلية فورث الإجازة آلُ صفوان بن شِجْنَةَ من بني سعد بن زيد مناة بن تميم بن مُرٍّ بن أُدٍّ « جمهرة أنساب العرب » ص ٢٠٦ .

ومنشأ الخطإ هُنا تلفيقُ خَبَرَيْنِ مُتَغَايِرَيْنِ أحدهما ورد في « شرح أشعار الهذَلِّيِّنَ » ص ١٢١٢ ونصه : (وقال في صديق له من آل صوفة خدام الكعبة في الجاهلية كان حذاه نَعْلَيْنِ) ثم أورد البيتين ، والخبر الثاني ورد في تعليق محقق الكتاب نقلاً عَنِ « الأغاني » من رواية ابن حَبيب وفيه : نزل أبو خِرَاشٍ على دُبَيَّةَ السلميِّ ، وكان صاحب العُزَّى فأعطاه نعلين ـ إلى آخر الخبر ـ .

٢ ــ ص : ٣ ــ (دَارِيْنُ قريةٌ على الساحل الشرقي من بلاد العرب) .

ليست دارينُ قريةً بل جزيرةٌ واسعة فيها قرى كثيرة في ساحل القطيف ، على الخليج العربيِّ ، وكانت فيها فرضةٌ ترسو فيها السفن الواردة من الهِنْد وغيرها من البلاد ، حاملة البضائع التي من بينها الـمِسْك الذي يُنْسَبُ إلى فرضة دَارِين التي كان يرد عن طريقها ويُصَرِّفُ فيها ببيع ونقل . وتعرف الآن بجزيرة دارين ، وبجزيرة تَارُوت ، وأصبحت الآن متصلة بالقطيف .

٣ ـ ص : ٥ ــ (فلا يَقْتَسِمُ فيها السَّفَرُ الماء) .

وعلى الفاء فتحة والصواب إسكانها (السَّفْرُ) جمع مسافر .

٤ ــ ص : ٧ ــ (قَرَنُ ميقات أَهْلِ نجد) .

والراء مفتوحة والكلمة مكررة والصواب إسكان الراء (قَرْنٌ) إذِ القَرْنُ الجبل وهذا هو قَرْنُ المنازل المعروف .

٥ ــ ص : ١١ ــ (الحذِيَّةُ اسمُ هضبةٍ قربَ مكة) .

في شرح قول أبي قِلاَبَة الهذليِّ : يئست من الحذية أُمَّ عَمْرٍو ـ والمصدَر ياقوت . ولكن ياقوتا في «معجم البلدان» أورد هذا القولَ منسوباً للسكري ولم يَرْتَضِه ، بل أضاف إليه بعد إيراده : قلت أنا الحذِيَّةُ في اللغة العطية ، ولو فُسِّرَ البيتُ بالعطية

كان أحسن . انتهى كلام ياقوت . وسبقه إلى هذا التفسير أبو عمرٍو العالِمُ اللغويُّ المعروف ، كما في «معجم ما استعجم» للبكري .

٦ ــ ص : ١٢ ــ (أَرِيكُ وادٍ في بلاد بني مُرَّةَ) .

القول بأنَّ أَرِيكاً واد في بلاد بني مرة لأبي عبيدة مَعْمَرِ بن الـمُثَنَّى نقله ياقوت ولكنه أضاف : (وقال في موضع آخر : أَرِيكُ إلى جنب النَّقْرَةِ ، وهما أريكَانِ أَسْوَدُ وأَحْمَرُ وهما جبلان) إلى آخر ما ذكر . وأريكانِ الجبلان لا يزالان معروفيْنِ في عاليةِ نَجْدٍ جنوب النقرة وقد ورد تعريفهما صحيحاً في ـ «المعجم الكبير» ج ١ ص ٧١٦) ـ ويحسن الرجوع إلى هذا الكتاب في المواد المذكورة فيه لئلا يقع اضطراب في نصوصه .

ونسبة المواضع إلى قبائلَ أصبحت غيرَ معروفةٍ الآن ليس من العلم في شيء ، فبنو مُرَّةَ المذكورون هنامن غَطَفان أصبحوا مجهولين .

ومثل هذا التعريف ما ورد في ص ٢٠ : (عاقلُ جبل بنجد في ديار كندة) وعاقل هذا وادٍ لا يزال معروفاً بمنطقة الرَّسِّ ، من بلاد القصيم ، يسمى (العاقليّ) وكان من ديار بني أسد حين كان يرأسهم رجلٌ من كندة هو الملك الحارث الذي توفي في هذا الوادي كما قال لَبِيد :

والحارثُ الحرَّابُ حَلَّ بِعَاقِلٍ جَدَثاً أقَامَ بِهِ فلَمْ يَتَحَوَّلِ

فنُسب الوادي إليه وما كان بديار كندة .

٧ ــ ص : ١٣ ــ (ترج : جبل في الحجاز وقيل وادٍ على طريق اليمن) .

قد يُطْلق اسم الموضع على ما يقاربه من جبال أو مياه . ولكنَّ تَرْجاً هذا عِرْضٌ من الأعراض ، وهي الأودية العظيمة المأهولة ، ذات القرى ، وهو من أعظم أودية جنوب الجزيرة قال ابن مدرك الخثعميُّ :

تَبَالَةُ وَالْعِرْضَانِ تَرْجٌ وبِيْشَةٌ وقومِيَ تَيْمُ اللَّاتِ والاسْمُ خَثْعَمُ

وهذا الوادِي من روافد وادِي بيشة العظيم وهو في جنوب نجد ، يمر به الطريق إلى بلادِ عَسيرٍ ، ونَجْرَانَ وشرقِ اليمن .

٨ ــ ص : ١٤ ــ (قال مخارق بن شهاب) :

سَيُصْبِحُ في سَرْحِ الرِّبَابِ وَرَاءَهَا إذَا فَزِعَتْ أَلْفَا سِنَانٍ مُحَرَّبِ

(السَّرْحُ فِنَاء الدار) .

المفهوم من البيت أن السرح هنا الأنعامُ السارِحةُ فوراءها من يحميها بِالْأَسِنَّةِ الـمُحَرَّبَةِ ، الْـمُذَرَّبَةِ .

٩ ــ ص : ١٦ ــ (حَرْبُ : قبيلةٌ بالحجاز من بطون بني هلال) .

حربُ قبيلة خولانية قحطانية ، تنسب إلى حرب بن سَعْدِ بن سعد بن خولان ، وكانت مع إخوتها من خولان في نواحي صَعْدَةَ ، فنشأ شقاقٌ في القبيلة فارتحلت قبيلةُ حرب سنة ١٣١ من اليمن ، واستقرت فيما بين الحرمين الشريفين ، وسيطرت على تلك البلاد منذ القرن الثالث الهجري تقريباً إلى عصرنا ، بحيث تُعَدُّ الآن هذه القبيلة أقوى القبائل في الحجاز ، وأَوْسعَهَا داراً ، وأكثرها فروعاً ، وقد فَصَّل نسبَها وخبرَ انتقالها من اليمن مؤرخُ اليمن أبو محمد الحسن الهمداني في الجزء الأول من كتاب « الإكليل » ص ٣٩٢ الطبعة العراقية وهو أوثق من كتب عن أنساب القحطانيين .

١٠ ــ ص : ١٨ ــ (حُرَبُ بن مَذْحِجَ بْن مَظَّةَ ، وفي قضاعة : حُرَبُ بنُ قاسط ، وكلُّ اسم في العرب حَرْبٌ سوى هذين الاسمين) .

ليس حُرَبُ ابناً لِـمَذْحِجَ بل هو حُرَبُ بْنُ مَظَّةَ بن سِلْهِمَ بْنِ سَعْدِ الْعَشِيرة ، وهؤلاء من مَذْحِجَ ، وبالرجوع إلى كتاب « مختلف القبائل ومؤتلفها » لابن حبيب وكتاب « الإيناس » للوزير المغربيِّ يتضح صوابُ العبارة ونصها فيهما : (كلُّ شَيْءٍ في العرب حَرْبٌ سَاكنٌ ، إلَّا اسْمَيْنِ : احدهما في مَذْحِجٍ ، فإنه حُرَبُ بنُ مَظَّةَ بن سلْهِمَ بن الْـحَكَمِ بْنِ سَعْدِ الْعَشِيْرةِ ابْن مالك بْن أَدَدٍ ، وفي قضاعة

حُرَبُ بنُ قاسِطِ بن بَهْراء) انتهى . ومالك بنُ أُدَدٍ هو مَذْحِجُ ، وبَهْرَاءُ القبيلة القُضَاعية المعروفة .

١١ ــ ص : ٢٢ ــ (مُحَارب : بنو محارب قبائل منهم مضر : محارب بن فهر بن مالك بن النضر بن كنانة ، ومحارب قيس عيلانة (؟) ومحارب بن مر بن أد بن طابخة ، ومنهم في ربيعة محارب بن عمرو) إلى آخر الجملة وهي بحاجة إلى صياغة كأن يقال : بنو محارب قبائل منهم محارب بن خصفة ، في قيس عيلان ، ومحارب بن فهر في قريش ، ومحارب بن عمرو بن وديعة في عبدالقيس .

هذه الثلاث أشهر من عُرِف بهذا الاسم .

ولم يرد ذكرُ أَشْهرِ قبيلة عرفت به عند الإطلاق وهي محاربُ بن خصفة بن قيس عيلان ، وينسب إليها رجال مشهورون من الصحابة وغيرهم ، وهي المقصودة عند إطلاق هذا الاسم .

١٢ ــ ص : ٣٥ ــ (بنو حارثة من الأوس) .

هذه القبيلة جديرةٌ بالتفصيل ، لأنها إحدى الطائفتين المذكورتين في القرآن الكريم : ﴿ **إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ مِنْكُمْ أَنْ تَفْشَلَا** ﴾ وفي «السيرة النبوية» لابن هشام ١١٢/٣ : ﴿**إِذْ هَمَّتْ طَائِفَتَانِ**﴾ بنو سَلِمَةَ بنِ جُشَمِ بن الخزرج ، وبنُو حارِثَةَ بنِ النَّبِيْتِ ، من الأوس ، وهما الجناحان يوم أُحُدٍ ﴿**أَنْ تَفْشَلَا**﴾ أَنْ تَنْخَذِلاَ ﴿**والله وَلِيُّهُمَا**﴾ الْـمُدَافِعُ عنهما ما هَمَّتَا بِه من فَشَلِهما . انتهى . وبنو حارثة هاؤلاء هُمْ بنو النبيت واسمه عمرو بن مالك بن الأوس بن حارثة بن ثعلبة من الأزد ، وهم من أنصار النبي ﷺ أهل المدينة .

وبنو سلِمة بكسر اللام من الأنصار أيضاً . ويحسن الرجوع إلى كتب التفسير لمعرفة ماهَمَّتَا به من فَشَلٍ .

١٣ ــ ص : ٥٠ ــ (قال الشاعر: حراجيج ..... ديوانه ١٤١٩/٣) وسقط اسم الشاعر وهو ذو الرُّمَّة .

١٤ ــ ص : ٦٢ ــ (حَراد بن نداوة ... حراد بن شَلْخَب الأكبر) .

١ ــ الكلام منقول من «التاج» وبعده : (وكغراب حراد بن مالك بن كنانة وحراد بن نصر) ثم اسمان آخران ومصدر صاحب «التاج» كتاب «التبصير» للحافظ بن حجر . ولكن الذي في «التبصير» في الأسماء المذكورة (حَدَاد) بدالين مهملتين ، ومصدر ابنُ حجر كتاب «مختلف القبائل ومؤتلفها» لابن حبيب وفيه بالدالين المهملتين أيضاً ، وإذَنْ فقد تصحف على صاحب «التاج» .

٢ ــ كلا الاسمين المذكورين نكرة مجهولة ، إذ لم يوصف أحدهما وصفاً يستحق به أن يذكر في «المعجم» ، ولهذا يحسن الاكتفاء بالعبارة الواردة ص ٦٢ : (حراد علم لغير واحد) .

٣ ــ (نداوة) صوابها (بذاوة) بالباء بعدها ذال معجمة ـ كما في «الإيناس» رسم (حداد) وكما تقدم يحسن حذف تلك الأسماء والاكتفاء بالجملة الشاملة لها .

١٥ ــ ص : ٦٣ ــ (حَرْدُ : اسم قرية باليمن وقيل : اسمها حَردة) .

في اليمن موضعان أحدهما حَرَدُ ـ بفتح الحاء والراء ـ اسم وادٍ في مخلاف ذي رُعَيْنٍ ، في عزلة كَحْلَان من خُبَانَ ، شرقيَّ مدينة يَرِيم ذكره الهمداني في «صفة جزيرة العرب» ٢١٦ والموضع الثاني ٱلـحِرْدَةُ ـ بكسر الحاء ـ وهذه أشهر من الأول وكانت من موانِـيء تهامة المعروفة ، وصفها الهمداني بأنها ساحل مَدِينة الـمَهْجَمِ الواقعة على وادي سردد من أشهر أودية تهامة ، ولها ذكر في كتب التاريخ ، كتاريخ الطبري وغيره ، لأن أهلها ممن سارع لتصديق الأسود العنسيِّ المتنبِّـىءِ في اليمن عند وفاة الرسول ﷺ وقد وقع في كتاب «التاج» ممن سارع لتصديق مسيلمة . وهذا خطأ ، وقد درست الـحِرْدَة ، وموقعها في المنتصف بين ٱلـحُدَيدة جنوباً وحَرَضٍ شمالاً على الساحل في تهامة اليمن .

١٦ ــ ص : ٦٩ ــ (حردبة اسم لص من بني أسال بن مازن) .

والإحالة إلى كتابي «الكتاب» لسيبويه و«جمهرة اللغة» . وقد رجعت إلى الكتابين فلم أجد اسم (أسال) في واحد منهما وما أراه إلا محرفاً .

١٧ ــ ص : ٧٥ ــ (حُرَارُ : هضبَاتٌ بأرض سلول بين الضِّبَابِ وعمرو ابن كلاب) .

يحسن أن يضاف : (وسَلول) كما في «معجم البلدان» فالهضاب في بلاد سلول . وأن يُشَار أيضاً إلى عدم اطمئنان ياقوت إلى ضبط الاسم لأنه أعاده مرة أخرى برسم (حُزاز) بزايين معجمتين ـ وفي «التكملة» للصاغاني : وحُرَار . . . بأرض سلول ، ويقال بالزاي .

١٨ ــ ص : ٨٣ ــ (وللعرب حِرار كثيرة) إلى (الحرة أرض يظاهر المدينة) .

في هذا الكلام عدم ترتيب أسماء الحرار على الحروف ، وفيه تكرار . مثال ذالك حرة النار لبني سُلَيم ، وحرة النار لبني عبس ، وحرة راجل ، وحرة الرجلاء . وفيه (إحدى حرار الحجاز الست المحترمة) .

والمفهوم من كلام المتقدمين أن حرة النار وصف يطلق على كل الحرار ، وكذا راجل والرجلاء .

أما (إحدى حرار الحجاز المحترمة) فصواب الكلمة : إحدى حرار الحجاز المحترمة به . إذ الحرار محترمة بجبال الحجاز ، ولا حرة فيها محترمة .

وحرة جفل : صوابها حرة حَقْل بالحاء المهملة والقاف . كما في «معجم البلدان» وغيره ـ وحَقْلُ اسم بلدةٍ لا تزال معروفة بقرب العقبة ، في سفح جبال حِسْمَى ، وبقرب حَقْلٍ حرة تنسب إليه .

وحرة ليلى بنت مرة . الصواب : حرة ليلى لبني مُرَّة .

وأرى أن يقتصر في المعجم على تعريف الحرة تعريفاً لغوياً ، مع الإحالة في التعريف الجغرافي إلى كتب تحديد الأمكنة . أو الاكتفاء بالقول : وللعرب حرار كثيرة أشهرها الحرار المحيطة بالمدينة ، وفي إحداها وهي حرة واقم حدثت وقعة الحرة المشهورة أيام يزيد بن معاوية . والحرار المحيطة بواحة خيبر ، وحرة بني سُلَيم .وتعرف الآن باسم حرة رهاط .

١٩ ــ ص : ٨٧ ــ (يمدح بلال بن أبي بُرْدٍ) .

صوابه : بلال بن أبي بُرْدَةَ . وشهرته تغني عن سياق نسبه .

٢٠ ــ ص : ٩٢ ــ (محرر بن عامر الخزرجي البخاري) .

صوابه النجاري الخزرجي من بني النجار من فروع قبيلة الخزرج .

٢١ ــ ص : ٩٥ ــ (حَرَازٌ جبل بمكة وليس كما تظنه العامة) .

سقطت جملة : (وليس جبل حِرَاءٍ ، كما تظنه العامة كأنهم يصحفونه) كذا في «القاموس» وشرحه ، وأرى الاسم تصحيفَ حِراءٍ ، فالأزرقي مؤرخ مكة الذي لم يدع جبلاً أو موضعاً مشهوراً في مكة إلا ذكره لم يرد له ذكر في كتابه . وأرى أن يذكر هنا (حَرَاز) أحدَ مخاليف اليمن المشهورة ذكره ياقوت وغيره ويقع غرب مدينة صنعاء ، يمر به الطريق منها إلى الحديدة ونسب إليه كثير من المشاهير قديماً وحديثاً .

٢٢ ــ ص : ٨٩ ــ (حروراء : رملة وعثة بالدهناء) .

لا تزال هذه الرملة معروفة الموقع فيها (عِرْقُ ٱلـحَرُوريِّ) و(دَحْلُ ٱلـحَرُوْرِي) وتقع شرق الدهناء بِقُرْبِ (حُزْوَا) .

٢٣ ــ ص : ٩٧ ــ (حُرَيْزُ بلد باليمن) .

ضبط ياقوت الاسم بالفتح ثم الكسر ، ثم نقل عن الحازمي (بِزَايَيْنِ) وأحال إليه في التفصيل ، ولو صَحَّ (حُرَيْزُ) لكان المقصود منهلاً في وادي تثليث كان من مياه بني عقيل بمنطقة إمارة بلاد عسير . لا البلد الذي في اليمن ، إذْ مع شدة تقصي الهمداني اليمني في «صفة جزيرة العرب» لذكر أمكنة اليمن لم يرد في كتابه هذا اسم هذا البلد ، ولكن ورد فيه ص ١٤١ : من جبال جعدة العظمى : حَرِير وهو غير حزيز ، وعلق محقق الكتاب القاضي الأكوع اليمني : حَرِير ـ بفتح الحاء المهملة وكسر الراء وتسكين الياء وآخره راء ـ جبلٌ مشهور يشتمل على قرى ومزارع ، ومنتجاته القات والبن والموز وجميع أنواع الحبوب ، ويقع جنوب

قُعْطُبة . ويشرف عليها ويصبُّ في وادي أبين ، وهو في ٱلأَجْعُودِ من الجنوب اليمني .

وذكر الهمداني أيضاً (حِزْيَز) ـ بكسر الحاء المهملة وسكون الزاي وفتح الياء المثناة التحتية ، ثم زاي أخرى ـ وذكر من المنسوبين إلى هذه القرية ثابت الـحِزْيَزِي ، من رواة الحديث ، وهي قرية لا تزال عامرة تقع على قارعة المحجة من صنعاء إلى ذمار جنوب صنعاء بنصف مرحلة وفيها قتل الإمام يحيى حميد الدين سنة ١٣٦٧هـ (١٩٤٨) .

٢٤ ــ ص : ٩٨ ــ (الحرازج : مياه لِبَلْجُذَام قال راجزهم) : إلى آخر الشعر .

أَقْلِبَةُ الحرازج جمع قليب لا تزال إلى الآن معروفة ولكن العامة يحرفونها إلى (القلبية) بدون إضافة وكانت من أشهر مناهل الطريق للقادم من مصر أو جنوب الشام إلى الجزيرة وكانت واقعة في بلاد جذام ، وتقع شرق مدينة تبوك بنحو١٠٠ كيلٍ ، بقرب خط الطول ٤٠/٣٧° وخط العرض ٢٧/٢٨° تقريباً ، ووواديها من روافد وادي ثَجْرٍ من أعظم الأودية الواقعة شمال الجزيرة ، وقد أصبحت (القَلِيبة) أَقْلِبَةُ الحرازج قرية .

وقائل الرجز ليس من جُذام كما يفهم من النص ، ولكنه جندَبُ بنُ عَمْرِو بن مَجْزُوءِ الذُّبْيَانِيُّ الغطفاني ، وكان أقبل من مِصْرَ مع الشماخ الشاعر ، في نفر من قومه فنزل يحدو بالقوم وكانوا بِثَجْرٍ فقال من أرجوزة طويلة :

يَـارُبَّ ثَـوْرٍ بِـرِمَـالِ عَـالِـجِ ... كَـأَنَّـهُ طُـرَّةُ نَـجْـمٍ خَـارِجِ
فِي رَبْرَبٍ مِثْلِ مِلَاءِ النَّاسِجِ ... لَقَـدْ وَرَدْتُ عَـافِيَ ٱلْـمَـدَارِجِ
مِنْ ثَجْـرَ أَوْ أَقْلِبَـةِ ٱلْـحَـرَازِجِ ... فِـي غُبَّرٍ مِنْ قَيْظِ لَيْلٍ وَاهِـجِ

ــ وانظر «ديوان الشماخ» ــ ٣٦٢ تحقيق صلاح الدين الهادي .

٢٥ ــ ص : ١٠١ (والمثل عَجزُ بيت لأبي هَمَّامٍ السلولي) وصدرُه

فساع إلى السلطان ليس بناصح .

وٱلـعَجُزُ هُوَ : ومحتَرِسٌ مِنْ مِثْلِهِ وَهْوَ حَارِسُ) .

صوابُ اسمِ الشاعر عبدُالله بنُ هَمَّامٍ السَّلُوليُّ ، من سلول القبيلة المعروفة الآن ، وهي من قيس عيلان وعبدالله شاعر إسلامي توفى سنة (١٠٠) على مافي «الأعلام» والبيت من مقطوعة في هجو الفلافس ، صاحب شرطة الكوفة في عهد الشاعر وأولها :

أَقِلِّي عَلَيَّ اللَّوْمَ يا أَبْنَةَ مَـالِكٍ وذُمِّـي زَمانـاً سَادَ فِيهِ (ٱلْفُلَافِسُ)

فساع مع السلطان ـ البيت ـ . . . .

انظر عن هذا الشاعر وشعره «العرب» س ٢٣ ص ١٥٠ ـ ومابعدها ـ .

٢٦ ــ ص : ١٠٢ ــ (ٱلـحَرْسُ جبلٌ في ديار عبس) و ص ١٠٣ (الـحَرْسَانِ : جبلان مُثَنَّى حَرْسٍ ــ ببلاد بني عامر) وص : ١١٣ (حَرْشَان : جبلانِ وردا في قول مزاحم العُقَيْلِـيِّ :

نَظَرْتُ بِمَفْضَى سَيْلِ حَرْشَيْنِ والضُّحَى . . .

مدلول هذه الثلاثة الأقوال واحدٌ ، فكلها تنطبق على مكان يقع في جنوب نجد ذِي جبال ، ووادٍ فيه مياه ، وكان قديماً في ديار بني عُقَيْلٍ ، من بني عامر ، كما أورد ياقوت في «المعجم» : حَرْسٌ من مياهِ بني عُقَيْلٍ في نجد ، ونقل عن أبِـي زيادٍ في شرح قول مُزَاحم : هما ماءان اثنانِ يسميان حَرْسَيْنِ ـ أي بالسين المهملة لا بالشين ــ.

وفي ذالك المكان مياه عدة تُسَمَّى (حُرُوس) والمياه أكثر ما تكون في الأودية ، وغالباً ما يكون بقربها جبال ، وكذالك الأمر بالنسبة إلى حَرْس ، فهو أحد مياهِ حُروس في واد يضاف إلى هذا الاسم ، بين جبال تدعى الآن الضِّيْرَيْن ــ في

المصور الجغرافي رقم ٢١١ حُرِّف بـ (أثيرين) خطأ ، بقرب خط الطول ٤٣/٥٤° وخط العرض ٢٢/٢°) وقد قَرَنَ عَبِيدُ بنُ الأَبْرصِ اسْمَ حَروس بصاحةَ في قوله :

لِمَنِ الدِّيَارُ بِصَاحَةٍ فَحَرُوسِ؟ دَرَسَتْ مِنْ ٱلإِقْفَارِ أَيَّ دُرُوْسِ

وصاحة تقع شرق حَروس بمَيلٍ نحو الشمال (بقرب خط الطول ٤٤/٣٠° وخط العرض ٢٢/١٢°) .

٢٧ ــ ص : ١١٤ ــ (وفي «التكملة» : إنه تصحيف والصواب جِرْبِش) .

(جِرْبِشُ) هنا بالحاء المهملة لا بالجيم (جِرْبش) كما تقدم ص ٢٩ ــ إذْ مادة (جِرْبش) ــ بالجيم ــ مهملة .

٢٨ ــ ص : ١١٥ ــ (جَحْجَبِيّ) وفوق الياء شدة .
والصواب جَحْجَبًا بالألف المقصورة .

٢٩ ــ ص : ١٣٢ ــ (حُرَاضُ : موضع قرب مكة بين الـمُشَاشِ وٱلـغُمَيْر ، فوقَ ذات عِرْقٍ إلَى البستان ، قيل : كانتْ به العُزَّى ، وقيل : كانتْ بالنخلة الشامِيَّةِ ، قال الفضلُ بن العباس اللَّهبي نسبةً إلى قبيلة بني لَهب) إلى آخر الكلام .

يحسنُ حَذْفُ كلمتي (قيل) (وقيل) إذْ لا محلَّ لهما ، فٱلعُزَّى كانتْ في وادِي حُرَاض ، على ما ذكر ابن الكلبيِّ وابن حَبِيب وغيرهما ، وحُرَاضُ هذا من روافد وادِي نَخْلَة الشامية ، فلا منافاة بين القولين ، ونصُّ ياقوتٍ في «المعجم» : وكانتْ بِوَادٍ من نخلة الشامية ، يقال له حُرَاض .

أما الفضل بنُ العباسِ فليس من قبيلة بَنِي لِهْبٍ ، بل هو حفيد أبي لَهَبٍ عم رسول الله ﷺ فهو الفضل بن عباس بن عُتْبة بن أبي لَهَب ، وقبيلة بني لِهْبٍ عند

الاطلاق قبيلة أَزْدِيَّةٌ معروفة مشهورة بالعِيافة ــ وضَبْطُ الاسمين مُخْتَلِفٌ فَعَمُّ الرسول ﷺ بفتحتين ، واسم القبيلة بكسرٍ فسكون .

ووادي حُراض لا يزال معروفاً باسمه ، وهو من الروافد الجنوبية لوادي نخلة الشامية وأَعْلاهُ شِعْبٌ يقال له سُقَام ، قال في كتاب «الأصنام» : كانتْ قريشٌ قد حَمَتْ لِلْعُزَّى شِعْباً من وادِي حُراض يقال له سُقَامُ ، يضاهُون به حَرَمَ الكعبة ، وفيه يقول أَبُو خِراش الهذليُّ بعد إحراق الْـعُزَّى :

أَمْسَى سُقَامُ خَلاءً لَا أَنِيْسَ بِهِ إِلَّا السِّبَاعُ ومَرُّ الرِّيْحِ بِالْغَرَفِ

ويقع وادِي حُرَاض شَرقَ مكة بِحوالي ٦٠ كيلاً (بقرب خط الطول ٤٠/١٥° وخط العرض ٢١/٤٥°) .

٣٠ ــ ص : ١١٣ (حُرَاضَانُ وادٍ من أودية الْقَبَلِيَّةِ) .

أصل الكلام عن عُلَيِّ بن وَهَّاسٍ شيخ الزمخشريِّ ، وهُوَ في كتاب «الجبال والمياه» للزمخشريِّ ، في سرد أسماءِ أودية الْقَبَلِيَّةِ ، ولم يَنُصَّ على أَنَّهُ بصيغة الافراد ، والنَّصُّ مِنْ ياقوت .

والْقَبَلِيَّةُ : هي سَراةٌ بين المدينة وينبع ، ما سال منها إلى ينبع يُسَمَّى الْغَوْر ، وما سال إلى المدينة يسمى الْقَبَلِيَّة ، وحُراضَان من الأودية التي تسيل إلى جهة المدينة .

٣١ ــ ص : ١٣٣ (حُرَاضةُ ماء قرب المدينة لبني جُشَمِ بنِ مُعَاوِيَة) .

بلادُ بني جُشَمٍ تقع بعيدةً عن المدينة ، شرقَ الطائف وحوله واسم حُرَاضَة يطلق على مواضع :

١ ــ وادٍ وجبالٌ فيها مَعْدِنٌ تقع بين الْـحَوْرَاءِ وينبع ، ولا يزال هذا الموضع معروفاً .

٢ ــ ماء لبني جشم بن معاوية من بني عامر ، قوم دُرَيْد بن الصِّمَّةِ ، وهذا الماءُ في نجد على مقربة من جبل حَضَنٍ على ماحدد الأصفهانيُّ في كتاب «بلاد العرب» ص ٨ .

٣ ــ وادٍ من أودية الأفلاج ، فيه نخيل ومياه ، ذكره المتقدمون ولا يزال معروفاً .

٣٢ ــ ص ١٣٧ ــ (حُرُضُ وَادٍ من أودية قَنَاة ، منَ المدينة على ميلين قال كُثَيِّرُ عَزَّةَ :

ارْبَـعْ فَحَـيِّ مَعَـارِفَ ٱلأَطْـلَالِ بِٱلجِزْعِ مِنْ حُرُضٍ فَهُنَّ بَوَالِي

وذُو حُرُضٍ : وادٍ بالمدينة عند أُحُدٍ) إلى آخر الكلام .

١ ــ مدلول القولين واحدٌ فوادي قَنَاةَ دُون جَبَلِ أُحُدٍ ، لهذا يحسن أَنْ تضاف كلمة (دُون أُحُدٍ) إلى التعريف الأول وتُحْذَفَ كلمة (على ميلين) ، إذ عُمرانُ المدينة الآن غَطَّى المسافة .

٢ ــ قول كُثَيِّرٍ لا ينطبق على الوادي القريب من المدينة ، بل على واد آخر يدفع في رَحْقَانَ أحدِ فروع وادي الصَّفراء الذي يقع فيه بَدْرٌ المكان المشهور : فَكُثَيِّرٌ قَرَنَهُ بمواضع كلها في جهة الصفراء ذكرها بعده هي رَيْمَةُ ، وأُثَيِّثُ ورُحَيِّبُ وأُرابنُ ونُخَالُ وكُتَانَةُ وفُرَاقِدُ وبُعَال ، كما في الأبيات التي بعد الشاهد ــ وانظر «معجم ما استعجم» رسم (حُرُض) .

ولا أستبعد أن يكون اسم (حُرض) في قول كُثَيِّرٍ مصحفاً صوابه (خرص) بالخاء المعجمة والصاد المهملة ، إذْ لا يزال معروفاً من روافد رحقان رافِدٌ بهذا الاسم ، وعلى كل حال فقول كُثَيِّرٍ لا ينطبق على الموضع المشهور الذي بَيْنَ المدينة وجَبَلِ أُحُدٍ ، بَلْ عَلَى الموضع الثاني كما يتضح من كلام البكريّ ، وإنْ لم يلاحظ الفرق بين الموضعين اللذين ذكر .

٣ ــ ينبغي ذكر وادي حَرَضٍ ـ بفتحتين ـ إذْ هو أشهر الأودية المعروفة بهذا الاسم قديماً وحديثاً ، وهو واد في تهامة بين جازَانَ وٱلـحُدَيْدَةِ ذُو قُرى ، وله ذكر بارز في التاريخ القديم والحديث ، وفيه عقد مؤتمر حَرَضٍ مرتين للصلح بين الجمهوريين والملكيين عند قيام الجمهورية اليمنية ، وإليه ينسب الحافظ أبو بكر العامريُّ ٱلـحَرَضِـيُّ ، صاحب كتاب «بهجة المحافل» في السيرة النبوية ، وقد ذُكر هذا الوادي في «القاموس» وشرحه وفي «معجم البلدان» وغيرها .

٤ ــ كما يحسن ذكر حَرَضِ بن خولان بن عَمْرٍو ، من حِمْيَرَ ـ سكان وادي حرض قديماً ، على ما ذكر الهمداني في «الإكليل» وياقوت في «معجم البلدان» وغيرهما .

٣٣ ــ ص : ١٦١ ــ (ٱلـحُرَقَتَانِ تَيْمُ ، وسعْد ابنا قيس بن ثعلبة بن المنذر بن عُكَابة بن سعد) .

١ ــ كلمة (المنذر) لا محل لها فثعلبة هو ابن عُكَابَة وقد نبه على هذا صاحب «تاج العروس» .

٢ ــ سعد صوابه (صَعْبٌ) وهو ابن علي بن بكر بن وائل على ماهو معروف في كتب النسب .

٣٤ ــ ص : ١٦٣ ــ (الـمُحَرَّقَةُ بَلْدَةٌ باليمامةِ قال ابن السكيت: هي قُرَّانُ) .

يظهر أَنَّ كلمة ٱلـمُحَرَّقَةِ وصف بها عددٌ من القرى ، ولعل أشهرها قَرْيَة ٱلـمُهَير بن سُلْمِـيٍّ الحنفي الذي ثار سنة ست وعشرين ومئة على الدولة الأموية ، فاستولى على اليمامة ، وقد حدَّدَ موقعها صاحب كتاب «بلاد العرب» فقال ـ ص ٣٥٨ ـ : إذا خرجت من السوق ـ يقصد سوق حَجْرٍ ـ تُصْعِدُ مستقبلاً المغرب ، فأول ماء يستقبلك (يَايَةُ) ثم عن يمينها (ٱلقَرِيُّ) ثم عن يسار ذلك مُنْصَبّاً من بطن العِـرْضِ مُحَرَّقَة وهي قرية آل ٱلـمُهَيْر ـ ثم ذكر بعد ذلك نُمَاراً

وُنَيْلَة ومنفوحة ، وهذه الثلاث معروفة ، وذكر ياقوت أَنَّ الـمُحَرَّقَةَ كانتْ في قبلة حَجْرٍ على نِصْفِ فرسخ ، (ميل ونصف = نحو أربعة أكيال) وكانت تسمى البادية ، كان أهلُ حَجْرٍ يَتَبَدَّوْنَ فِيها وقد أحرقها الأرقم بنُ عُبيد بن ثعلبة الحنفيُّ نكاية بإخوته سكانها الذين لم يسهموا له معهم لما تقاسموا البلاد ، كما أحرق منفوحة ، فقام أهلها بنو قيس بن ثعلبة ، قوم الأعشى فأحرقوا الشَّـطَّ ، وفيه البادية وهو بين الوُتْرِ والْـعِرْض ، فقال الأعشى :

وأَيَّـام حَجْـرٍ إذْ نُحَـرِّقُ نَخْلَهُ ثَـأَرْنَـاكُمُ يَـوْمـاً بِتَحْـرِيْقِ أَرْقَمِ

وقد درستِ البادية وما بقربها من الْـقُرى بدروس مدينة حَجْرٍ التي قامت على أنقاضها مدينةُ الرياض ، حتى شمل عمرانها حَجْرا وما حولها من الْـقُرَى وفيها الْـمُحَرَّقةُ التي كانت على شَفِيرِ الوُتْرِ ـ (وادي البطحاء) الذي يتوسط الآن مدينة الرياض ـ .

٣٥ ــ ص : ١٦٥ ــ (مالقَى الْبِيضُ من الحُرْقُوصِ) وعلى القاف فتحة .

الصواب بكسر القاف وإثبات الياء نُطْقاً وكتابة (لَقِيَ) ليستقيم وزن الرجز .

٣٦ ــ هَنَوَاتٌ أكثرها (تطبيع) أي خطأ مطبعي :

١ ــ ص ١٣ ــ : (عند إحراق أهل الشام الكعبة) .
يحسن (عند إحراق جيش يزيد الكعبة) .

٢ ــ ص ١٧ ــ : الأعشى الحرمازي .
يضاف: شاعر إسلامي (صحابي) .

٣ ــ ص ٢١ ــ : (الإمام المنصور بالله) .
يكتفي بـ (الخليفة المنصور) .

٤ ــ ص ٢٥ ــ : (محارِيب غُمْدانَ قُصُورها)

غُمْدانُ قصرٌ واحد ، ومحاربيه صدور مجالسه ، وفي «اللسان» و «التاج» :
المحاريب صدور المجالس ، ومنه مَحارِيْبُ غُمدان باليمن .

٥ ــ ص ٥٤ ــ : (ذَا قُبَّةٍ مُوَقَّرةٍ أحراجاً)
وعلى الواو فتحة ، والقاف شدة . والصواب إسكان الواو وتخفيف القاف (مُوْقَرة) ليستقيم الوزن .

٦ ــ ص ٦٩ ــ : (حِين خرج لقتال الصفد)
والاسم (الصُّغْدُ) بالغين المعجمة لا بالفاء .

٧ ــ ص ٧٥ ــ : (قال شَمِرٌ : سمعتُ منْ شيخٍ باهلة) .
وهي : (سمعت من شيخٍ منْ باهلة) سقطت (من) .

٨ ــ ص ٧٦ ــ : (وقد تَركَتْ حَيَّة) .
و(حَيْهِ) اسمُ فِعْلٍ لزجر الضأن ـ بكسر الهاء كما في «التاج» ويجوز إسكانها ولكن يختلُّ هُنَا وزن الرجز .

٩ ــ ص ١٠٩ ــ : (الضَّبُّ تُحِب التمر) .
والضَّبُّ مذكر (يحب) .

٣٧ ــ في بعض الجمل تكرار ، مثل :

١ ــ حُرَيثُ بن عَنَّاب ص ٣٦ ، ٣٨ .

٢ ــ الحَرِيصُ الثوب يحرق : ص ١٢٤ في وسط الصفحة وفي آخرها .

٣ ــ قال أبو كَبِيرٍ : ذهبتْ بشاشته .
البيت وشرحه ص ١٥٤ وص ١٥٩ .

حمد الجاسر

ما اتفق لفظه وافترق مسماه من أسماء المواضع

للإمام محمد بن موسى الحازمي (٥٤٨/٥٨٤هـ)

ـ ٦٠ ـ

٢٧١ ـ باب الْحَصَّاصَةِ وَالْخَصَاصَةِ(١)

أَمَّا الأَوَّلُ : بِفَتْحِ الحاءِ وتَشْديدِ الصَّاد الأُوْلَى : ـ نَاحيَةٌ مِنْ قُرَى السَّوَادِ ، قُرْبَ قَصْرِ ابْنِ هُبَيْرَةَ(٢).

وأَمَّا الثَّاني : بِفَتْحِ الخَاءِ المعْجَمَة وتَخْفِيفِ الصَّادِ : ـ مَوْضِعٌ فِي دِيَارِ بَنِي زُبَيْدٍ ، وبَنِي الحارثِ بْنِ كَعْبٍ ، بَيْنَ الحجَازِ وتِهَامة(٣).

---

(١) في كتاب نَصْرٍ بِنَصِّهِ .

(٢) هوَ نَصُّ تَعْرِيفِ نَصْرٍ ، وَزَادَ ياقوت في «مُعْجَم البُلْدان» : مِنْ أَعْمال الكُوفة ـ بَعْدَ أَنْ أَوْضَحَ مَعْنَى الحَصِّ لُغَويًا . وورد اسم الموضع في تاريخ ابن جرير ـ في حوادث سنة ٦٥ ـ في مَوْضعين مما يَدُلُّ على قُرْبِهِ من الأَنْبَار . وَسَوَادُ العِرَاقِ ضِيَاعُهُ وقُرَاه المخضرة بالزُّروع والأَشْجار التي تُرَى مِنْ بُعد سَوْداء ، والعَرَبُ تُسَمِّي الأَخْضَرَ سَوَاداً ، والسَّوَاد أَخْضَرَ ، قال الفَضْلُ بن العبَّاس اللَّهَبِيُّ :

وَأَنَا الأَخْضرُ مَنْ يَعْرِفُنِي أَخْضَرُ الجِلْدة مِنْ نَسْلِ العَرَبْ

(٣) عِنْدَ نَصْرٍ : وأَمَّا بالحاءِ المعْجَمة وتَخْفيف الصَّاد ـ : مَكَان حجَازِيٌّ وتِهَامِيٌّ بَيْنَ دِيَارِ بَنِي زُبَيْدٍ وبني الحارث بن كَعْبٍ وفي «مُعجم البُلْدان» : الخَصَاصَةُ ـ بِلَفْظِ التي تُذْكر في قوله تعالى : ﴿ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ﴾ بُلَيْدٌ في ديار بَنِي زُبَيْدٍ وبَنِي الحارِثِ بْنِ كَعْب ، بَيْنَ الحجَازِ وَتِهَامة ، فُتِح في أَيَّام أَبِي بكر الصِّدِّيق ـ رضي الله عَنْه ـ سنة ١٣ للهجرَة عَلى يَدَيْ عِكْرِمَة بْنِ أَبِي جَهْل ـ وأَطَالَ في بَيَان المعنَى اللُّغَويِّ لِكَلِمة (الخصَاصَة) . وَيُلاحظ عَلَى ما تَقَدَّم :

١ ـ أَنَّ بِلاَدَ بني زُبَيْد وبني الحارث لا تَتَّصلُ بِتِهَامة ، بَلْ هي في سُفُوح السَّراة الشَّرْقية المُتَّصِلَة بِنَجدٍ ، وفي أطرافِ تلك السَّراة إلى بِلاَدِ نَجْران .

٢ ـ أَنَّ الاسْم بالحاءِ المُهْمَلَة لاَ يَزَالُ مَعْرُوفاً في بِلاَد بَني زُبَيْدٍ ـ التي حَلَّتْها الآنَ فُرُوعٌ مِنْ مَذْحِج تُدْعَى قَحْطان ، عَبيدة وغَيْرها .

٣ ـ بِلاَدُ زُبَيد وبني الحارِث دَخَلَتْ في الإسْلاَم في عَهْد النَّبيِّ ﷺ ، فالقَوْل بأَنَّ الموضِعَ فُتِح في عَهْدِ الصِّدِّيق ، لعَلَّ المَقْصُودَ به أَنَّ أَهْلَهُ حُورِبُوا أَيَّامَ الرِّدَّة فانْقَادُوا .

٢٧٢ ــ بَابُ حَصِيْرٍ ، وَحَضِيْرٍ[١]

أَمَّا الأوّلُ : بِفَتح الحاءِ وكَسْرِ الصَّادِ المهمَلَة وآخِرُهُ رَاءٌ ــ : حِصْنٌ باليَمَنِ ، مِنْ أَبْنِيَة مُلُوكِهم .

وأَيْضاً جَبَلٌ فِي بِلاَدِ غَطَفَانَ[٢] .

---

(١) عِنْد نَصْرٍ : بَابُ الحصِير والحضِير .

(٢) هُوَ تَعْرِيفُ نَصْرٍ ، وَزَادَ : وقيلَ الحصيرُ السِّجْنُ وَأيضاً جَبَلٌ في بِلاَد بني كِلاب ـ وقِيْلَ : هُوَ بالضَّادِ ـ وجَبَلٌ في بِلاَد غَطَفَان انتهى . وفي «معجم البلدان» وحَصير حِصْنٌ باليمن ، مِنْ أَبْنِيَة مُلُوكهم القدماء لم يَرِد فيما اطَّلعت عليْه من المؤلَّفات اليمنية ذِكر هذا المَوْضِع اليَمَني . والقاضي الأكوع إسْمَاعِيل حيْن أَوْرد كَلاَم ياقوت هذا اكتفَى بالقَول : لَعَلَّها حَضْبر بالضاد المعجمة ـ بلدةٌ شمال صَعْدة كما أفاد القاضي محمد الأكوع والغَرِيْبُ أَنَّ القاضي محمداً الأكوع أَوْرد كَلام ياقوت عند ذِكر حَضْبر قائلاً : حَضْبَرُ ـ بالفتح والسّكون ـ مَوْضع شمال صَعْدة ، ذَكَره الحارث الرّائش في قصيدته المشهورة :

فَنَـطحَتُهُم طَـحْنَ الـرَّحَـا بِـثِقَـالِهَـا ... بِجَيْش يَـضِيـقُ الحقْـلُ عَـنْـه وَحَضْـبَرُ

وَقَال يَاقُوت : حَضْبَرُ حِصْنٌ باليَمَن مِنْ أَبْنية مُلُوكهم ـ هامش «صفة جزيرة العرب» ١٦٣ ، وفي أُرْجُوزة الرِّدَاعِي :

يَـاهِنْـدُ لَـوْ أَبْصـرْتِ حُسْنَ المنْـظَرِ ... قَـلاَئِصـاً مِثْـلَ الـقَـطَا بِحـضْـبَرِ

ولكِنَّ ياقُوتاً لم يَذْكُرِ اسْم حضْبَرَ في موضِعِه مِن «المعْجم» .
وذَكَر يَاقُوت مِن مَعَاني الحصِير المحبس وفي قوله تعالى : ﴿ وَجَعَلْنَا جَهَنَّم لِلْكَافِرِيْن حَصِيْراً ﴾ . وحَصِيرُ جَبَلٌ في بلاد غَطفان وأوردَ عليه شاهِداً من قولِ مُزاحم العُقيليّ :

ومـاهـاجَـه مـن دِمْنـةٍ بَـانَ أَهـلُهَـا ... فـأَمْسَتْ قَـوًى بَـيْنَ الحصـيرِ ومحبـلِ

ونقل عن الأصمعي : من مِياه نَمَلَ تُرعَى والحصير ، وهو جَبَلٌ وأنشد :

تَـطَالَلْتُ كَيْ يُبْـدُوْ الحصـيرُ فَمـابَـدا ... لِـعيْني ويَـالَيْتَ الحصـيْرَ بَـدَا لِيَـا

وأَوْرد البكريُّ في «معجم مااستعجم» من شِعْر تَوْبة بن الحمير :

عفَتْ نُـوبـةُ مـن أهلهـا فستُـورُهَـا ... فَـذَاتُ الصَّفِيْـح المنْتَضَى فَحَصِـيْرُهـا
فَـبُرْق مَـرَوْرَى الـدَّانيـاتُ فَضَـائِفُ ... إلى الأَدَمَى أَقْـوَتْ مِنَ الحيِّ دُوْرُهَـا

وعلَى ما تَقَدَّم الاسْم يُطْلقُ علَى مواضِع مِنْها في جَنُوب نَجْدٍ ماوَرَدَ في شِعر توبَة ومُزَاحم العُقَيْليَّين ، ولَيْسَ في بلاد غَطفَان ، ومنها القَاعُ الواقِعُ في أَسْفَل النَّقيع بِقُرب المدِينَة ، ومِنْها في بِلاَد غَطَفان ، وفي غَيْرها كما =

وأَمَّا الثَّاني : بِالضَّادِ المعْجَمَة والبَاقِي نَحْو الأَوَّل ـ : قَاعٌ فِيه آبَارٌ وَمَزَارِعُ ، يَفِيضُ عَلَيْهِ سَيْلُ النَّقِيْع ، وبَيْنَ النَّقِيْع وَبَيْنَ المدِيْنَةِ عِشْرُوْنَ فَرْسَخاً(٣).

= يُفْهم من النُّصوص الواردَة في كُتُب المتقدِّمين .
أَمَّا مَا نَقَل ياقوتُ عن الأصمَعي فقدْ وَرَدَ في كتاب «بِلاَد العَرب» ـ ١٤٣ ـ : ومِنْ نَمْلَى يَرْغَبَا ، والأَمْلَح والشَّمِيطُ والحصيرُ قَالَ الشَّاعِرُ :

كَـأَنَّ خَـرَاطِـيْـمَ الحـصِـير وأَكْـلُب فَـوَارِسُ نَـحَّـتْ خَـيْـلَهَـا لِـفَـوَارِسِ

فَكَلِمة (تُرْعى) عِند ياقُوت مُصَحَّفة عنْ (يَرْغَبَا) الَّتِي يَنْطقها العامَّة الآن (رَغْبَا) كَأَمْثَالِهَا مِنَ الأَسْمَاء المَبْدُوءَة بالياء مثل (يَجُودَة) و (يعقُوبُ) و (ياقوت) فهم يقُولُون (جُوده) و (عقوب) و (قُوت) والأخيرُ اسم أُنْثى ونَمْلَى تُعْرف الآن باسم (رَغْبَا) وكانت مِنْ بِلاَد بني بَكْر بن كِلاَب من بني عامِرٍ ، بِقُرب بِلاَد بني عُقَيلٍ ـ مِنْ عامِرٍ أيضاً ـ وهي الآن في بلاد عُتَيبة ، تَقَع جَنوب بَلْدة (عَفِيف) بنحو ثمانين كِيْلاً . والجَبَل الَّذي في بِلاد بَنِي كِلاَب هو أَحد جبال نَمْلَى الَّتِي طَغَى عليها اسمُ أَحد مياهِهَا القَدِيْمة (يَرْغَبَا) فسُمِّيَتْ (رَغْبَا) وهي جبَالٌ سُودٌ واقعة في الجنوب الغربي من عَالِيَةِ نَجْدٍ ، وبِلادُ غَطَفَان في الشَّمال الغربيِّ منها .

(٣) هو تَعْريف نَصْرٍ بإسْقاط جُمْلة بعْدَ كلمة (سَيْل النَّقِيع) هي : (ثُمَّ يَنْتهي إلى مُزْجٍ وبَيْنَ النَّقيع) إلى آخره ، ومِثْله في «معجم البُلدان» بزيادة : وقيلَ : عِشْرُون مِيْلاً ، ويَجُوز أَنْ يكونَ أَصْلُهُ من الخَضْر وهو العَدْو ، وأَوْرَدَ شاهِداً شِعْرياً لا أَراهُ ينطبق عَلى هذا الموضِع ، وفي «وفاء الوَفَا» : حَضير ـ كَأَمير ـ : قَاعٌ فيهِ آبارٌ وَمَزَارع ، إِلَيه يَنْتَهي النَّقِيْعُ ويَبْتَديءُ العَقِيقُ . وفِيهِ : مُزْجُ ـ بالضَّمِّ ثُمَّ السُّكون ثمَّ جِيْم ـ : مِنْ غُدْر العَقيق ، يُفضي السَّيْل من حَضير إليه ، وهو في شِقٍّ بَيْنَ صَدْمَتَيْنِ ـ يعني حِجَابَيْنِ منَ الحرَّة ، يَمُرُّ بِهِ السَّيْلُ فَيَحْفَرُهُ لِضِيقِ مَسْلَكِه ، ولاَ يُفَارِقُه الماءُ ـ انتهى ولعلَّ صَواب (صَدْمَيْنِ) : (صدَّيْنِ) وفِيْه أيضاً : ونَقَلَ أَبُو عليٍّ الهجريّ أَنَّ العَقيق يَبْتَدِيء أَوَّلُهُ من حَضير وَزَاد مؤلِّفُ الكتابِ : ـ عَن حَضِير ـ : مَزَارع مَعْرُوفة بِقُرب النَّقيع ، عَلى أَزيد من يَوْمٍ عَنِ المدينَة ، وحَضِيرُ آخرُ النَّقيع وأَوَّل العَقيق ـ وفي الكلاَم على حِمى النَّقيع ذَكَر أنه على عِشْرِيْن فَرْسَخاً من المدينة ، ونَقَل عَنِ ابْن شَبَّةَ أنه عَلى أربعة بُرُدٍ من المدينة ـ أي ٤ × ٤ = ١٦ فَرْسخاً × ٣ = ٤٨ مِيْلاً ـ وأَضافَ : ولَعل المَرَاد مِنْ رِوَاية ابْن شبَّةَ طَرَفُهُ الأَقْربُ من المدينَة ومُرَادُ الهجري ـ أي ٢٠ × ٣ = ٦٠ مِيْلاً ـ طَرَفه الأَقْصى . وفي «معجم ما استعجم» للبَكْريّ ـ في الكلام على النَّقيع ـ وَصْفُ لحضِير هذا فيه تَفْصِيل ، ولكِنَّه وَرَدَ مُصَحَّفاً بالصادِ المهمَلة وَمِنْهُ : وسَيْلُ النَّقيع يُفْضي إلَى أَرْضٍ بيضَاءَ جهادٍ لا تنبتُ شَيْئاً لَهَا جسٌّ تَحْتَ الحافِرِ ، ويَلِيْهَا أَسْفَلَ مِنْهَا حَصِيرُ ، قَاعٌ يَفِيضُ عَلَيْهِ سَيْل النَّقيع ، فيه آبارٌ ومَزَارِعُ ، ومَرْعًى لِلْمالِ ، مِنْ عِضَاهٍ ورِمْثٍ وأَشْجارٍ ، وفِيْه يَقُولُ مُصْعب ، وكان يَسكنه هُو وَوَلده ، ولاَمَتْه امرأَتُهُ في بَعْضِ أَمْرِه وتَرْكِه المدينَة ـ وأَوْرَدَ ستَّةَ أَبْياتٍ منها :

سَـتَـكْـفِـيْـنِـي المـذَاقُ عَـلى حَـصِـيـر فَـتُـغْـنِـيـنِـي وأَحْـبَسُ فِي الـدَّرِيْـنِ

وَيَدْفع عَلى حصِيرِ الأَتْمَةُ أَتْمَة ابن الزُّبير ثُمَّ يُفْضي مِنْ حَصير إلَى غَدِيْر يقال لَهُ المزْجُ ، لاَ يُفَارقُه الماءُ ، وهُو في شِقٍّ بين جَبَلين يَمُرُّ به وَادِي العَقيق فيحْفُره لِضِيقِ مَسْلَكِه ، وهذا الجبلُ المُنْفَلِقُ الَّذي يَمُرُّ به السَّيْل يُقَال لَهُ سُقْفُ ـ إلى آخر ما ذَكَر ـ

٢٧٣ ــ بَابُ حِصَارٍ ، وخُضَارٍ[١]

أَمَّا الأَوَّلُ : بِكَسْرِ الحاءِ وبالصَّاد المُهْمَلَة ــ : مَوْضع رَمْي الجِمَار بِمِنَى[٢] .

وأَمَّا الثَّاني : أَوَّلُهُ خَاءٌ مُعْجَمَةٌ مَضْمُومَةٌ بَعْدَهَا ضَادٌ مُعْجَمَةٌ ــ : مَوْضِعٌ باليَمَنِ[٣] .

٢٧٤ ــ بَابُ الحَضَارِمِ ، والخَضَارِمِ[١]

أَمَّا الأَوَّلُ : بِفَتْح الحاءِ ــ : حَضْرَمُوتُ أَحَدُ مَخَالِيْفِ اليَمَن والنِّسْبَةُ إِلَيْهِ حَضْرَمِيٌّ[٢] .

---

(١) عِنْدَ نَصْرٍ : بَابُ الحصَابِ وخُضَاب ـ أي بالباء الموحدة في الموضعين بدل الراء .

(٢) لَمْ يَرِدْ ذِكْرُ الحرْف الأَخير مِنَ الاسْمَين في مَخْطوطَتَي كِتَاب الجازميِّ ، ولاَ شَكَّ أَنَّ إثباتَ الرَّاءِ هُنَا مِنْ تَصْحِيف النَّاسخ ، إِذْ لَيْسَ مِنَ المَعْقُول أَنَّ الحازميِّ الواسِعَ الإِطِّلاع عَلَى العلُوم الشَّرعيَّة يَجْهَلُ الحصَابَ ـ بالبَاءِ مِنَ الحَصْبَاءِ ، قال نَصْرٌ عنه : ــ بالحاءِ وكَسْرِها وصَادٍ مُهْملة ــ : مَوْضع رَمْي الجِمَار بِمِنَى . انتهى وهَذا نَصُّ كَلاَم الحازميِّ . وقال ياقوت في « معجم البلدان » : الحِصَابُ بالكَسْر وهُوَ مِنَ الحَصْب ، وهُو رَمْيُك الحصْباء الحصَا الصِّغار ، مَصْدر حَاصَبْتُه مُحَاصَبَةً وحِصَاباً ، ثم أَوْرَدَ التَّعْريف المتَقَدِّم ، واسْتَشْهَدَ بِقَولِ عُمَرِ بن أَبِي رَبِيْعَةَ ، كما أَوْرَدَ مِنْ شِعْرِ كَثِيْرِ بْنِ كَثِيْرِ بْنِ الصَّلْتِ :

إِنَّ أَهْلَ الحِصَابِ قَدْ تَرَكُوني مُوزَعاً مُوْلَعًا بِأَهْلِ الحِصَابِ

وَذَكَر صَاحِبُ « مُعجم ما اسْتعجم » أَنَّ الحصَابَ لُغَةٌ في المحَصَّب واسْتَشْهَد على ذالِكَ بِقَولِ عُمَرِ بْنِ أَبِي رَبِيْعَة :

وَعَرَفْتُ أَنْ سَتَكُونُ دَاراً غُرْبَةً مِنْهَا إِذَا جَاوَزْتُ أَهْلَ حِصَابِ

(٣) في مَخْطُوطَتَيْ كِتَاب الحازميّ (خُضَار) وفي مخطوطة كِتَاب نَصْرٍ (خُضَاب) والتَّعْرِيفُ في الكِتَابَيْنِ واحِدٌ ، ولكنَّ ياقُوتاً أَوْرَدَهُ بالبَاء قائِلاً : خُضَابُ ـ بِضَمِّ أَوَّله وآخرُهُ بَاءٌ مُوَحَّدةٌ ـ : مَوْضِعٌ باليَمَن ـ انتهى ولكنَّني لَمْ أَجد فِيمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ الكُتُب اليَمَنِيَّة هذا الاسْمَ أو (خضار) وقَدْ أَوْرَدَ القاضي اسْمَاعيل الأكوعُ قَوْل ياقُوتٍ ولَمْ يُعَلِّق عَلَيه كَعادتِهِ بإضافةِ تعريفٍ ، أَوْ تحدِيْد مَوْقعٍ .

(١) عِنْد نَصْرٍ : بَابُ حَضْرَمِيٍّ ، وخِضْرِمِيٍّ .

(٢) قالَ نَصْرٌ : حَضْرَمُوتُ بِخلافٍ مِنْ مخاليفِ اليَمن ، إذا نُسِبَ إِلَيْه قَالُوا : حَضْرَمِيٌّ . أَمَا يَاقِوتُ فَقَال عَنْ حَضَارم : جَمْع حَضْرَمَةٍ ـ وَهُوَ اللَّحْنُ في الكلامِ ـ : وهُوَ اسْمُ بَلَدٍ بِحَضْرَمَوْت وأَطال الكلاَمَ عن (حضرموت) وشهرة هذا الإقْلِيم تُغني عن تَحْديده .

وأَمَّا الثَّانِي : بِفَتْحِ الخَاءِ المُعْجَمَةِ ــ : جَوُّ الخَضَارِم قَصَبَةُ اليَمَامَةِ ويُقَالُ لِبَلَدِها خِضْرِمَة ــ بِكَسْرِ الخاءِ والرَّاءِ ـ يُنْسَبُ إِلَيْهَا نَفَرٌ مِنْهُم خُصَيْفُ بْنُ عَبْدِ الرَّحْمن الخَضْرِمِيُّ ، ثُمَّ الجَزَرِيُّ ، وَعَبَّاسُ بْنُ الحَسَنِ الخَضْرِمِيُّ ، يَرْوِي عَنِ الزُّهْرِيِّ ، حَدَّثَ عَنْهُ ابْنُ جُرَيْجٍ .

(٣) وقال نَصْر : والخِضْرِمَةُ ناحية من نواحي المدينة ، من نسب إليه حضرمي ويقال لمدينة حَوُّ هماك : جوَّ الخضَارم . انتهى . وعبارته ـ رحمه الله ـ فيها إيهام ، فليست الخضْرمة من نواحي المدينة بل من نواحي اليمامة وإن سمي باسم الخضرمة مواضع متعددة ، إذْ الاسم مشتقّ من الوصف .
فالخِضْرِمُ ـ بِكَسْرِ الخاءِ والرَّاء ـ البِئْر الكَثيرةُ الماءِ ، والبَحْرُ ، والكَثِيرُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ ، جَمْعُهُ خَضَارِمُ وخَضَارِمَةٌ ، ولعلَّ تَسْمِيَة الموضعِ بِهَذا الاسْم ذَاتُ صِلَةٍ بِكَثْرة مائه ، وقَدْ حَدَّد الهَمْدانيُّ مَوْقِعَ حَوِّ الخضارم تحديداً دقيقاً فقال في « صِفة جَزيرة العَرَب » ـ ٢٥٢ ـ في وَصْف الطَّريق من البَحْرَيْن إلى اليمامة ما مُلَخَّصُه ـ: ثُمَّ تَقْطَعُ العَرَمة فَتَرِد وسِيْعًا ثمَّ تَسِيْر في السَّهْبَا ، ثُمَّ الرَّوْضة ، ثمَّ تَرِدُ الخضْرَمة ، جَوَّ الخضَارِم ، مدِينةٌ وقُرى وسُوْقٌ ، فِيْها بَنُو الأَخيْضر بْن يُوسُف ، وهي دارُ بني عَدِيِّ بْن حَنِيفَةَ ، وهي عامِر بْن حَنيفة ، ودارُ عجل بن لجيْم ، وَدِيَارُ هَوْذة بن عَلِيٍّ السُّحَيْمِيِّ الحَنَفِي ، وهي أَوَّلُ اليمامَة مِنْ قَصْد البحرين ـ ثُمَّ ذَكر المواضع القَرِيبَة مِنْها ، وكُلُّها في إقليم الخَرْج ، والوَصْف يَنْطَبِقُ على قَرْيَةِ اليَمَامَة ومَاحَوْلها ، وهي في أسفلِ مَجَارِي عُيُونِ السَّيْح ، حيثُ تَكْثُرُ المياه الجارية ولعلَّ اسم الخضارِم أُخِذَ مِن هذا ولايزالُ اسم الخضرمة هناك يُطْلق على أرض واسِعَةٍ واقعةٍ شمال بَلْدة اليمامَة ، يفْصل بَينها مَجْرى الوادي ، وقد تكونُ المدينَةُ واسِعَةً ، وهي في جَوٍّ فسيْح قد انحسرَت عَنه الجبالُ والآكامُ ، واسْتَوَتْ أَرْضه ، ويَبْعُدُ جَوُّ الخضارِم عَنْ مدينة الرِّياض بِنَحْو ثَمانين كِيْلًا ، شَرْقاً بِمَيْلٍ نَحْوَ الجَنُوب .
وفي « معجم البُلدان » : الخَضَارِمُ وادٍ بأرض اليمامة ، أكثر أهْله بَنُو عِجْل ، وهُمْ أَخْلاطٌ مِنْ حَنِيفَةَ وَتَمِيْم . قالَ ابْنُ الفَقِيهِ ـ يَقْصُدُ الهَمَذَانيّ صاحب كتاب « البلدان » ــ : حَجْرٌ مِصْرُ اليمامة ، ثُمَّ جَوٌّ ، وهيَ الخضْرِمَة ، وهيَ مِنْ حَجْر عَلَى يَوْمٍ ولَيْلَةٍ ، وبِهَا بَنُو سُحَيْمٍ وبَنُو ثُمَامَةَ مِنْ حَنِيفَة ، ثُمَّ أوردَ شِعْراً لِطَهْمَانَ الكِلابيّ ، جَاءَ فِيْهِ :

وَإِنَّ بِحَجْرٍ والخَضَارِم عُصْبَةً حَرُوْرِيَّةً حُبْنًا عَلَيْكَ نُطُونُها

وفي رَسْم خِضْرِمة : الخضْرمَةُ بَلَدٌ بأرض اليَمامة لرَبِيْعة ، وقَالَ الحازِمِيُّ : جَوُّ اليمَامَة (كذا) قَصَبَةُ اليَمَامَة ، ويُقَالُ لِبَلَدِها خِضْرمَة ـ بِكَسْرِ الخاءِ والرَّاء ـ وَذَكر المَنْسُوبِيْنَ إِلَيْها بأَكْثر مِمَّا في كتاب الحازميّ فقال : خُصَيْفُ بن عبدالرحمن الخِضْرمِيِّ وأَخُوهُ خِصَافُ ، وفي كتاب « دِمَشْق » : خُصَيْفُ بن عبدالرحمن ، ويقال : ابنُ يَزِيْد ، أَبُو عَوْن الجزريُّ الحرَّاني الخِضْرميُّ ، مَوْلَى بني أُميَّة ، أَخُوه خِصَاف ، وكَانَا تَوْأَمَيْنْ ، وخُصَيفُ أَكْبَرُهُما ، حَدَّثَ عَنْ أَنَس بْنِ مالِكٍ وسَعِيد بْنِ جُبَيْر ، ومُجَاهِدٍ ، وأَبِي عُبَيدة بن عَبْد الله بْن مسْعُود ، ومُقَسِّم بْنِ عِكْرِمَة مَوْلَى ابْن عَبَّاس ، وعُمَرَ بْن عبْدالعَزيز ، رَوَى عَنْهُ عبدالله بن أَبِي نَجِيْح المَكِّيُّ ، وَمُحَمَّدُ بنُ إِسْحَاقَ صَاحِبُ « المغازي » وابنُ جُرَيْج ، وإِسْرائِيلُ بن يُونُس ، وسُفْيان الثَّوْرِيُّ ، وَعَتَّابُ بْنُ بَشِيْر ، ومَعْمَرُ بنُ سُلَيْمان الرَّقِّيُّ ، ومَرْوان بنُ حَيَّان الرَّقِّيُّ ، وشَرِيْكُ بْنُ عبدالله القاضي ، ومحمد بن فُضيلٍ ، وابنُ غَزوَان ، وغَيرُ هاؤُلاء كثيرٌ ، وقدِمَ عَلَى عُمر بن عبْدالعَزيز ، وقَال يَحْيَى بْنُ مَعِيْنٍ : خُصيف ثقةٌ ، وقالَ أَحْمَدُ بن حَنْبَل : خُصَيْفُ لَيس بِحُجَّة في الحديْث
وعَبَّاسُ بنُ الحسَن الخضْرميُّ يَرْوي عن الزُّهرِيِّ ، حَدَّثَ عنه ابْنُ جُرَيْج ، قال أبو بكر المُقْرئُ الأَصبهانيُّ ←

بشائر.. في أفق العروبة

[لأعضاء (مجمع اللغة العربية) السعوديين نشاط ومشاركات لا تقف عند حدِّ المشاركة بآرائهم فيما يعرض أثناء انعقاد المؤتمر السنوي للمجمع من مصطلحات العلوم والفنون على اختلافها، مما به إثراء للغة، ومحاولة لأن تفي بمتطلبات العصر، ومستجدات الحضارة، بل يتعدَّى ذالك إلى جوانب ثقافية فكرية عامَّة يكون لهم فيها صوت مسموع .

وهاهي قصيدة الأستاذ الشاعر حسن بن عبدالله القرشي ـ عضو المجمع ـ التي ألقاها أثناء انعقاد الجلسة الخامسة من جلسات دورة المؤتمر الـ (٥٥) ضحى يوم الثلاثاء ٢٤ رجب ١٤٠٩هـ (٢٨ شباط ١٩٨٩م) فقوبلت باستحسان وتقدير] .

* * *

حُلْمٌ غَابَ في سَمَاءٍ بَعِيدَهْ ... ثم آبتْ أطْيَافُهُ المحمُودَهْ
ومَرَاءٍ ضَاعَتْ وَرَاء عِجَافٍ ... مِن سِنِينٍ ذِئَابُهَا مَرْصُودَهْ
ثُم عَادَتْ تَرِفُّ مِثْلَ رَفِيفِ الْـ ... ـفَجْرِ، تُحْيِي أوطَارَنا المَوعُودَهْ

← ـ وَهُوَ مُحَمَّد بْنُ إبْراهيم العاصِميُّ ـ سَأَلْتُ أَبَا عرُوبة عن العبَّاس بن الحسن الخضرميِّ فقال : كان لاشيْء ، وفي رِجْله خَيْط . انتهى وقريْبٌ من هذا ـ مع زِيَادة في المنسُوبين إلى الخضْرمة في « الأنْساب » للسَّمْعاني . ولخُصَيفٍ ترجَمة في « تهذيب التهذيب » وَفيه أنَّهُ توفي سنة ١٣٧ ـ والعبَّاسُ بْنُ الحسَن مُتَرْجَمٌ في « لسان الميزان » وفيه : ذَكَرَهُ ابنُ حِبَّان في الثِّقات ، يَرْوى عن الزُّهري نُسْخَةً أكثرها مستقيمة (كذا) .

واسم الخضْرمة يُطْلَقُ على مِيَاهٍ أخرى ، كما يُطْلق على مَكانٍ يقع في مَفِيض وَادي الوَتْر (البطْحَاء) عَلَى (مَنْفُوحة) وأرى هذا المكَان هو مَوْقِعُ الخضرمة التي أقْطعها أبُو بَكْرٍ الصِّدِّيْقُ لِجُاعة بنَ مُرَارَة الحنفي ـ كما في « معجم ما استعجم » ـ ١٠٠٨ ـ وهي التي قال الهمدانيُّ عنها : ومَن الخَرْج إلى الخِضْرمة مَرْحَلةٌ « صفة الجزيرة » ـ ٢٧٩ ـ لِأَنَّ جَوَّ الخضَارم في الخَرْج نَفْسه ، ولعلَّ الخضْرمة هذه هي الواردةُ في قَوْل أحمد بن إبراهيم بن أبي رياش القَيْسِيِّ المتوفَّى سنة ٣٣٩ : وُلِدَتْ بالبَادية ، ولعبْتُ بالخِضْرمة وتأدَّبْتُ بالبصْرة « معجم الأدباء » ج ١٣٢/٢ ـ وقال عنها ياقُوت : بُسْتانٌ في ناحِيَة اليمامَة ، لَهُ خاصِيَّةٌ في عظم البصل ، فابْنُ أبي رِيَاش قيسيٌّ ـ منْ قَيْس بنْ ثعلبة أهْل مَنْفُوحة ومَاحَوْلَها ، والخضْرمَةُ مُتَّصِلَةٌ بِهَا ، وبَلَغها العُمْرانُ ، ولَعَلَّ المُرَاد بـ (البَادية) القَرْية التي كانتْ بِقُربها وعُرِفت باسْمِ المحَرَّقة ـ انظر « العرب » ص ٦٩٥ من هذا الجزء .

وَحَّدَ (الْمَغْرِبُ الكبيرُ) سُرَاهُ ... وَبِهِ جَدَّدَ الإِخَاءُ خُلُودَهْ
قَبْلُ أَحْيَا (الخَلِيجُ) وَحْدَةَ شَعْبٍ ... ثُمَّ أَذْنَى مَسَارَهَا وحُدُودَهْ
وَبَدَتْ (مِصْرُ) في شَمَائِلِهَا الْغُرِّ ... بِجَمْعِ الْقُلُوبِ جِدَّ سَعِيدهْ
تَنْثُرُ الزَّهْرَ في الدُّرُوْبِ وتسْمو ... بِرُؤَاهَا أَوْطَارُهَا الْمَعْهُودَهْ

* * *

هِيَ (بَيْتُ القَصيدِ) في أُمَّةِ الْعُرْ ... بِ ومِنْهَا الزَّمَانُ أَهْدَى نَشِيدَهْ
حَمَلَتْ رَايَةَ الكِفَاحِ وَمَازَا ... لَتْ، تُبَارِي أَيَّامَه المشْهُودَهْ
فاحْمِدِ الصَّبرَ كَمْ أَنَارَ سَبِيلاً ... كَمْ بِهِ حَقَّقَ الزَّمَانُ وُعُودَهْ
لاَ أَرَى الْأُفْقَ غَائِماً مِثْلما كَا ... نَ، ولكِنْ أُحِسُّ ثَمَّ رُعُودَهْ
فَائْتِلافُ النُّفُوسِ يَرجُو مَزِيداً ... مِنْ صَفَاءِ الْعُرُوْبَةِ الْمَمْدُودَهْ
ورِفَاقُ الكِفَاحِ مَازَالَ فِيهِمْ ... عَاتِبٌ، غَاضِبٌ، ورُؤْيَا عَنِيدَهْ!

* * *

لاَ تَسَلْنِي عَنْ أَرْزِ (لُبْنان) غَابَ (الْـ ... أَرْزُ) وآسْتَهْدفَ الْجَوى غِرِّيدَهْ
وَيْح (لُبْنَان) قَدْ عَرَاهُ ذُبُولٌ ... وَأَسًى أَرَّثَ الصِّرَاعُ وَقُودَهْ
غَالَه أَلْفُهُ، وَرُبَّ سَلاَمٍ ... ضَاعَ في مِحْنَةِ الأَمَانِي البليدَهْ
نَحْنُ في مَوْسِمِ الرَّبيعِ، فَلِمْ لاَ ... نَتَفَيَّا ظِلاَلَهُ المَنْشُودَهْ؟
كُلَّما شَاقَنِي عَبِيرُ رَوَابِيْـ ... ـهِ تَحَامَلْتُ، مُرْسِلاً تَنْهِيْدَهْ
إِنْ أَكُن قد عَشِقتُ مِنْهُ قَدِيْماً ... إِنَّني رَافِضٌ بِحَقٍّ جَدِيدَهْ
أَيَظَلُّ الإِنْسَانُ فَيْهِ مُضَاعاً ... وتَظلُّ الْمَذَابحُ الْعِرْبِيْدَهْ

* * *

شَهرَ الْغَدْرُ فيهِ أَمْضَى سِلاَحٍ ... وَآسْتَجَدَّ الْعَدُوُّ فِيْهِ المَكِيدَهْ
فَغَدَا صَرْحُهُ حِمًى مُسْتَبَاحاً ... أَتُرَى يَكْسِرِ الإِخَاءُ قُيُودَهْ
أَتُرَى يَسْتَعِيدُ مَجْداً مُضَاعاً ... فَنُحَيِّيْ أَطْيَافَهُ، وَوُرُودَهْ؟
لَهْفَ نَفْسِي لِجَنَّةٍ قد تَهَاوَتْ ... وَلِحُرِّيَّةٍ غَدَتْ مَفْقُودَهْ
نَكَّسَ الدَّهْرُ ثَمَّ أَعْلاَمَهُ جَوْ ... راً، فَهَلْ يَسْتَعِيْدُ خُضْراً بُنُودَهْ؟
فِي (فَلَسْطِيْنَ) عَاصِفٌ هَالَ (صُهْيُو ... نَ) فَأَضَتْ أَمَالُهُم مَصْفُودَهْ

نَفَضَ الثَّـائِـرُوْنَ أَكْـفَـانَ ذُلٍّ ... وَآرْتَـدَوْا حُلَّةَ النِّضَـالِ العَتِيـدَهْ
مِنْ صِغَـارٍ عَادُوا كِبَـاراً بِعَزْمٍ ... رَاعَ زَحْفَ ٱلْـعَدُوِّ، فَلَّ حَدِيْدَهْ
تـركُوهُ فِي ذَهْلَةِ الـذُّعْرِ يَهْـذِي ... لَـمْ يُبـالُـوا تَهْـدِيْـدَهْ وَوَعِيـدَهْ
مَضَغُوا ٱلْـجَمْرَ، فَٱسْتَحَالُوا شَرَاراً ... حَفـزَتْهُمْ إِلَى ٱلْـجِهَـادِ ٱلْعَقِيـدَهْ
صَـعَقُـوهُ حِـجَـارَةً بَـارَكَ الله ... لِـيَـصْـلَى نِـيْرَانَهَا ٱلْـمَـوْقُـودَهْ
أَرْخَصُـوا مِنْ عِنَـادِهِ مُسْتَبِـدًّا ... نَشْـوَةُ الثَّـأْرِ تَسْتَفِـزُّ شَهِيْـدَهْ
وَدِيَار الأَحْرارِ مَهْـما آسْتُضِيْمَتْ ... فَهْـيَ تُخْزِي ٱلْبَاغِي، وتَعْجُم عُودَهْ

* * *

صَمِدَ النَّاشِئُونَ فِي خَيْمَةِ الْـقَهْـ ... ـرِ، فَأَضْحَوا عَلَى الزَّمانِ شُهُودَهْ
أَذْكـرونَـا أَمْجَـادَ مَـاضٍ عَـرِيْق ... فِي زَمَانِ ٱلْـمَطَامِحِ ٱلْـمَحْدُودَهْ
أَرْجَعُـوا دَولـةً بِـرَغْمِ المآسِـي ... وآستَعَـادُوا كِيَـانَهُمْ، وَوُجُـودَهْ
مَصْرَعُ البَغْـيِ حَانَ فَالْـبَغْيُ مَخْذُو ... لٌ، وَأَحْـلَامُهُ غَـدَتْ مَـوْؤُودَهْ!
أُمَّةَ ٱلْـعُرْبِ غُرْبَةُ الرُّوحِ طَالَتْ ... ولَوى الدَّهْرُ عَنْ أَمَانِيكِ جِيدَهْ
قَدْ تداعَى عَلَيْكِ فِي غَفْلَةِ النَّصْـ ... ـرِ، خَبِيثُ ضَارٍ يَحُـثُّ جُنُودَهْ

* * *

فَآسْتَعِزِّي بِـوَحْدةِ تَـرْفَعُ الـظُّلْـ ... ـمَ، وتُعْلِي رايـاتِنَا ٱلْـمَعْقُـودَهْ
إِنْ تَـوَحَّـدتِّ فَـآنْتِصَـارُك آتٍ ... أَوْ تَفـرَّقْتِ فَـالْأَمَـانِـيْ بَـدِيْـدَهْ
قَـدَرٌ أَن تَعِـيْ مَصِيرَ شُعُـوبٍ ... قَـدَرُ ٱلْـعُرْبِ، وَحْـدَةٌ مَشْهُـودَهْ
مُنْذُ حِيْنٍ ونَـحْنُ نَرْقُبُ صُبْحاً ... قَـدْ أَطَـالَ آزْوِرَارَهُ وَشُـرُوْدَهْ
أَتَـرَاهُ يَجِيْءُ بَـعْـد تَـنَـاءٍ ... فَنُنَاجِي بِفَرْحَـةِ القَلْبِ عِيْدَه؟!

* * *

حسن عبدالله القرشي

شميم (نجـد)

[أثناء انعقاد (مؤتمر مجمع اللغة العربية) في القاهرة في شهر رجب ١٤٠٩هـ (شباط ١٩٨٩م) كان اللقاء بالأستاذ الدكتور حسين علي محفوظ ـ وكنت اجتمعت به في بغداد ـ أثناء (مهرجان مرور ألف عام على إنشاء بغداد وذكرى فيلسوف العرب الكندي) وكان من أثر التعارف إرشادي إلى مكان مخطوطة الكتاب الذي نشرته بعنوان «المناسك ومعالم الجزيرة وطرق الحج» منسوباً للإمام أبي إسحاق الحربي ـ وأشرت إلى ذالك في المقدمة . وإلى الخلاف في نسبة الكتاب ـ وقد أفضل الأستاذ الدكتور حسين فقدم لي في اللقاء الأخير فريدة من شعره . تقع في (١٢١) بيتاً ، لإتحاف قراء مجلة «العرب» بها ـ إلاَّ أن ازدحام مواد هذا الجزء المحدود الصفحات حال دون نشرها كاملة و (يكفي من القلادة ما أحاط بالجيد) كما قيل ـ ومعذرة للأستاذ الجليل] .

* * *

هِيَ هذِى (نَجْدٌ) فقبِّل ثَرَى أَهْـ ... ـلِك شُوْقاً وقُمْ وحَيِّ الدَّارا
والْتَمِسْ في رِيَاضِهَا عَبَقَ الرَّنْـ ... ـدِ ذَكِيًّا يُفَاوِحُ النُّوَّارَا
وتَنَسَّمْ عَطِيْرَ رُيَّا رُبَاهَا ... أَرْجاً طابَ نَرْجِساً وبَهَارَا
هذِهِ هذِهِ بِلاَدِي فَقَدْ نَمَّ ... عَلَيْهَا فَوْحُ الشَّذَا مِعْطَارَا
كُلُّ شِبْرٍ مِنْ أَرْضِهَا مَرْبَعٌ رَحْـ ... ـبٌ سَنِيٌّ يُطَاوِلُ الدَّوَّارَا

* * *

عَانِقَا أَثْلَةَ (الأُبَيْرِقِ) عَنِّي ... واسْتَمِلاَّ شَمِيْمَهَا وَالْعَرَارَا
أَنَا أَرْوِي حَدِيْثَ (نَجْدٍ) صَحِيْحاً ... مُسْتَفِيضاً عَنْهَا طِوَالاً كِثَارَا
لَفَّ عِرْقِي بِعِرْقِهَا حَسَبٌ عِدٌّ ... وَمَجْدٌ مُؤَثَّلٌ لاَ يُجَارَى
(أَسَدِيٌّ) ومِنْ (ربيعةَ) أَخْوَا ... لِيْ، وأُنْمَى إِلَى (تَمِيْمٍ) مِرَارَا

* * *

يَادِيار الآبَاءِ أَسْعَدَكِ اللهُ ... حِمًى مُعْرِقاً شَأَى الأَمْصَارا
وَسَقَاكِ جَوْدُ الْغَوَادِي ثِقَالاً ... وهَمَى صَوْبُ دَجْنِهِ تَيَّارَا
مُلْتَقَى (جِمْيَرٍ) هُنَا وَ(مَعَدٍّ) ... وَ(سَبَا) صافَحَتْ هُنَا (أَنْمَارا)

يَتَسَاقَوْنَ رَحْمَةً وَحَنَاناً ... يَتَصَافَوْنَ جَهْرَةً وسِرَارَا
عُمِرَتْ لِلْوَفَا رِبَاعُهُمُ الْبِيـ ... ـضُ تَرَاهَا تَمُجُّ نُوراً وَنَارَا
وَاشْمَخَرَّتْ قِبَابُهُمْ عَالِيَاتٍ ... تَتَقَرَّى أَسَاسُهَا الْأَسْوَارَا
كَتَبَ الْعِزُّ فِي ذُرَاهَا سُطُوراً ... شَامِخَاتٍ تَعْلُو الطِّوَالَ قِصَارَا

* * *

جَمَعَتْنَا (الضَّادُ) الْكَرِيمَةُ وَالْأَرْ ... حَامُ أَهْلاً أَحِبَّةً أَبْرَارَا
وَرَعَتْنَا (جَزِيرَةُ الْعَرَبِ) الْفَيْـ ... ـحَاءِ أَكْرِمْ بِهَا مَنَاطاً وَدَارَا
نَحْنُ فِي ظِلِّهَا الظَّلِيلِ وأَفْيَا ... ءِ بَنِي عَمِّنَا الْأَعِزَّةِ جَارَا
أَنَا لَوْ نَازَعَتْنِي النَّاسُ أَوْطَا ... نِي وَأَهْلِي أَعِيذُ أَهْلاً ودَارَا
حَاشَ لَمْ أَرْضَ عَن أُحِلَّكُمُ الْكَوْ ... نَ بَدِيلاً وَلَا النُّجُومَ قَرَارَا
وَطَنِي كُلُّ بُقْعَةٍ تُنْبِتُ (الْعُرْ ... بَ) كِرَاماً أَعِزَّةً أَحْرَارَا
مَرْبَعُ الْعَقْلِ وَالْفَصَاحَةِ وَالْحِكْـ ... ـمَةِ وَالْعِلْمِ وَالنُّهَى زَخَّارَا
وَسِرَاجُ الْبَيَانِ وَالْأَدَبِ الْغَضِّ ... وَضِيْئاً يُفَجِّرُ الْأَنْوَارَا
وَجَبِينُ التُّرَاثِ أَبْيَضُ وَضَّا ... حُ الْأَسَارِيرِ يَخْطِفُ الْأَبْصَارَا
وَمَنَارُ الْهُدَى إِذَا أَطْبَقَ الْجَهْـ ... ـلُ أَحَالَ اللَّيْلَ الْبَهِيمَ نَهَارَا

* * *

يَابَنِي عَمِّنَا الْأَكَارِمِ حُيِّيـ ... ـتُمْ وَطِبْتُمْ داراً وَطِبْتُمْ قَرَارَا
أَنْتُمُ مِنْ سَرَاةِ قَوْمِي وَأَهْلِ الْـ ... فَضْلِ فِيهِمْ وَأَشْرَفُ النَّاسِ دَارَا
غَلَّلَتْكُمْ نَفَاحَةً رِيحُ (نَجْدٍ) ... وَكَسَتْكُمْ وَشْيَ الرَّبِيعِ نِثَارَا
وَطَعِمْتُمْ شَذَا الْمَوَدَّةِ يَضَّوَّ ... عُ عَرْفاً مُطَيَّباً عَطَّارَا

* * *

ذَكَّرَتْنِي (نَجْدٌ) عُمُومَتِيَ الْغُرَّ ... وَآلِي وَقَوْمِيَ الْأَطْهَارَا
كَانَ لِي فِي (أَجَا) وَ(سَلْمَى) عَرِينٌ ... وَأَبِي كَانَ فَحْلُهُ الْهَدَّارَا
هَلَّلَتْ لِي الرُّبُوعُ حِينَ تَرَاءَيْـ ... ـنَا وَكَبَّرْتُ حِينَ شِمْتُ الْمَزَارَا

وَتَنَشَّقْتُ مِنْ نَسَائِمِ (حُزْوَى) نَـفَـحَـاتٍ تُهَيِّـجُ الـتَّـذْكَـارَا
وَسَكَبْتُ الدُّمُوعَ مِنْ فَرْحَةِ اللُّقْـ ـيَـا غِـزَاراً وَصُغْتُهَـا أَشْعَـارَا

* * *

أَدْهَشَتْنِي الذِّكْرَى: (أَلَا يَاصَبا نَجْـ ـدٍ) فَتاهَتْ هذِى ٱلْقَوَافِي حَيَارَى
قَلَّدَتْهَـا أَنْفَاسُ (نَجْـدٍ) سِخَاباً وحَـذَاهَـا مِنْ نَـوْرِهِ أَزْهَـارَا
وَحَبَاهَـا مِنَ ٱلْـمَعَـانِي خِضَمًّا زَاخِـرَ ٱلْـمَـوْجِ طَـامِياً مَـوَّارَا
لَحِقَتْ بِـ (الـمُعَلَّقَـاتِ) طِـوَالاً وَاسْتَعَارَتْ مِ ٱلْـمُذْهَبَاتِ نُضَارَا
إِنَّهَا مِنْ شَمِيْمِ (نَجْدٍ) تَشُقُّ الْـ ـفَجْـرَ عِطْراً يُضَمِّـخُ ٱلْأَسْحَارَا

* * *

يَـا أَحِبَّايَ فِي مَـرَابِعِ (نَجْـدٍ) ذَرَفَتْ عَيْنِيَ الـدُّمُـوعَ غِـزَارَا
قَـدْ لَقِينَـاكُمُ زَمَـانـاً قَصِـيراً وكَحَلْنَـا بِـالـرُّؤْيَـةِ ٱلْأَبْصَـارَا
مَـوْسِمٌ كَـانَ لَحْـظَةً ثُمَّ ودَّعْـ ـنَـا وَذُبْنَـا تَفَجُّعـاً وادِّكَـارَا
وَسَفَحْنَـا دُمُـوعَنَـا فِي ثَـرَاهُ واشْتَكَيْنَـا ٱلْأَشْجَانَ وٱلْأَوْطَـارَا
ثُمَّ صَاحَ ٱلْفِرَاقُ وانْتَشَرَ ٱلْـجَمْـ ـعُ وأَرْخَى ٱلْحَادِي ٱلْـمُغِذُّ ٱلْـمَهَارَا
فَقَضَيْنَـا دَيْـنَ اللِّقَـا عَـبَرَاتٍ وَسَـقَـيْـنَـا طُـلُولَـهُ والـدِّيَـارَا
وَتَـعَـفَّـى رَسْـمٌ وَشَطَّ مَـزَارٌ وَبَـكَيْـنَـا ٱلْأَوْطَـانَ وَالسُّـمَّـارَا
وَكَـأَنَّ اللِّقَـاءَ طَيْـفُ خَيَـالٍ رَوَّعَ الصُّبْحُ حُلْمَهُ . فَـاسْتَطَارَا
وَكَـأَنَّ الـزَّمَـانَ ظِـلُّ نَهَارٍ ثُمَّ أَرْخَى الـدُّجَى عَلَيْـهِ إِزَارَا

* * *

يَـارُبُـوعَ الـدِّيَـارِ حَيَّتْـكِ وَطْفَـا ءُ سَكُـوبٌ رَجَّاسَـةٌ لَا تُجَارَى
وَسَقَـاكِ ٱلْـحَيَـا مُلِثًّـا هَتُـوْنـاً يَـتَـقَـرَّى الـرُّسُـوْمَ وٱلْآثَـارَا
وَحَبَـاكِ ٱلْعَيْش الـرَّفِيـهَ هَنِيْئـاً سَـابِـغَ الـرِّفْـلِ رَافِهـاً مِـدْرَارَا
وَتَمَشَّى النَّسِيمُ فِي رَبْعِكِ ٱلْأَخْـ ـضَرِ رَطْبـاً يُـطَارِحُ ٱلْأَزْهَـارَا

* * *

الدكتور حسين علي محفوظ

حذف (ابن) استعمال (ال) مكان (آل) كلمتا (الأسرة) و (العشيرة)

هذه ملاحظات دائماً ما يراودني طرحها وتمر عليّ يومياً ، وهي تتعلق بطريقة تداول وكتابة أسماء الناس في وقتنا الحاضر لذا رأيت أن مجلة العرب هي المجلة المتخصصة وهي المكان المناسب لتفريغ تلك الملاحظات بها وهي :

١ ــ يلاحظ أن كثيراً من الناس قد درجوا على كتابة الأسماء بدون وضع كلمة (ابن) أو (بنت) بين اسم الشخص واسم أبيه ثم جده وهكذا ولفظ (بنت) للمرأة ، فنرى مثلاً أن الاسم يكتب هكذا (محمد عبدالله زيد) وهذا خطأ من ناحية اللغة بل والمنطق أيضاً وفي هذه الحالة يكون الاسم مركباً لو نظر إليه من الباب اللغوي أي أن كل هذه الأسماء لشخص واحد بعينه فلماذا لا يكون مثلاً محمد بن عبدالله بن زيد ، والذي معناه أنّ محمداً ابْنُ أي ولد لعبدالله وعبدالله ابنٌ لزيد وهكذا ، وهذا شيء متعارف عليه منذ خلق الله الدنيا فلماذا اختلف .

أيضاً نجد أن أسماء النساء أخذت نفس النَّمط فنجده يقال مثلاً (هدى أحمد الثقفي) بدلاً من هدى بنت أحمد الثقفي أو بشكل أصح الثقفية ، أيضاً تورد هدى الثقفي ونحوها فياء النسب الأخيرة هذه ياء نسب لذكر لا لأنثى والصحيح أن تكون هدى الثقفية . بحيث تضاف تاء النسب للنسْوة ، وهذا ما وجدناه في كتب اللغة والتاريخ والثقافة عند ذكر علم من الأعلام رجالاً ونساء ، فلماذا لا نساير لغتنا وسلفنا ؟!

الملاحظة الثانية : وهي مرتبطة بالأولى وهي أن أكثر الناس الآن يجعلون من الاسم الأخير أي اسم العائلة أو العشيرة كما لو كانت لَقَباً أو صفةً للشخص الأول الوارد اسمه ومثال ذالك قولهم (محمد عبدالله الناصر) وإذا نظرنا لهذا الاسم بتمعن وتفكير من باب اللغة والمنطق فإن كلمة (الناصر) كما يظهر وبوضوح تعتبر

صفة لمحمد هذا وأنه ناصر أي معين ومعاون ، أضِف إلى ذالك أن اسم (الناصر) من أسماء الله جل جلاله . بينما المقصود أن (الناصر) هنا هو جدُّ هذه الأسرة وأن اسمه ناصر ، ولم يكن الناصر هكذا وبما أن كل من ينتسب إلى هذا الشخص يعد من أهله وذريته فالأصح لغوياً ومنطقياً أن يكون الاسم محمد بن عبدالله آل ناصر ، أو بشكل آخر محمد بن عبدالله بن ناصر ولو أن ناصراً هذا ليس الجد الأول لمحمد ولكن باعتبار أن كل ذرية ناصرٍ هذا يعدون أبناءه بدليل أنه يقال للإنسان أيّ إنسان آدمي : ابن آدم نِسْبةً إلى أبينا آدم عليه السلام .

ومثل ذالك من الأخطاء التي وقع بها الناس اليوم قولهم عندما يقصدون أُسْرَةً ما مثلاً يقولون (عائلة الصالح) و(عائلة الراشد) و(السلطان) و(الزايد) . . . ونحوها فأجدَادُ هذه الأسر مثلاً كانت أسماؤهم : صالح وراشد وسلطان وزايد ولم تكن أسماؤهم مدخلاً عليها (ال) أساساً لأننا عندما نقول مثلاً سعد الصالح فإذا نظرنا إلى هذا الاسم لغوياً نجد أن سعداً هذا يوصف بأنه رجل صالح أي صالح في سيرته أو هذا الرجل راشد وراجح في عقله إذا قلنا الراشد وهكذا تكون الأسماء في حالة إدخال (أل) عليها لمثل هذه الأسماء ونحوها تكون حينئذ صفات ، ولكن الأصح لغة ومنطقاً أن تكون أسماء أُسر آل صالح وآل راشد وآل سلطان وآل زايد وهكذا .

وقد ورد في القرآن الكريم وهو دستورنا وأصل لغتنا ما يدخل في هذا السياق فهناك سورة (آل عمران) هكذا ولم تكن سورة (العمران) لأن لفظ العمران بهذا الشكل يكون المقصود به تلقائياً العمارة والبناء ، أيضاً ورد في مواضع كثيرة من القرآن لفظ (آل نوح) و(آل لوط) و(آل إبراهيم) و(آل يعقوب) و(آل محمد) ونحن نُردّد في صلاتنا كل وقت : اللهم صل على محمد وعلى آل محمد ، . وعلى آل إبراهيم ـ والمقصود بها أهل نبينا محمد وذويه وذريته وكذالك إبراهيم عليهم الصلاة والسلام أجمعين ، وهكذا غيرهم كثير مما وجد في كتب التراث والثقافة والأحاديث والأدب العربي القديم عند ذكر أي عَلَمٍ من الأعلام .

ومن الأخطاء أيضاً التي شاعت اليوم قولهم مثلاً (محمد العلي السالم) أو (محمد العبدالله) وهكذا وهذه طريقة أكثر خطأً ، ولو نظرنا إلى كلمة (العبدالله) وخاصة

عند تَجْزأتها نجد أن لفظ (العبد) وحدها تعني (عبداً) و(الله) لفظ الجلالة فعبارة أن الله جلّ جلاله (عبد) أيصح هذا ؟!

أما استخدام (أل) في بداية اسم النّسب (الأخير) إذا كان المقصود أسرة أو قبيلة بادئة أساساً بحرف (أل) فهذا لا مانع فيه أو إذا كانت النسبة إلى بلد مثلاً مثل قول فلان القرشي أو التميمي أو الأسلمي نسبة إلى بني الأسلم مثلاً أو الخراساني أو الهمداني فهذه صحيحة ولا غبار عليها وغيرها مما يلعب فيه المنطق وثبوت المعنى دوراً أيضاً .

وهناك ملاحظة ورأي مني وهي أن تلك التي نُسميها أُسَراً أو عائلات اليوم مثل التي سُرِدَتْ أسماؤها في كتاب «جمهرة الأسر المتحضرة في نجْد» مثلاً ، فالمعروف أن الأسرة أو العائلة تلك الأفراد الذين يعيشون في منزل واحد ، مثلاً أي مكونة من أب وأم وأولاد فإذا ما أطلقنا على هذه أسرة وأيضاً إذا أطلقنا على جماعة من الناس ينتمون إلى جد واحد وهم متفرقون في أكثر من منزل أو بلد إذا أطلقنا على هؤلاء أيضاً اسم أسرة فكيف إذَنْ التفريق ، لكنني أرى أن الأسرة أو (العائلة) هي تلك المكونة من أب وأم وأولاد هذه هي الأسرة فعلاً ، أما تلك الأفراد الأكثر عدداً كأبناء العم مثلاً والأقربين لهم ممن يجتمعون في جدٍّ واحد وليكن الخامس أو السادس مثلاً أو أقل أو أكثر فأرى أن التَّسْمية الصحيحة لهؤلاء (عَشيرة) وقد ورد في القرآن الكريم في مخاطبة رسول الله ﷺ ﴿ **وأنذر عشيرتك الأقربين** ﴾ والمعروف أن المقصود بها أقرباء رسول الله ﷺ مثل أعمامه وأبناءهم وعماته ونحوهم ، ولم يكن المقصود بها أهل بيته فقط أو قبيلته قريش كلها ، لأن العشيرة هم أولئك الناس الأبعد من أهل البيت أي الأسرة ، والأقرب من بقية أفراد القبيلة .

هذا رأيـي الشخصي أطرحه على أستاذنا الكريم حمد الجاسر راجياً إيلاء كل ما جاء في ملاحظاتي الاهتمام والتعليق عليها حسب ما يراه من رأي صائب . حتى لا ننسى لغتنا العربية حتى في أبسط الأمور ، وهي أسماؤنا .

وفق الله الجميع والسلام ،

جامعة الملك سعود ـ كلية الآداب ـــ ناصر بن عبدالعزيز آل مبارك

«**العرب**» حَـقّاً هذه ملاحظات جديرة بالاهتمام ، وجدير بالمعنِّيين بالحرص على صيانة لغتنا الانتباه لها ، والنظر إليها بما تستحق من معالجة .

١ ــ **ابـن** : لقد شاع حذف كلمة (ابن) منذ أن كثر في مدارسنا الأساتذة القادمون من الأقطار المجاورة لبلادنا ، الذين اعتادوا عدم ذكر (ابن) ولعلهم في ذالك تأثروا بمن يجاورهم من الأعاجم من غربيين وغيرهم .

وأرى منشأ ذالك عند الغربيين أنهم يجيزون التَّبَنِّي ، إذ قد يعمدِ أحدهم إلى أخذ طفل من أحد الملاجِـيءِ ، فيقوم بتربيته وبعد ذالك يضيفه إلى اسم العائلة بدون أن يذكر كلمة (ابن) أو قد يُرَبِّـي طفلاً قريباً له من غير طريق الأبوة فيضيفه إلى الأسرة . ولاشك أن مثل تلك الإضافات لا تستلزم ذكر كلمة (ابن) لانتفاء البنوة هنا ، ولكن الإسلام أبطل التبني ، وأوجب أن ينسب الإنسان إلى أبيه ، وقد تغلغلت هذه العادة في المجتمعات العربية ، ولكن ليس معنى تغلغلها أنها مقبولة أو أنها تتلاءم مع ما يجب أن نتصف به ، بصفتنا أمة لها أخلاقها ومقوماتها ولها لغتها التي هي من أقوى تلك المقومات .

ولعل من أغرب الأمور أن يعمد أستاذ فاضل إلى إلقاء محاضرة في (مجمع اللغة العربية) في القاهرة أثناء اجتماع مؤتمره في السنة الماضية في ١٢ رجب ١٤٠٨هـ يحاول أن يقرر في تلك المحاضرة أنه لا داعي لذكر كلمة (ابن) ، والغريب أن ذالك الأستاذ وهو الدكتور أمين علي السيد حاول الاستدلال بالقرآن الكريم وبالسنة النبوية ، وبأن هذا الأمر أصبح سائراً مقبولاً حتى في البلاد المحافظة على لغتها كبلادنا . بل قد استشهد بأحد كبار الموظفين بأن حذف كلمة (ابن) لم يكن له أي تأثير في جريان المعاملات الرسمية ، إلا أن أكثر أعضاء المؤتمر لم يقروه على ما أورد في تلك المحاضرة ، وتستدعي المناسبة إيراد ما دار في تلك الجلسة من نقاش حول تلك المحاضرة ، فبعد أن انتهى الأستاذ الدكتور المحاضر تتابع المعلقون عليها على النحو الآتي : كما ورد في محضر جلسات ذالك اليوم من محاضر (مؤتمر المجمع في دورته الرابعة والخمسين) لعام ١٤٠٨هـ (١٩٨٨م) :

الدكتور عدنان الخطيب رئيس الجلسة : شكراً للزميل الأستاذ الدكتور

أمين علي السيد على هذا البحث اللطيف الجامع .

الأستاذ حمد الجاسر : أشكر السيد الكريم الذي أتحفنا بهذا البحث الفضفاض الذي لم أدر أهو نحو أم اجتماع أم دين ، وعلى كل حال فهو يستحق الشكر ، ولكني كنت أتمنى ألَّا يَزُجَّ بالقرآن الكريم وبالسنة النبوية مستدلاً على أن كلمة (ابن) لا معنى لها ، والحقيقة مخالفةٌ لذالك تماماً ، فلو تتبعنا كتب السنة في مصادرها الأولى ، وكذالك كتب التفسير لما وجدنا دليلاً يثبت ما أراد أن يصل إليه . وثمة نقطة أخرى هي أن كلمة (ابن) اتخذت وضعاً اجتماعياً شاملاً ، فجميع الأقطار العربية باستثناء الجزيرة وبعض نواحيها لا يستعملون كلمة (ابن) . أما ما أشار إليه الزميل الكريم في قوله : (إنه سمع في جهة من جهات الحقوق المدنية في الرياض بأن حذف كلمة (ابن) لن يحدث أي اضطراب في الأسماء ، فقد يكون هذا صحيحاً ، ولكن لعله لم يعلم أنه صدر أخيراً أمر بضرورة وضع كلمة (ابن) بين الأعلام ، لأن حذفها أدى إلى تداخل واختلاط في الأسماء .

وعلى كل فإثبات كلمة (ابن) بين الأعلام هو الثابت في اللغة العربية منذ أن عُرِفَ العرب إلى عصرنا الحاضر ، وأما القول بأنه لا حاجة إلى وجودها والاستدلال على ذالك بالقرآن الكريم والسنة النبوية فقول تعوزه الدّقة وينقصه الدليل .

الدكتور أحمد عزالدين عبدالله : سبق أن أصدر المجمع قراراً في موضوع هذا البحث ، وكان ذالك في الدورة الحادية والعشرين ، وعلى الرغم من ذالك اكتفى الزميل المحاضر بقول : (حدثني الدكتور شوقي ضيف عن سبق صدور قرار) ، وكان ينبغي عليه ـ بعد أن علم أنَّ ثَمَّة قراراً أصدره المجمع ـ أن يدرس هذا القرار ، فإما أن يسلم به وإما أن يعترض عليه ثم يأتي بجديد ، ولكن الزميل طرحه جانباً ، ولذا أعتقد أن موضوع هذا البحث ـ بلغة القانون ـ قَضيَّةٌ غير صالحة للنظر والحكم ، لأن هناك قراراً سابقاً .

وبناء على مامضى أقترح ألا نُصْدِر قراراً في شأن هذا البحث ، وأن نحيله إلى

إحدى اللجان اللغوية ، لتدرسه في ضوء قرار المجمع الصادر في الدورة الرابعة والأربعين ، أما أن نفصل فيه الآن فقد يترتب على هذا الفصل حدوث تناقض بين ما نصدره الآن وما هو صادر بالفعل من قبل المجمع أيضاً .

الدكتور إبراهيم مدكور رئيس المجمع : الحقيقة أن للمجمع قراراً خاصّاً بموضوع بحث الزميل الدكتور أمين علي السيد ، كما قال الزميل الدكتور أحمد عزالدين عبدالله ، ويتولى عرضه على حضراتكم الأستاذ إبراهيم الترزي وكيل الوزارة لشؤون المجتمع .

الأستاذ إبراهيم الترزي : أود التنويه بأمر يتصل بهذا البحث الذي أُلقي على السادة أعضاء المؤتمر الموقر . . فقد سبق أن أصدر مؤتمر المجمع في الدورة الرابعة والأربعين قراراً في هذا الشأن نصه مايلي : (يُجيز المجمع ما يجري على الألسنة من حذف (ابن) من الأعلام المتتابعة ، في مثل : (سافر محمد علي حسن) ، وتُضْبَطُ هذه الأعلام على أحد الوجهين الآتيين :

١ ــ يعرب العلم الأول بحسب موقعه ويجر ما يليه بالإضافة .

٢ ــ تسكن الأعلام كلها إجراءً للوصل مجرى الوقف) .

وقد كان هذا القرار ثمرة بحوث متعددة بدأها الأستاذ أحمد حسن الزيات في الدورة الحادية والعشرين ببحث في هذا الموضوع ، وأُرْجِيَ البتُّ فيه إلى الدورة الثانية والعشرين التي أحالته إلى لجنة الأصول ، ثم عُرِضَ تقرير اللجنة على المؤتمر فرأى إرجاءَ البتِّ فيه . ثم قُدِّمَتْ بحوثٌ بشأنه في الدورة الحادية والثلاثين من السادة الأعضاء الدكتور الشيخ عبدالرحمن تاج ، والأستاذ الشيخ محمد علي النجار ، والأستاذ أمين الخولي ، والأستاذ الدكتور إبراهيم أنيس ، والأستاذ شوقي أمين والدكتور عبدالصبور شاهين . ولكن المؤتمر ظل على موقفه بإرجاء البت في اتخاذ قرار بشأنه ، حتى أقبلت الدورة الرابعة والأربعين فَأَثَارَ الأستاذ الدكتور شوقي ضيف الموضوع من جديد ، وفي مؤتمر هذه الدورة صدر القرار الذي تلوته على السادة أعضاء المؤتمر .

الدكتور إبراهيم السامرائي : أشكر الزميل الكريم للفوائد التي أَفَدْتُها من بحثه هذا ، وأما قول سيادته عن الـكُـنَى فأرى أنه كان ينبغي أن يَرْجِع إلى العلماء الذين بحثوا في هذا الموضوع ، إذ كيف نَنْسَى أبا الحسن الدار قُطْنِـيَّ ، والإمام الحافظ ابن حَجَر ، ومجدَ الدين ابن الأثير في كتابه « المرصَّع » فهاؤلاء هم الذين بدأوا هذا الباب وكتبوا فيه ، أما الكتاب الذي أسبغ عليه من المديح واستحسنه الدكتور أمين علي السيد فهو كتاب خاص في كُـنَى رجال الشيعة فقط . فما كان أجدر بسيادته أن يرجع إلى هذه الأصول قبل أن يكيل المدح لرجل متأخر !!

الدكتور الشيخ محمد نايل أحمد : شكراً للأستاذ الدكتور أمين علي السيد ، وكنت أُحِـبُّ أَلَّا أتكلَم مادام للمجمع قرار في نفس الموضوع ، ولكني ـ بعد سماعي القرار ـ آثرتُ أَنْ أُبْدِي رأيِـي في ذالك ، فالمجمع إنما أجاز حذف كلمة (ابن) بين الأعلام ، وترك للنطق سبيلين : أحدهما إضافة الأول إلى الثاني والذي بعده ، والآخرُ تسكينُ ما بعد الأول ، وكنت أُحِـبُّ لو أن الزميل المحاضر أتى بِنَصٍّ قديمٍ من عصور الاحتجاج ، فيه ما يدل على أن العرب حذفوا كلمة (ابن) بين الأعلام ، لأنني أرى أن المجمع تَجَوَّزَ في القرار الذي اتخذه بعض الشيء ، والدليل على ذالك أن ثمَّةَ فرقاً كبيراً بين (الحسين بن علي) و(الحسين علي) فالأول معروف للسامع بلا شك أو مراء ، أما الثاني فلا يدري السامع شيئاً محدداً عن كلمة (علي) أهي بدلٌ من (حسين) أم أنها تفسير له ، أم لها طريق ثالث ـ وأضيف إلى ذالك أنَّ النطق بالتسكين على الأعلام ـ كما رأى المجمع ـ أو إعراب الأول وإضافة الثاني إليه ، يحتاج إلى إعادة النظر فيه وفيما يمكن أن يسانده من نصوص ، لأننا إذا عُرِضَ علينا اسمٌ يليه أربعة أسماء أو أكثر فسوف يكون لدينا أربعُ إضافات أو تزيد ، واللغة العربية تأبى تكرار الإضافات ، وفي رأيـي أن (مسألة تسكين الأعلام) هذه اضطر إليها المجمع اضطراراً ، ليواكب ماجرى عليه العرف في عامِّيتنا الآن .

وأخيراً ، معذرة للمجمع الموقر ، وأسأل الله العظيم أن يوفقه إلى إعادة النظر في هاتين القضيتين بكثير من الاحتياط لما قد يترتب عليه ، وشكراً .

الأستاذ عبدالسلام هارون : في الواقع لا يفوتني أن أثني عظيم الثناء على الزميل الكريم الأستاذ الدكتور أمين علي السيد ، على هذا البحث المستوعب الذي طوَّفَ بنا حول كل مايخصُّ العَلَم ، والحقيقة أنني أوافق الأستاذ الدكتور محمد نايل أحمد تمام الموافقة فيما ذهب إليه من إعادة النظر في هاتين القضيتين ، لأننا إذا ما قلبنا في أقوال العرب الفصحاء فلا تكاد أعيننا تقع على شاهد حُذِفَتْ فيه كلمة (ابن) سوى بيت واحد (لأبي الطيب المتنبي) حذف فيه كلمة (ابن) من (عمرو بن حابس) فقال (عمرو حابس) .

الدكتور عدنان الخطيب رئيس الجلسة : أظن أن قرار المجمع لا ينصب على الأعلام التاريخية ولكن ينصب على الأعلام الحديثة ، ومع ذالك أقترح أن يرد هذا الأمر إلى اللجنة لدراسته .

الدكتور عبدالله الطيب : بعد الثناء الحسن على الكلمة التي سمعتها ، أُضيف صوتي إلى الذين يطلبون من المجمع أن يعيد النظر مرة أخرى في هذا الأمر ، ولا نحتاج إلى شواهد كثيرة ، لأن الأمر ليس مأخوذاً عن العامية ـ في أغلب ظني ـ بل هو مأخوذ عن الافرنج ، فهم يذكرون الاسم ثم يضيفون إليه لقب العائلة وهو ما يسمونه (Fuir name) ومثال ذالك (وليم شكسبير) الانجليزي ، أما عاميتنا فما زالت ـ بحمد الله ـ تتبع الفصحى ، ففي السودان ، مازالوا يقولون : فلان ولد فلان وكلمة (ولد) تعني (ابن) .

ومن ثم أدعو الله أن تنتهي هذه البدعة ، لأنها بدعة ليس لها أصل عربي .

الدكتور أحمد عزالدين عبدالله : أُبْدِيْ اعتراضي على اقتراح الزميل الدكتور الشيخ محمد نايل بإصدار قرار بأن يُعيد مجلس المجمع النظر في قراره السابق ، وإنما أساس اعتراضي هو أنَّ القرار السابق ليس مطروحاً أمامنا الآن ، ولكن المطروح الآن بحث للأستاذ الدكتور أمين علي السيد ، كما أنه ليس مقبولاً من حيث الشكل أن يقرر المؤتمر إعادة النظر في قرار قرره المجلس منذ سنوات .

الدكتور عدنان الخطيب رئيس الجلسة : ما ذكره الزميل الدكتور أحمد عزالدين عبدالله كلام صحيح ، وأرجو من السادة الزملاء الالتزام به .

الدكتور سليمان حُرَيِّن : أشكر الزميل الدكتور أمين علي السيد على هذا البحث ، لأنه لفت نظرنا إلى أمر مُهِمّ جدًّا ، هو أنه يجوز أن نعيد النظر في بعض مسائل سبق أن أخذنا فيها قراراً ، كما أنه جاء ببعض مسائل وأسماء ورسائل خاصة بتعريف الأشخاص في العصور السابقة ، ولذا أرجو أن تبحث لجنة الأصول هذا الموضوع بحثاً مستفيضاً وأن تتعقبه في العصور السابقة والعصر الحالي أيضاً .

الدكتور عدنان الخطيب رئيس الجلسة : معروض على حضراتكم الآن اقتراحٌ بإحالة البحث الذي أعده الدكتور أمين علي السيد إلى لجنة الأصول ، فهل توافقون على ذالك ؟

(موافقـــــــة) :

الأستاذ الشيخ حمد الجاسر : أود أن أُنَبِّـهَ إلى أنني لم أعترض على ما وصل إليه المجمع في إعراب الأعلام أو غيره ، وإنما اعتراضي خاص بما استدل به الزميل المحاضر من القرآن الكريم والسنة النبوية على أن كلمة (ابن) ليس لها معنى ، لأنه لا يوجد دليل واحد على أن حذف كلمة (ابن) بين الأعلام لا يؤثر ، فلم يأتِ فيما أعلم شيء من هذا القبيل في القرآن الكريم ولا في السنة النبوية الشريفة بل ولا في أقوال متقدمة على القرن الثالث الهجري .

الدكتور أمين علي السيد : بسم الله الرحمن الرحيم ، أتوجه بخالص الشكر والتقدير لأستاذنا الجليل فضيلة الشيخ حمد الجاسر ، وأؤكد لسيادته كما أؤكد لزملائي جميعاً وأساتذتي أَنَّنِـي لم أكن لأقصد أن أَزُجَّ بالقرآن الكريم ولا بالسنة النبوية في شيء كهذا الذي قد يفهم ، فالحمد لله القرآن فوق كل اعتبار ، وأنا لم أستنبط مما ورد في القرآن الكريم من ذكر عَلَـمَيْنِ اثنين منسوبين إلى الأم أو الأب أن كلمة (ابن) ليس لها معنى ، بل قصدت أن أتناول دليلاً على الاستغناء عنها ، وخلاصة ما أهدف إليه أنه يجب أن توضع كلمة (ابن) عندما يحدثُ لَبْسٌ ، وقمت بالنص على ذالك في الأعلام المزدوجة التي تتكون عادة من اثنين ، يحتمل أن يكون كل منهما علماً لشخص مستقل عن الآخر ، فأنا أستبعد ـ كما أشار إلى

ذالك الأستاذ الشيخ حمد الجاسر ـ القرآن الكريم والسنة النبوية ، وإنما أقصد بالسنة تلك الآثار التي دُوِّنَت وكُتبت ، وأكتفي بذكر ما يدل دلالة قطعية على الشخص ، فأبو هريرة مثلاً تردد كثيراً ولكن قد لا يعرف كثير من الذين يقرءون كتب الحديث أن اسمه (عبدالرحمن بن صخر) .

وأما الاقتراح الذي تفضل به الأستاذ الدكتور أحمد عزالدين عبدالله باستبعاد هذا البحث فهذا لا يضيرني في شيء .

الدكتور أحمد عزالدين عبدالله : أنا لَـمْ أقترح استبعاد هذا البحث ، وإنما اقترحت أن يحال إلى اللجنة المختصة لترى فيه رأيها ، وذالك لأنني عَـفُّ اللسان . انتهى ما في المحضر .

ولا يتسع المجال لإيراد نص المحاضرة لطولها ، وهذا ملخص ما دار تعليقاً على تلك المحاضرة .

ولا شك أن حذف كلمة (ابن) بين الأعلام سُنَّة سَيِّئَةٌ دَخِيلةٌ في أساليبنا العربية ، وفي عاداتنا وتقاليدنا ، وينبغي لكل المعنيين بشؤون أمتنا عدم التساهل في مثل هذه الأمور التي تبدو يسيرة ولكنها بالغة التأثير .

٢ ــ الاستعاضة بحرف (ال) عن اسم (آل) كأن يقال في أسرة (آل جاسر) : (الجاسر) وفي أسرة (آل عبدالله) : (العبدالله) .

أرى أن هذا من قبيل الاختصار ومثل هذا كثير في لغة العرب فهم يقولون (بلعنبر) و(بلحمر) في (بني العنبر) و(بني الأحمر) ومادام هذا ظاهر المعنى في كلامهم فلا أرى ما يحمل على القول بأنه غير سائغ ، ولا شك أن استعمال ذالك في بعض الأحيان قد يفهم منه ماليس سائغاً وخاصة عندما يقال : (العبدالله) ومثل هذا فيما يضاف إلى اسم الله عزّ وجل ، كما أشار الأخ الكريم ولكن التعويل على المعاني المتعارفة ولو ترك هذا لكان أحسن .

٣ ــ أما ما ذكر الأخ عن معنى (الأُسرة) وان التسمية الصحيحة هي (العشيرة) فهذا له أصل في اللغة إذ ذكر الثعالبي في «فقه اللغة» ـ ص ٢١٨ ـ مانصه : ←

*** إعلام الأنام بتاريخ بيت الله الحرام :**

لعل من أوفى من كتب عن تاريخ الكعبة المعظمة في عصرنا الحاضر الشيخ حسين بن عبدالله باسلامة (١٢٩٩/١٣٥٦هـ) وكتابه المعروف طبع مراراً، وممن سبقه في التأليف في ذالك الشيخ محمد صالح بن أحمد الشيبي المتوفى سنة ١٣٣٥ في كتابه « إعلام الأنام بتاريخ بيت الله الحرام » وقد تصدى لتحقيق هذا الكتاب الأستاذ إسماعيل أحمد إسماعيل حافظ ، فقام بدراسة الكتاب دراسة وافية ، وترجم مؤلفه ووصف النسخ التي أعتمدها في التحقيق ، وأورد فصلاً عن بني شيبة أسرة المؤلف ، سدنة الكعبة المشرفة ، وتحدث عن عصر المؤلف كل ذالك في (٥٧ صفحة) ثم ساق نَصَّ الكتاب مضيفاً إليه في الهوامش إيضاحات وافية ، وألحق به فهارس مفصلة حتى بلغت صفحات الكتاب جميعها ٣٩٦ وقام (نادي مكة الثقافي الأدبي) بنشره في طباعة حسنة بمطابع الصفا بمكة المكرمة وقد صدر سنة ١٤٠٥هـ (١٩٨٤م) .

← الشعبُ ، ثم القبيلة ، ثم الفصيلة ، ثم العَشيرة ، ثم الذُّرِّيَة ثم العِتْرة ثم الأسرة . وكأنه أراد ترتيب القرابة على ذالك النحو الذي سرد ، ولكن ورد في كتب اللغة : أُسرة الرجل رهطُه الأدنون، وكذا فصيلَتُه وعِتْرَتُه وٱلـحَيُّ ، يقال له في ذالك كله ـ « المخصص » لابن سيده ٣/١٣٠ ـ وفي «اللسان» : الأُسْرة من الرجل الرهطُ الأدنون وعشيرتُه لأنه يتقوَّى بهم وفيه أيضاً : عشيرةُ الرجل بنو أبيه الأدنون ، وقيل هم القبيلة ، فأنت ترى أن الأسرة قد تطلق على العشيرة وأن العَشيرة قد يقصد بها (الأسرة) وهي بنو أبي الرجل الأَدْنون وهذا هو المقصود في كتاب «جمهرة أنساب الأُسر المتحضرة في نجد» لأنَّ النصوص هنالك ترتبط بالأقربين من الرجل ، ثم من فوقهم وهكذا إلى القبيلة .

*** الطبقات الكبرى :**

محمد بن سعد بن مَنيع (١٦٨/ ٢٣٠هـ تقريباً) من أَجلَّةِ العلماء الذين تصدوا لتدوين سيرة المصطفى ﷺ ، وتراجم أصحابه ، ومن بعده إلى وفاته ، وكتابه المعروف باسم « الطبقات الكبرى » يُعَدُّ من أوثق المصادر وأقدمها في ذالك ، فقد طبع منذ ٨٦ عاماً في أوروبا بعناية بعض المستشرقين الألمان ، طباعة جيدة إلا أنها عن نسخ ناقصة لم يتمكن أولئك العلماء من العثور على ما يكملها .

وعن هذه الطبعة صدرت طبعتان : إحداهما في القاهرة سنة ١٣٥٨هـ عن لجنة (نشر الثقافة الإسلامية) والثانية في بيروت سنة ١٣٧٦هـ عن دَارَيْ بيروت وصادر ، ومع أن الطبعتين الأخيرتين أشرف عليهما عالمان جليلان وَاسِعَا الاطلاع على ما تحويه المكتبة العربية من نفائس المخطوطات ، وهما الشيخ محمد زاهد الكوثري وأستاذنا الدكتور إحسان عباس ، إلا أنهما لم يستطيعا استكمال شيء مما وقع من النقص في الطبعة الأوربية ، ولهذا كثيراً ما يعترض الباحث نقول عن ابن سعد ، يجدها في المطبوع من كتابه ناقصة ـ انظر مثلاً ترجة عمر بن سعد الحفري ج ٦/ص ٤٠٣ وقابلها بما نقل الحازمي في كتابه « الأماكن » وياقوت في « معجم البلدان » رسم (حفر السبيع) ، فقد نقلا عن ابن سعد تعريفه ولكنه لم يرد في المطبوعة ـ .

وقد وُفِّقَ أَحدُ الباحثين في الجامعة الإسلامية في المدينة المنورة للعثور على قطعة غير منشورة من ذالك الكتاب ، فتولى دراستها وتحقيقها ، وتقديمها للباحثين ، وهي تحوي قسمًا متممًا لتراجم التابعين من أهل المدينة ومن بعدهم ، من ربع الطبقة الثالثة إلى منتصف الطبقة السادسة ، وذالك نحو ٤٠٠ ترجمة ، وهذا الباحث هو الدكتور زياد محمد منصور ، الذي صَدَّرَ ماعثر عليه من الكتاب بترجمة مفصلة لابن سعد ، وألحق بما حقق خاتمةً تحوي ذكر ما رجع إليه من المصادر ، ثم فهارس مفصلة وافية ، وأضاف إلى الأصل شروحاً وزيادات أكسبته إمتاعاً وزادته فوائد جَمَّة ، وجاء الكتاب في ٥٩٢ صفحة في طباعة جيدة ، وصدر عن (مكتبة العلوم والحكم) في المدينة المنورة سنة ١٤٠٨هـ (١٩٨٧م) في طبعته الثانية بدون ذكر اسم المطبعة .